دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	أقوال و مرويات ابن شهاب الزهري في التفسير من خلال كتاب الدر المنثور : جمع و دراسة
المؤلف الرئيسي:	عثمان، فوزية عبدالرحمن
مؤلفين آخرين:	حمزة، عمر يوسف(مشرف)
التاريخ الميلادي:	2011
موقع:	أم درمان
الصفحات:	1 - 386
رقم MD:	561486
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
الدرجة العلمية:	رسالة ماجستير
الجامعة:	جامعة أم درمان الاسلامية
الكلية:	كلية أصول الدين
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	القرآن الكريم ، تفسير القرآن ، كتاب : الدر المنثور ، الزهري، محمد بن مسلم بن عبد الله، 124-58 هـ.
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/561486

© 2016 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

القسم الثاني

أقوال ومرويات ابن شهاب ودراستها

سورة الفاتحة

سميت (فاتحة الكتاب) لكونها افتتح بها ، إذ هي أول ما يكتبه الكاتب من المصحف وأول ما يتلوه التالي من الكتاب العزيز ، وإن لم تكن أول ما نزل من القرآن ، وقد اشتهرت هذه السورة الشريفة بهذا الاسم في أيام النبوة([1]) .

وسميت أم القرآن لتقدمها على سائر القرآن ، وتأخر ما سواها خلفها في القراءة والكتاب([2]) ولاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله والتعبد والأمر والنهي والوعد والوعيد وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات وذكر المبدأ والمعاد([3]) .

وأما تأويل اسمها أنها السبع المثاني ، فإنها سبع آيات لا خلاف بين الجميع من القراء والعلماء في ذلك ، وإنما اختلف في الآي التي صارت بها سبع آيات([4]) .

وهذه ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم قال : (هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيتم)([5]) .

ومن جملة اسمائها سورة الكنز ، والوافية ، والصلاة وأساس القرآن والكافية وسورة الشفاء([6]) .

وأصح ما ورد في فضلها حديثان :

أحدهما : حديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)([7]) .

والثاني : حديث (ما أنزل الله عز وجل في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن وهي السبع المثاني)([8]) .

([1]) فتح القدير /محمد بن علي بن محمد الشوكاني /تحقيق سيد إبراهيم /دار الحديث ط١ ١٤١٣هـ –١٩٩٣م /١٠/١.

([2]) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي محمد بن جرير الطبري /دار الفكر ط١ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ١٤٨/١.

([3]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري /أحمد بن علي بن حجر العسقلاني /دار الحديث ط١ ١٩٤/٨ .

([4]) جامع البيان /للطبري ٤٨/١ .

([5]) سنن الدرامي المتوفى ٢٥٥هـ ، ط دار المحاسن شارع الجيش ، القاهرة ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م (١،٣٥٠) .

([6]) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل /لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري /دار الفكر ط١ ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م (٢٤/١) .

([7]) أخرجه مسلم ٤/كتاب الصلاة ، ١١ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٢٩٦/١) رقم ٣٩٥ عن أبي هريرة .

([8])سنن النسائي المتوفى ٣٠٣هـ ، ط١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ١٣٨٣هـ – ١٩٦٤م ، (١،٣٥٠)

﴿«بسم ٱلله ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ الآية ١

١/١ عن الزهري قال : (من سنة الصلاة أن تقرأ (بسم ٱلله ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) وأن أول من أسر (سم ٱلله ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة وكان رجلاً حيياً([1])([2]) . (٢٧/١) .

٢/٢ عن الزهري قال : مضت السنة أن لا يكتب في الشعر (بسم ٱلله ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)([3]) . (٣١/١) .

٣/٣ عن الزهري قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تمد (بسم ٱلله ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ)([4]) . (٣٢/١) .

دراسة النص :

البسملة في رسم المصحف العثماني تعد آية ، ولكن العلماء اختلفوا هل هي آية كاملة أم لا ؟ وهل هي من الفاتحة ؟ فأما من قال إنها من الفاتحة فإنه يوجب قراءتها في الصلاة ، وأما من لم يرها من الفاتحة فإنه يقول قراءتها في الصلاة سنة ما عدا مالكاً فإنه لا يستحب قراءتها في الصلاة .

كذلك اختلفوا في الجهر بها في الصلاة فيما يجهر به ، فقد نقل عن أحمد أنه لا يُسن الجهر بها وهو قول أبي بكر([5]) وعمر([6]) وعثمان([7]) وابن

([1]) (أخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصلاة ٧٣/٢ ح رقم ٢٤١٢ .

([2]) عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي كان ممن هاجر الهجرتين وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم الفتح وحنيناً والطائف وتبوك قتل يوم أجنادين شهيداً جمادى الأول سنة ثلاث عشر . سير أعلام النبلاء (٤٤٩/٣)

([3]) أخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٩/١ .

([4]) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢/١ .

([5]) هو عبد الله بن أبي قحافة أبو بكر الصديق كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله واسم أبيه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب القرشي ، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب توفى ١٣هـ وعمره ٦٣ سنة (انظر الاستيعاب ٩١/٣ ترجمة ١٦٥١ .

([6]) عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن هاشم بن المغيرة ولد بعد عام الفيل ب١٣ قتل سنة ٢٣هـ وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر . انظر الاستيعاب (٢٣٥/٣) ترجمة ١٨٩٩ .

([7]) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي يكنى أبا عبد الله وأبا عمروا كنيتان مشهورتان له ، ولد السنة السادسة بعد عام الفيل وقتل سنة ٣٥هـ . انظر الاستيعاب (١٥٥/٣) ترجمة ١٧٩٧ .

مسعود([1]) وعمار([2]) بن ياسر وقال به مالك وأبو حنيفة وآخرون .

وذهب الشافعي إلى أن الجهر مسنون وهو مروي عن معاوية([3]) بن أبي سفيان وعطاء([4]) وطاووس([5]) ومجاهد .

واختلفت آراء العلماء في البسملة هل هي آية من القرآن أم لا ؟ على ثلاثة أقوال:

الأول : أنها ليست آية من الفاتحة ولا غيرها وبه قال الإمام مالك رضي الله عنه.

الثاني : هي آية من كل سورة وبه قال عبد الله بن المبارك([6]) .

الثالث : هي آية من الفاتحة وبه قال الشافعي وتردد قوله في سائر السور ، فمرة قال هي آية من سورة ، ومرة قال ليست بآية إلا من الفاتحة وحدها .

ولا خلاف بينهم في أنها آية من القرآن في سورة النمل([7]) .

والراجح أنها ليست آية لحديث عبد الله بن مغفل عن أبيه قال : يا بني إياك والحدث فإني صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقول ذلك إذا قرأ فقل:(ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)([8])

([1]) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فاء بن مخزوم أبو عبد الرحمن الهزلي ، حليف بني زهرة أمه أم عبد بنت عبد بن سوداء من بني هزيل أيضاً ، أسلم قديماً في أول الإسلام مات بالمدينة سنة ٣٢هـ ودفن بالبقيع . انظر الاستيعاب ١١٠/٣ ترجمة ١٦٧٧ .

([2]) عمار بن ياسر بن مالك بن كنانه بن قيس العنسي المذحجي قتل في معركة صفين سنة ٣٧هـ وعمره ٩٢ سنة . انظر الاستيعاب ٢٢٧/٣ ترجمة ١٨٨٣ .

([3]) معاوية بن أبي سفيان واسم أبيه سفيان بن صخر بن حرب بن أمية ، وأمه هند بنت عتبة يكنى أبا عبد الرحمن توفى بدمشق سنة ٥٩هـ وهو ابن ٨٢ سنة . انظر الاستيعاب ٤٧٠/٣ ترجمة ٢٤٦٤ .

([4]) عطاء بن أبي رباح واسمه أسلم القرشي الفهري أبو محمد المكي ، مولى آل أبي الخيثم ولد في خلافة عثمان بن عفان توفى سنة ١١٤هـ . انظر تهذيب الكمال ٦٩/٢٠ ترجمة ٣٩٣٣ .

([5]) طاووس بن كيسان الفقيه القدوة عالم اليمن ، أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني ، قيل هو موسى بن بحير الحميري ولد في دولة عثمان توفى سنة ١٠٦هـ ، قال عنه ابن عباس : (إني لأظن طاووساً من أهل الجنة) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٨/٥ ترجمة ١٣

([6]) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي أحد الأئمة الأعلام روى عن سليمان التميمي وحميد الطويل ، وعنه الثوري ومعمر بن راشد ، قال النسائي : لا نعرف في عصر ابن المبارك أجل منه ولا أعلى منه ولا أجمع لكل خصلة محمودة منه . انظر تهذيب التهذيب للعسقلاني ٣٨٢/٥ ترجمة ٦٥٧ .

([7]) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٩٣/١ زاد المسير لابن الجوزي ٨/١ .

([8]) أخرجه الترمذي ٢ كتاب الصلاة ، ٦٦ ما جاء في ترك الجهر ب(بسم الله الرحمن الرحيم) ١٢/٢ رقم ٢٤٤ .

ولأن القرآن لا يثبت إلا بإجماع أو بأخبار متواترة قطعية الدلالة ، فلما لم يثبت أنها من الحمد آية ، لم نجدها منها([1]) .

وأن مسجد المدينة انقضت عليه العصور من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى زمان مالك لم يقرأ أحد قط ب(بسم ٱلله ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) ولكن استحبوا قراءتها في النفل وعرض القرآن وعليه تحمل الآثار الواردة في قراءتها أو على السعة في ذلك([2]) .

عن قتادة([3]) قال : سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يمد بها صوته مداً([4]) هذا الأثر يبين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمد صوته بالقراءة وفي رواية (يمد الرحمن ويمد الرحيم) ، فهذا عموم في كل ممدود وذكر الصوت يدل على نفس المد ، وتأكيده بالمصدر يدل على إشباع المد وقيل إن معناه : يصل قراءته بعضها ببعض .

وقد استدل البعض بهذا الحديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) في الصلاة معارضاُ الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يقرأها في الصلاة([5]) .

ولا يلزم من وصفه بأنه كان إذا قرأ البسملة يمد فيها أن يكون قرأ البسملة في أول الفاتحة في كل ركعة ، ولأنه إنما ورد بصورة المثال فلا تتعين البسملة([6]) والله أعلم

اتفق الأئمة على جواز كتابة (بسم ٱلله ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ) في أول كل كتاب من كتب العلم والرسائل ، فإن كان الكتاب ديوان شعر قال الزهري : مضت السنة ألا

([1]) انظر الكشف عن وجوه القراءات السبع لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي تحقيق د. محي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ط٢ ١٤٠١هـ-١٩٨١م (٢٥/١) .

([2]) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر ط٣ ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م (٣/١) . الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٩٥/١ .

([3]) قتادة بن دعامة السدوسي أبو الخطاب بن عزيز بن حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين البصريين روى عنه أنس وعكرمة توفى سنة ١١٧هـ . تهذيب التهذيب ٣٥١/٨ . التفسير والمفسرين ١٢٥/١-١٢٦ .

([4]) أخرجه بن أبي شيبة في مصنفه ١٤٠/٦ رقم ٣٠١٥ أخرجه البخاري ٦٩ كتاب فضائل القرآن ، ٢٩ باب مد القراءة ١٩٢٥/٤ رقم ٤٧٥٩

([5]) أخرجه مسلم ٤ كتاب الصلاة ، ١٣ باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة في الصلاة (٢٩٩/١) رقم ٥٢ عن أنس بن مالك .

([6]) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري العسقلاني ١١٠/٩ .

يكتبوا في الشعر (سمآلله آلرَّحۡمَٰنِ آلرَّحِيمِ)) فروي عن الشعبي([1]) قال : كان يكره أن يكتب أمام الشعر (سمآلله آلرَّحۡمَٰنِ آلرَّحِيمِ))([2]) وروي عنه أيضاً قال : اجمعوا ألا يكتبوا أمام الشعر بـ(سمآلله آلرَّحۡمَٰنِ آلرَّحِيمِ)) .

وخالف هذا الرأي سعيد بن جبير([3]) فقد ذهب إلى رسم التسمية في أول كتب الشعر وتابعه على ذلك أكثر المتأخرين([4]) .

والأولى ما اجمعوا عليه لأنه ليس كل الشعر رفيع ونزيه ، فمنه غنائي وغزل خليع لا يليق ذكر اسم الله عنده .

٤/ قال تعالى : (مَٰلِكِ يَوۡمِ آلدِّينِ ۝٤)(الفاتحة: من الآية٤)

٤/٤ من طريق ابن شهاب عن سعيد بن المسيب([5]) والبراء بن عازب([6]) قالا : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر (ملك يوم الدين)([7]) . (٣٨/١)

٥/٥ عن الزهري : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا

([1]) هو عامر بن شراحبيل بن عبد وقيل عامر بن عبد الله الشعبي الحميري قيل أنه أدرك الصحابة ولد لست سنين خلت من خلافة عمر ، توفى ١٠٤هـ وعمره ٨٢ عاماً . انظر تهذيب التهذيب ٦٥/٥ رقم ١١٠ .

([2]) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧/١ عزاه إلى الخطيب .

([3]) سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالبي روى عن ابن عباس وابن الزبير وابن عمر وغيرهم قتله الحجاج ٩٥هـ وعمره ٤٩ سنة . انظر تهذيب التهذيب ١١/٤ ترجمة ١٤ .

([4]) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٩٧/١ .

([5]) سعيد بن المسيب بن حزن بن وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي من الثقات ، ومن كبار التابعين ، رأى عدد من الصحابة وهو أثبت الناس في حديث أبي هريرة ، مات سنة ٩٤هـ . انظر التهذيب ٨٤/٤

([6]) البراء بن عازب بن حارث بن عدي الخزرجي الأنصاري رده النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر لصغر سنه وقيل أول عزوة شهدها هي غزوة الأحزاب وشهد الجمل وصفين مع علي رضي الله عنه ، ثم نزل بالكوفة ومات بها سنة ٧٢هـ . انظر الاستيعاب ٥٤/١ . سير أعلام النبلاء ٣٤٠/٢ .

([7]) تخريج النص : أخرجه المقدسي في أطراف الغرائب والأطراف ، ج٢/ ص٣٠٠

يقرأونها ((مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) وأول من قرأها (ملك) بغير ألف مروان(١)(٢)(٣٨/١)

٦/٦ عن ابن شهاب : أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد(٣) كانوا يقرأون (مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ) قال ابن شهاب : وأول من أحدث (ملك) مروان(٤) . (٣٨/١)

٧/٧ عن الزهري : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ (ملك يوم الدين) الآية وأبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير(٥) وابن مسعود ومعاذ بن جبل(٦). (٣٨/١)

الدراسة :

قال الأصفهاني(٧) : الملك هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور ، أما تقديره في (مالك يوم الدين) الملك في يوم الدين وذلك في قوله تعالى (لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ)(٨) .

والملك ضربان :

---

(١) مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي أبو الحكم المدني ولد بعد الهجرة بسنتين أو سنة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث الحديبية وزيد وعثمان وغيرهم وروى عنه سعيد بن المسيب وسهل بن سعد وغيرهم بويع له بالخلافة بعد معاوية مات سنة خمس وستين . انظر تهذيب الكمال للمروزي ١٧١/٧ .

(٢) تخريج النص : أخرجه أبو داود كتاب الحروف والقراءات (٤٢٨/٣) ح رقم ٢٠٠٠ والترمذي ٥٢ كتاب القراءات ١/ باب فاتحة الكتاب ١٧٠/٥ ح رقم ٥٩٢٨ وعزاه السيوطي إلى وكيع .

(٣) يزيد بن أبي سفيان بن حرب سبقت ترجمته . ثاني ملوك الدولة الأموي ٢٥-٦٤هـ . والأعلام للزركلي ط٩ ، ١٨٩/٨ ، دار العلم للملايين .

(٤) سنن أبي داود ، ط٢ ، مطبعة المجد ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ٣٧/٤ ، كتاب الحروف والقراءات ح رقم ٤٠٠٠ .

(٥) الزبير هو : بن العوام بن خويلد الأسدي يكنى أبا عبد الله أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل أسلم وعمره خمس عشر سنة شهد بدراً مات سنة ٣٦هـ . الاستيعاب ٨٩/٢-٩٢ .

(٦) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن كعب الأنصاري الخزرجي المدني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشر سنة ، شهد بدر ، توفى سنة سبع عشرة ، انظر تهذيب الكمال ١٦٣/١٨ .

(٧) الأصفهاني : هو الحسين بن محمد بن مفضل أبو القاسم الأصفهاني الملقب بالراغب ، صاحب التصانيف ومن تصانيفه في غريب القرآن ، أعلام النبلاء ٢٠٠/١٨ / ت / ٦٠ .

(٨) سورة غافر الآية ١٦ .

ملك هو التملك والتولي كقوله تعالى : (إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا)([1]) .

وملك هو القوة على ذلك التولي أو لم يتول كقوله تعالى : (إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا)([2]) فجعل النبوة مخصوصة والملك عاماً([3]) قال ابن كثير .

وقد رجح كل من القراءتين المرجحون من حيث المعنى وكلاهما صحيحة حسنة([4]).

والأولى بالصواب فهي قراءة من قرأ (ملك) بمعنى الملك لأن فيها الإقرار له بالانفراد بالملك إيجاباً لانفراده بالملك وهو فضيلة زيادة الملك على المالك إذ كان معلوماً أن لا ملك إلا هو مالك وقد يكون المالك لا ملكاً . والحجة لمن طرحها أن الملك أخص من المالك وأمدح لأنه قد يكون المالك غير ملك ولا يكون الملك إلا مالكاً.

وحجة من أثبتها أن الملك داخل تحت المالك لقوله تعالى (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ)([5]) .

والصواب ما ذكرناه لقوله تعالى (لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ)([6]) وهو المشهور عند جمهور العلماء([7]) .

٢/ سورة البقرة

([1]) سورة النمل الآية ٣٤ .

([2]) سورة المائدة الآية ٢٠ .

([3]) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٤٧٢ .

([4]) تفسير القرآن العظيم ٢٧/١ لابن كثير .

([5]) سورة آل عمران الآية ٢٦ .

([6]) سورة غافر الآية ١٦ .

([7]) انظر الحجة في القراءات السبع للإمام ابن خالويه (٣٧٠) تحقيق د. عبد العال سالم مكرم ، دار المشرق بيروت ، القاهرة ط٤ ١٤٠١هـ-١٩٨١م . جامع البيان للطبري : (١٥٠/١) الكشاف للزمخشري ٦٠/١ .

هي أول سورة نزلت بالمدينة إلا قوله تعالى : (وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ)([1]) فإنها آخر آية نزلت من السماء نزلت يوم النحر في حجة الوداع بمنى([2]) .

إن هذه السورة من أعظم سور القرآن قيل إن فيها ألف أمر ، وألف ---وألف حكم وألف خبر ولعظيم فضلها أقام عبد الله بن عمر ثماني سنين في تعلمها([3]).

وأصح ما ورد في فضلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه (لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة)([4]) .

وعن النواس بن سمعان([5]) قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقرآن وأهله الذين كانوا يعلمون به في الدنيا تقدمهم سورة البقرة وآل عمران قال : وضرب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أمثال ما نسيتهن بعد ، قال : كأنهما غمامتان([6]) أو كأنهما غيابتان أو كأنهما ظلتان سوداوان أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما([7]) .

قال تعالى : (فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧)(الآية:٣٧)

١/٨ عن الزهري والشعبي قالا : لما هبط آدم من الجنة وانتشر ولده أرخ بنوه من هبوط آدم فكان التاريخ حتى بعث الله نوحاً فأرخوا ببعث نوح حتى كان الغرق ، فكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم فأرخ بنو إسحاق من نار إبراهيم إلى بعث يوسف ، ومن بعث يوسف إلى مبعث موسى إلى ملك سليمان ومن ملك سليمان إلى ملك

([1]) سورة البقرة الآية ٢٨١ .

([2]) البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي، مكتبة عيسى البابي ، ط١ ، ١٣٧٦هـ – ١٩٥٧م ، ١٨٨/١ .

([3]) أحكام القرآن ابن العربي ٨/١ .

([4]) أخرجه مسلم ٦ كتاب صلاة المسافرين ، ٢٩ باب استحباب صلاة النافلة في بيته (٥٣٩/١) رقم ٧٨٠ .

([5]) النواس بن سمعان بن خالد بن عمرو بن قرط بن عبد الله بن أبي بن كلاب العامري الكلابي له ولأبيه صحبه وحديثه عن مسلم في صحيحه . انظر الإصابة في أسماء الصحابة ٥٧/٦ ترجمة ٨٨٢٣ .

([6]) الغمامة أو الغيابة كل شئ أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيره . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٣٩٩/٣ .

([7]) أخرجه مسلم ، ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة ٥٥٤/١ ح رقم ٨٠٥ .

عيسى ومن مبعث عيسى إلى مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم إلى بناء البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل . فكان التاريخ من بناء البيت حتى تفرقت معد ، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا مخرجهم حتى مات كعب بن لؤي فأرخوا من موته إلى الفيل ، فكان التاريخ من الفيل حتى أرخ عمر بن الخطاب الهجرة وذلك سنة سبع عشرة أو ثمان عشرة(١) . (١/٢٢-٢٣)

الدراسة :

قوله تعالى ((فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ) .

ذكر القرطبي(٢) في تفسير قوله تعالى ((فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ) التلقي معناه الفهم والفطن وقيل الأخذ وكان عليه الصلاة والسلام يتلقى الوحي أي يتقبله(٣) .

وقال ابن قتيبة(٤) : قبلها وأخذها(٥) .

وقرأ ابن كثير(٦) (فتلقى آدم) آدم بالنصب وقرأ الباقون (مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ) برفع كلمات وقرأ الباقون برفع آدم ونصب كلمات(٧) .

وفي الكلمات التي تقبلها آدم عليه السلام أقوال حكاها عنهم ابن الجوزي :

أحدها : أنه (قال) قوله تعالى : (قَالا قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)(١) .

---

(١) تخريج النص : تاريخ الطبري ١/١٢٠ .

(٢) القرطبي هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المالكي مفسر ومن تصانيفه الجامع لأحكام القرآن توفى سنة ٦٧١هـ . انظر الأعلام للزركلي ٥/٣٢٢ ط٤ ١٩٧٩م ٥/٣٢٢ ، القاهرة ط١ ١٣٩٤هـ-١٩٧٢م ٢/٦٥ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن للفرطبي دار الحديث ط١ ١٤١٤هـ-١٩٩٤م ١/٣٣٥ .

(٤) ابن قتيبة هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري أبو محمد ولد في بغداد وسكن الكوفة من أئمة الأدب والمصنفين ولد سنة ٢١٣ . الأعلام للزركلي ٤/١٣٧ .

(٥) غريب القرآن لابن قتيبة ، تحقيق أحمد خضر دار إحياء الكتب العربية ط١ ١٣٣٨هـ-١٩٥٨م ١/٤٦ .

(٦) ابن كثير هو عبد الله بن كثير المالكي إمام أهل مكة ولد بها سنة ٤٥هـ وتوفى بها ١٢٠هـ وروى عنه السدي . انظر الكافي في القراءات السبع ١٨ .

(٧) تقريب النشر في القراءات العشر / لابن الجوزي ص٦١ ، التيسير في القراءات السبع للداني ١٣ .

قاله ابن عباس([٢]) والحسن([٣]) وسعيد بن جبير([٤]) ومجاهد وأبي بن كعب وابن يزيد([٥]) .

القول الثاني : أنه قال : يا رب ألم تخلقني بيدك ؟ قال بلى ، قال ألم تنفخ في من روحك؟ قال بلى ، قال : ألم تسبق رحمتك إلي قبل غضبك ؟ قال بلى ، أي رب أن تبت وأصلحت أراجعني أنت الجنة ؟ قال نعم ، هذا قول ابن عباس .

القول الثالث : أنه قال (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربي أني ظلمت نفسي فأرحمني وأنت خير الراحمين) (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربي أني ظلمت نفسي فتب علي أنك أنت التواب الرحيم) قاله مجاهد([٦]) .

وقال الطبري([٧]) : والذي يدل عليه كتاب الله أخذ الكلمات التي تلقاها آدم من ربه عن الكلمات التي أخبر الله عن ظالمها معترفاً بذنبه وهو قوله (قَالا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ) الآية وهو قول أكثر المفسرين([٨]) .

([١]) سورة الأعراف الآية ٢٣ .

([٢]) ابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرشي أمه بنت الحارثة الهلالية ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات وهو ترجمان القرآن الكريم وهو حبر الأمة بكثر علمه وثقافته بعلم التفسير وقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم أن يفقهه في الدين ويعلمه التأويل من كبار المفسرين وشيخ مدرسة مكة للتفسير توفى سنة ٦٨هـ . انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة /عز الدين بن الأثير /تحقيق محمد البنا ١٨٦/٣ تذكرة الحفاظ ٤٠/١ .

([٣]) الحسن بن يسار البصري أبو سعيد ولد خلافة عمر ونشأ بوادي القرى كان فقيها روى عن علي بن أبي طالب وطلحة وعائشة عن أبي بن كعب مات سنة ١١٠هـ وعمره ٨٨ سنة . انظر تقريب التهذيب لابن حجر ١١٤/١١ .

([٤]) سعيد بن جبير الأسدي وهو حبشي الأصل ثقة فقيه روى عن عائشة وأبي موسى ولد سنة ٤٥هـ وقتله الحجاج سنة ٩٥هـ . انظر طبقات المفسرين ١٨١/١ ، الأعلام ٩٣/٣ تذكرة الحفاظ ٧٦/١ .

([٥]) محمد بن يزيد المقرئ المكي روى عن سفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وسعيد بن سالم قال أبو حاتم صدوق ثقة توفى سنة ٢٢٤هـ . تذكرة الحفاظ (٧٤/١١) .

([٦]) زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزي البغدادي توفى ٩٧هـ ، دار الفكر ط١١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ٥٧/١-٥٩ .

([٧]) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر المؤرخ المفسر ولد في طبرستان سنة ٢٢٤هـ-٨٣٩م وتوفى ٣١٠هـ-٩٣٢م من مؤلفاته تاريخ الطبري – جامع البيان في تأويل آي القرآن . الأعلام ١٩٦/٦ .

([٨]) جامع البيان في تفسير آي القرآن للطبري – دار الفكر بيروت ط١ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ٢٤٣/١-٢٤٥ . انظر ابن كثير تفسير القرآن العظيم ، دار الجيل بيروت ٧٨/١-٧٩ الجامع لأحكام القرآن ٣٣٥/١ ، محاسن التأويل /للقاسمي /دار الفكر بيروت ١٣٥٨/٢هـ-١٩٧٨م .

قال تعالى : ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾(الآية:٤٥)

٢/٩ عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أمه أم كلثوم(١) بنت عقبة وكانت من المهاجرات الأول في قوله تعالى ((وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ) قالت : (غشى على عبد الرحمن(٢) بن عوف غشية فظنوا أنه أفاض نفسه فيها ، فخرجت امرأته أم كلثوم إلى المسجد تستعين بما أمرت به من الصبر والصلاة فلما أفاق قال : أغشي علي آنفاً ؟ قالوا : نعم ، قال : صدقتم إنه جاءني ملكان فقالا لي : انطلق نحاكمك إلى العزيز الأمين ، فقال ملك آخر : أرجعاه فإن هذا ممن كتبت له السعادة وهم في بطون أمهاتهم ويستمتع به بنوه ما شاء الله ، فعاش بعد ذلك شهراً ثم مات)(٣) (١/١٣٠-١٣٢)

(الدراسة :

قوله تعالى : ((وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ)) .

الأصل في الصبر : الحبس ، فالصابر حابس لنفسه عن الجزع وسمي الصائم صابراً لحبسه نفسه عن الأكل والشرب والجماع(٤) .

وفسر الصبر هنا بالصوم لقوله صلى الله عليه وسلم:(الصوم نصف الصبر)(٥).

---

(١) أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط : واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو واسم أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد مناف أسلمت بمكة قبل ان يأخذ النساء الهجرة إلى المدينة فهن من المهاجرات المبايعات . انظر الاستيعاب لابن عبدالبر ٤/٥٠٨ .ت / ٣٦٣٧ .

(٢) عبد الرحمن بن عوف بن عبدالحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي الزهري يكنى أبا محمد كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو وقيل عبد الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان من المهاجرين الأوائل ،شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى سنة إحدى وثلاثين ، وقيل اثنتين وثلاثين ، وهو ابن خمس وسبعين سنة بالمدينة ودفن فيها . انظر الاستيعاب لابن عبدالبر ٢/٣٨٦ – ٣٨٧ ، ت/١٤٥٥ .

(٣) تخريج النص ، شعب الإيمان ٧/١١٥ ، ح رقم ٩٦٨٤ .

(٤) زاد المسير /لابن الجوزي ١/٧٥ .

(٥) سنن ابن ماجة للإمام ابن ماجه المتوفى سنة٢٧٥هـ ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، ٧ كتاب الصيام ، ٤٤ باب أن للصوم زكاة للجسد ١/٥٥٥ ح رقم ١٧٤٥ .

وخصت الصلاة بالذكر لتناسبها فإن الصيام يمنع الشهوات وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل الصبر فسر بالاسترجاع لقوله تعالى (وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ)(١) .

وقيل الصبر باب والصلاة دعاء لقوله تعالى (إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ)(٢) لأن الثبات هو الصبر(٣) .

وفيما أمروا بالصبر عليه أقوال :

الأول : أنه أداء الفرائض قاله ابن عباس ومقاتل(٤) .

الثاني : أنه ترك المعاصي قاله قتادة .

الثالث : عدم الرئاسة وهو خطاب لأهل الكتابين ، ووجه الاستعانة بالصلاة أنه يتلى فيها ما يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا(٥) .

والصواب فيما ترى الدراسة هو القول الثاني وهو ما قاله قتادة لأن الكف عن المعاصي هو المراد بالصبر ولهذا قرنه بأداء العبادات وأعلاها فعل الصلاة ومن صبر على المعاصي فقد صبر على الطاعة ، وأعلم أن الصبر والصلاة معونة على مرضاة الله وأنهما من طاعة الله(٦) .

والظاهر أن الآية وإن كانت خطاباً في سياق إنذار بني إسرائيل فإنهم لم يقصدوا بها سبيل التخصيص وإنما هي عامة لهم ولغيرهم وهي موجهة بشكل من الأشكال للمؤمنين وهذا في كل آية وعلينا أن نأخذ منها العبرة والعظة ونعمل بها وهكذا الشأن في كل آية(٧) .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٥-١٥٦ .

(٢) سورة الأنفال الآية ٤٥ .

(٣) الأساس في التفسير لسعيد حوى ١٣٩/١ ، الجواهر الحسان للثعالبي ٨٥/١ .

(٤) مقاتل : هو أبو الحسن بن سليمان بن البلخي كبير المفسرين ، روى عن مجاهد والضحاك وعطاء والزهري ،توفى في حدود خمسين ومائة . سير أعلام النبلاء ٢٠١/٧ . طبقات ابن سعد ٣٧٣/٧ .

(٥) زاد المسير في التفسير لابن الجوز ٧٥/١ ، معاني القرآن وإعرابه الزجاج ١٩٥/١ .

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٧٣/١ ، الجامع لأحكام القرآن ٣٧١/١ .

(٧) انظر الأساس في التفسير لسعيد حوى ١٣٩/١ .

وقال الطبري : صدق علي رضي الله عنه إذ قال (الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد)([1]) .

وذلك أن الإيمان معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح فمن لم يصبر على العمل بجوارحه لم يستحق الإيمان بالإطلاق ، فالصبر على العمل بالشرائع نظير الرأس من الجسد بالإنسان الذي لا تمام له إلا به([2]) .

كما ورد حديث ابن مسعود : (الصبر نصف الإيمان)([3]) مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى : (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾)(الآية:٥٤)

٣/١٠ عن الزهري قال : (لما أمرت بنو إسرائيل بقتل أنفسها برزوا ومعهم موسى فاضطربوا بالسيوف وتطاعنوا بالخناجر وموسى رافع يديه ، حتى إذا أفنوا بعضهم قالوا : يا نبي الله ادع لنا ، وأخذوا بعضديه فلم يزل أمرهم على ذلك حتى إذا قبل الله توبتهم قبض أيديهم بعضهم على بعض فألقوا السلاح وحزن موسى وبنو إسرائيل للذي كان من القتل فيهم ، فأوحى الله إلى موسى ما يحزنك .. أما من قتل منكم فحيّ عندي يرزق ، وأما من بقي فقد قبلت توبته ، فسر بذلك موسى وبنو إسرائيل)([4]) (١٣٥/١)

الدراسة :

قوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم) القوم : اسم للرجال دون النساء .

([1]) ذكره المتقي الهندي في كنز العمال لابن قدامة (٦٠٥١) .

([2]) انظر جامع البيان للطبري ٢٩٩/١ .

([3]) ذكره الطبراني في الكبير ١٠٤/٩ ح رقم ٨٥٤٤ .

([4]) تخريج النص : تفسير الطبري ٢٨٧/١ ، تفسير ابن كثير ٩٣/١ .

وإنما سموا قوماً لأنهم يقومون بالأمور .

وقد يقع القوم على الرجال والنساء كما في قوله تعالى (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ)(١) وكذا كل نبي مرسل إلى النساء والرجال جميعاً.والمراد هنا عبدة العجل

واختلف أهل التأويل فيما خوطب بهذا على أقوال :

الأول : إنه خطاب للكل ، قاله السدي(٢) عن أشياخه .

الثاني : أنه خطاب لمن لم يعبد ليقتل من عبد قاله مقاتل .

الثالث:أنه خطاب للعابدين فحسب،أمروا أن يقتل بعضهم بعضا قاله أبو سليمان الدمشقي(٣)(٤)

يتضح لنا أن الخطاب هنا عام لبني إسرائيل وكانت توبتهم القتل إنما عوقب الذين لم يعبدوا العجل بقتل أنفسهم على القول الأول لأنهم لم يغيروا المنكر وإنما اعتزلوا وكان الواجب عليهم أن يقاتلوا من عبد العجل وهذه سنة الله في عباده إذ فشا المنكر إن لم يغير عوقب الجميع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(ما من قوم يعمل فيهم المعاصي هم أعز منهم وأمنع لا يغيرون إلا أعمهم الله بعقاب)(٥).

وكذلك كل فاعل فعل فعلاً يستوجب به العقوبة من الله فهو ظالم لنفسه بإيجابه العقوبة لها من الله تعالى ، وأصل الظلم في اللغة وضع الشئ في غير موضعه ويقال أرض مظلومة إذ حفر فيها ولم يكن حفر فيها من قبل كما قال الشاعر:

إلا الأواري لاياً ما أبينها والنؤى كالحوض بالمظلومة الجلد(٦)

---

(١) سورة نوح الآية ١ .

(٢) السدي : إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام المفسر أبو محمد الحجازي ثم الكوفي أحد موالي قريش حدث عنه أنس ، مات ٢٢٧هـ . سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٥ .

(٣) أبو سليمان الدمشقي هو عبدالرحمن بن أبي الجون العنسي الدمشقي ، روى عن ليث ويحيى بن سعيد الأنصاري وابن أبي خالد الأعمش ، ثقة ، توفى سنة نيف وتسعين ومائة ، روى له ابن ماجه حديثاً . سير أعلام النبلاء ١٨٦/١٠-١٨٧ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٠٦/١ زاد المسير لابن الجوزي ٧٨/١ .

(٥) أخرجه ابن ماجة في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٣٢٩/٢ ح رقم ٤٠٠٩ وأبو داود في الملاحم باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥١٠/٤ ح رقم ٤٣٣٩ .

(٦) البيت للنابغة الزبياني وهو قصيدة طويلة يمدح فيها النعمان معتذراً عما رماه به ومطلعها :

وبهذا كانت توبة القوم من الذنب الذي أتوه فيما بينهم وبين ربهم وهذا ما ذهب إليه بعض أهل العلم([1]) .

قوله تعالى : (فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩)(الآية:٧٩) .

٤/١١ عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب : أنه كره بيع المصاحف كراهية شديدة وكان يقول : أعن أخاك بالكتاب أو هب له([2]) (١٦١/١)

الدراسة :

روى أبو سعيد الخدري([3]) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ويل: واد في جهنم يهوى الكافر فيه أربعين خريفاً قبل أن يبلغ قعره)([4]) .

قال الزجاج([1]) : الويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة أو يستعملها هو أيضاً وأصلها في اللغة : العذاب والهلاك([2]) .

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد وهو منود (البسيط) رقم ٣ والأواري هي الأرض التي تشد بها الدابة وللأي الشدة ووالنوئ ما يحفر حول الخيمة لعدم شرب الماء أو غيره ، المظلومة : الأرض الشاقة التي أقيم فيها حوض على غير استحقاق منها لذلك . انظر ديوانه ص٩ والبيت من شواهد القرطبي (٤٠٧/١) .

([1]) انظر التفسير للطبري ٣٢٨/١ القرطبي ٤٠٧/١ ومعاني القرآن للزجاج ١٣٩/١ .

([2]) تخريج النص : أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ١١٠/٨ ح رقم ١٤٥١٦ ، باب بيع المصاحف ، كتاب البيوع (سألت الزهري عن بيع المصاحف فكرهه ..الخ) .

المصاحف لابن أبي داود ، باب يكره ذلك كراهية شديدة ، ١٨٥/٢

([3]) أبو سعيد الخدري : هو سعيد بن مالك الأنصاري الصحابي الجليل ، مات بالمدينة سنة ٧٤هـ ، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، نشر المكتبة الإسلامية ، طهران ، تحقيق محمد إبراهيم البناء محمد أحمد عاشور ، د.ط ، د.ت ، ٣٨١/١ . والتقريب لابن حجر ص٣٧١ .

([4]) أخرجه الترمذي ٤٨ كتاب تفسير القرآن ، ٢٢ باب سورة الأنبياء عليهم السلام ٣٠٠/٥ ح رقم ٣١٦٤ حديث غريب ، ومسند أحمد بن حنبل ، دار صادر ، بيروت ٧٥/٣ والمستدرك للإمام أبي عبدالله الحاكم النيسابوري ، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض ٥٥١/٢ ابن المبارك في الزهد ٩٦ حديث رقم ٣٣٤ ، وأبو يعلى ٥٢٣/٢ ح رقم ١٣٨٣ وذكره الطبري في جامع البيان ٤٢٢/١ ح رقم ١٣٩٠ وابن أبي حاتم ١٥٣/١ ح رقم ٧٩٨ .

قال الانباري([3]) : ويقال معنى الويل : المشقة من العذاب ويقال أصله : وي لفلان أي حزن لفلان ، وكثر الاستعمال للحرفين ، فوصلت اللام ب(وي) وجعلت حرفاً واحداً ثم خبر عن (ويل) بلام أخرى وهذا اختيار الفراء([4]) .

الكتاب ها هنا التوراة ، وذكر الأيدي توكيد والثمن القليل ما يغني من الدنيا([5]) .

قال تعالى : (قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٩٧ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨)(الآية :٩٨) .

٥/١٢ عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل جبريل أن يتراءى له في صورته فقال جبريل : إنك لن تطيق ذلك قال : إني أحب أن تفعل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المصلى في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته ، فغشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه ، ثم أفاق وجبريل مسنده وواضع إحدى يديه على صدره والأخرى على كتفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا) فقال جبريل : فكيف لو رأيت إسرافيل إن له لأثنى عشر جناحاً ، منها جناح في المشرق ، وجناح في المغرب وإن العرش على كاهله ، وأنه

([1]) الزجاج: هو أبو اسحاق إبراهيم بن محمد بن السري الزجاج البغدادي الإمام ، نحوي زمانه له مصنفات كثيرة منها : كتاب معاني القرآن ، وغيره ، توفى في التاسع عشر من جمادى الآخر ، انظر سير أعلام النبلاء ٣٦٠/١٤ .

([2]) معاني القرآن للزجاج

([3]) الانباري : هو الحافظ العلامة شيخ الأدب أبوبكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار النحوي ،توفى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة . طبقات الحفاظ (٣٥٠/ ٧٩٠) .

([4]) الفراء : يحيى بن زياد عبدالله بن منظور أبو زكريا المعروف بالفراء إمام الكوفة ، أعلمهم بالنحو واللغة والأدب ، ولد سنة ١٤٠هـ ، وتوفى سنة ٢٠٧هـ ، من كتبه : معاني القرآن ، والمذكر والمؤنث ، انظر الأعلام ١٤٥/٨.

([5]) معاني القرآن للفراء

ليتضاءل أحياناً لعظمة الله عز وجل حتى يصير مثل الوصع ، حتى ما يحمل عرشه إلا عظمته([1]) . ١٧٨/١

دراسة النص :

قوله تعالى (مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ) .قال ابن عباس : أقبلت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : من يأتيك من الملائكة قال جبريل ، فقالوا : ذاك ينزل بالحرب والقتال . ذاك عدونا فنزلت الآية والتي تليها([2]) .

أجمع أهل العلم([3]) على أنها نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدواً لهم وأن ميكائيل ولي لهم .

واختلفوا في السبب الذي من أجله قالوا أن جبريل عدونا وأن مكائيل ولي لهم .

فقال بعضهم : إنما كان سبب قولهم ذلك من أجل مناظرة جرت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر نبوته كما هو واضح وهناك روايات أخرى عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة عن تلك المناظرة([4]) .

بل قيل سبب قولهم ذلك من أجل مناظرة بينهم وبين عمر بن الخطاب في أمر النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن قتادة والشعبي والسدي .

وقيل سبب قولهم : أن حبراً من أحبار اليهود يقال له عبد الله بن صوريا قال أن جبريل عدو لنا لأنه ينزل بالشدة والسنة وأن ميكائيل ينزل بالرخاء والعافية قاله قتادة وعطاء وعبد الرحمن بن أبي ليلة([5])([6]) .

ولو صح شئ من الأقوال السابقة لحمل اختلاف الألفاظ على اختلاف القائلين فيكون بعضهم قال كذا أو بعضهم قال كذا فلا يكن فيها تضاد فيكون معنى الآية لقوله

([1]) تخريج النص : الزهد لابن المبارك ، عبدالله بن واضح المروزي أبو عبدالله ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ ، ٧٤/١ ح رقم ٢٢١ . باب تعظيم ذكر الله عز وجل ،

([2]) تفسير الطبري ٣٦٦/٢ و٣٦٧و٣٦٨ ، زاد المسير ١٠٢/١ .

([3]) انظر تفسير الطبري ٤٨٥/١ ابن كثير ١٢٦/١ ابن حبان ٤٩٠/١ ابن عطية ٤٠٩/١ والقاسمي ٢٠٤/١ .

([4]) انظر التفسير العظيم لابن كثير ١٢٤/١ .

([5]) عبد الرحمن بن أبي ليلى هو : الأنصاري المدني ثم الكوفي ، قال عنه ابن حجر في التقريب ٤٥٦/١ ، ثقة ، من الثالثة ، روى عن أبو سعيد وعنه ابن أبي ليلى . انظر تهذيب التهذيب ٢٢٤/٧-٢٢٥ ، ت/١٠٩٤ .

([6]) انظر جامع البيان للطبري ٤٨٥/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٢٦/١ .

تعالى : (من عاداني وملائكتي ورسلي وجبريل وميكال وهذا باب عطف خاص على العام فإنهما دخلا في الملائكة في عموم الرسل ثم خصصا بالذكر لأن اليهود زعموا أن جبريل عدوهم وميكائيل وليهم فأعلمهم الله تعالى أن من عادى واحد منهما فقد عادى الآخر وعادى الله أيضاً ، وذلك تشريفاً لهما وجاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله عز وجل قال : من عاد لي ولياً فقد بارزني بالحرب)([1]) .

قال تعالى : (وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾)(الآية:١٠٢)

٦/١٣ من طريق الزهري عن عبيد الله بن عبد الله([2]) في هذه : كانا ملكين من الملائكة فاهبطا ليحكما بين الناس وذلك أن الملائكة سخروا من حكاك بني آدم فحاكمت إليهما امرأة فخافا لها ثم فذهبا يصعدان فحيل بينهما وبين ذلك ، وخير

([1]) أخرجه البيهقي في السنن كتاب صلاة الاستسقاء باب الخروج من المظالم والتقرب إلى الله تعالى ٣٤٦/٣ .

([2]) عبيد الله بن عبد الله هو الإمام الفقيه المفتي أحد الفقهاء السبعة أبو عبد الله الهزلي المدني الأعمى ولد في خلافة عمر حدث عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما وروى عنه أخوه والزهري ، ثقة عالماً فقيهاً كثير الحديث والعلم بالشعر ثقة مأمون إمام مات سنة ٧٨هـ (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧٦/٤/ ٤٧٥) .

بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا([1]) . (١٨٩/١)

دراسة النص :

قوله تعالى ((وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ) تلى بمعنى تبعه متابعة واستعمل فيه لفظ التلاوة لما كان يزعم الشيطان أن ما يتلونه من كتب الله والتلاوة والتليه بقية مما يتلى أي يتبع وأتليته أي أبقيت منه تلاوة أي تركته قادراً على أن يتلوه([2]) . قال ابن كثير : وقد روى في قصة هارون وماروت عن جماعة ن التابعين وغيرهم وقصها خلق من المفسرين المتقدمين والمتأخرين وحاصلتها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق الأمين المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى وظاهر سياق القرآن إجمالاً للقصة من غير تبسيط ولا اطناب فيها ، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال([3]) .

وبطلان هذه الروايات وعدم صحتها وفسادها قال به أيضاً ابن عطية([4]) والقرطبي([5]) والألوسي([6]) وأبو حيان([7]) والذهبي([8]) والقاضي عياض([9]) وابن الجوزي([10]) وغيرهم .والصواب في هذه القصة ما ذهب إليه القاسمي([11]) قائلاً :

([1]) تخريج النص : تأويل مختلف الحديث ٢٧٨/١ ، تفسير الطبري ٤٥٢/١ ، تفسير ابن كثير ١٤١/١ .

([2]) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٧٥ .

([3]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٣٥/١ .

([4]) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٢٠/١ .

([5]) الجامع لأحكام القرآن ٥٦/٢

([6]) روح المعاني ٣٤١/١ .

([7]) البحر المحيط ٣٢٩/١

([8]) الإسرائيليات الموضوعات لأبو شهبة ، ص١٦١ .

([9]) الشفاء لتعريف المصطفى ٨٥٣/٢

([10]) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٢٤/١

([11]) هو جمال الدين بن محمد بن سعيد بن قاسم القاسمي الحلاق ولد بدمشق ، عالم مشارك في أنواع العلوم واهتم بتأسيس مذهب جديد سماه المذهب الجمالي ونفى ذلك عنه فانقطع في منزله للتصنيف وبلغت مصنفاته تنوف عن اثنين وسبعين مصنفاً . انظر معجم المؤلفين /رضا كحالة ٤٢٨/١ والأعلام للزركلي ١٣٥/٣ .

(والذي ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل([1]) وكانا يعلمان الناس السحر وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أن ظنوا أنهما ملكان من السماء وما يعلمونه الناس هو وحي من الله وبلغ مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحسن فيهما أنهما صارا يقولان (إنما نحن فتنة فلا تكفر) أي إنما نحن أولوا فتنة نبلوك ونختبرك أتشكر أم تكفر ؟ وننصح لك أن لا تكفر([2]) .

وفيما يتبادر أن هذه القصة انطوت على شنع عظيمة ونحن هنا نخبر عن ذلك ما يكشف عطاء هذه الإشكالات وما يزيف هذه القصة التي لا يشهد لها نقل صحيح وهي مخالفة لما صار عند العلماء المحدثين أمراً يقيناً وبعض العلماء المحدثين مال إلى ثبوت مثل هذه الروايات التي لا نشك في كذبها ، وإن كان بعض أسانيدها صحيحة حسنة ومسندة إلى بعض الصحابة والتابعين ولكن مرجعها ومخرجها من إسرائيليات بني إسرائيل وخرافاتهم والراوي قد يغلط وبخاصة في رفع الموقوف ، وإن كونها صحيحة في نسبتها لا ينافي كونها باطلة في ذاتها وغض الطرف عن هذا لا يعود لنا بالفائدة وإن سكت عنها أئمة أفذاذ ، فالسكوت عنها فتح على المسلمين باب شر كبير يجب أن يغلق ولذا لابد من بذل الجهد في التنبيه إلى بطلانها([3]) والله تعالى أعلم .

وفي قوله تعالى (وما أنزل على الملكين) فيه إبهام([4]) قيل هما هاروت وماروت ، قال ابن عباس وقيل جبريل وميكائيل عنه أيضاً ، وقرئ بكسر اللام فهما داود وسليمان قاله عبد الرحمن بن أبذي([5]) وقيل أنهما علجان([6]) من بابل .

([1]) بابل بكسر الباء : اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليهما السحر والخمر والمراد بها هنا بابل العراق وقيل الكوفة وغيرها وهي مدينة بناها بيوراراسب الجبار . انظ معجم البلدان /للياقوت ٣٩٠/١ .

([2]) انظر محاسن التأويل للقاسمي ٢١٠/١ .

([3]) انظر الإسرائيليات لأبي شهبة ص١٦٤ ، والشفاء بتعريف المصطفى للقاضي عياض ٨٥٣/٢ .

([4]) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي ص٤٥ .

([5]) عبد الرحمن بن أبزي صحابي صغير كان في عهد عمر رجلاً وكان أميراً على خرسان في عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو خزاعي مولى نافع بن الحارث سكن الكوفة وهو قارئ لكتاب الله وعالم بالفرائض وهو مما رفعه الله بالقرآن . انظر تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكريا محي الدين شرف النووي ٦٧٦هـ ، دار الطباعة المنيرية ٢٩٣/١

([6]) علجان مثنى علج وهو الرجل الضخم من كفار العجم وبعض العرب يطلقه على الكفار مطلقاً والجمع علوج . انظر المصباح المنير للفيومي ١٣٥ .

قوله تعالى : (مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٠٦)(الآية:١٠٦)

٧/١٤ عن ابن عمر قال : قرأ رجلان من الأنصار سورة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانا يقرآنها فقاما يقرءان ذات ليلة يصليان فلم يقدرا منها على حرف ، فأصبحا غاديين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (إنهما مما نسخ أو نسي فألهو عنه) فكان الزهري يقرأها ((مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا) بضم النون خفيفة([1]) . (١٩٧/١)

الدراسة :

سبب([2]) نزول هذه الآية : أن اليهود قالت لما نسخت القبلة : إن محمداً يحل لأصحابه كما يشاء ويحرم عليهم إذا شاء وأن محمداً يأمر أصحابه بشئ ثم ينهاهم عنه فما كان هذا القرآن إلا من جهته ولهذا يناقض بعضه بعضاً فأنزل الله تعالى ((مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ) . قال القرطبي : النسخ هو الإبطال والإزالة وهو المقصود هنا وهو ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : إبطال الشئ وزواله وإقامة آخر مقامه نحو نسخت الشمس الظل .

القسم الثاني : إزالة الشئ دون إقامة آخر مقامه كقولهم : نسخت الريح الأثر([3]) .

اختلف القراء في قوله تعالى : (أو ننسها) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء .

وقرأ الباقون (ننسها) بضم النون وكسر السين من غير همز([4]) .

قال أبو جعفر : اختلف القراء في قوله (أو ننسها) ولذلك وجهان :

([1]) تخريج النص : المعجم الأوسط ٤٦٣٧/٤٨/٥ .المعجم الكبير ١٣١٤١/٢٨٨/١٢ .

([2]) الواحدي ، أسباب النزول ص٣٢ .

([3]) الجامع لأحكام القرآن (٤٤/٢) .

([4]) النشر في القراءات العشر ١٢٢٠/٢ لابن الجوزي ، جامع البيان (٥٢٤/٢) .

الوجه الأول : (ننسأها) بفتح النون والهمزة بعد السين ومعناها نؤخرها قال ابن عباس : (ما ننسخ من آية أو ننساها) وقال مجاهد نثبت خطها ونبدل حكمها .

الوجه الثاني : (أو ننسها) ومعناها نرفعها قال قتادة كان الله عز وجل ينسي نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء وينسخ ما يشاء .

وقال ابن جرير إن نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ قرآناً ثم نسيه وقال ابن عباس والسدي (ننسها) نتركها ولا ننسخها لقوله تعالى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ)(١).

وأولى القراءات (ننسها) معنى نتركها لأن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه مهما بدل حكماً أو غيره أو لم يبدله أتى بخير منه أو مثله(٢) .

قوله تعالى:(وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾)(البقرة:١٠٩) .

٨/١٥ عن الزهري وقتادة في قوله (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ) قالا (كعب بن الأشرف)(٣) .

دراسة النص :

قوله تعالى : (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ) .

في سبب نزولها ثلاثة أقوال :

الأول : أن حيي بن أخطب ، وأبا ياسر كانا جاهدين في رد الناس عن الإسلام فنزلت هذه الآية(٤) .

---

(١) سورة التوبة الآية ٦٧ .

(٢) جامع البيان (٥٢٤/٢) ، تفسير القرآن العظيم (١٠٢/١) .

(٣) تخريج النص : سنن البيهقي الكبرى (١٨٣/٩) .

(٤) أسباب النزول للسيوطي ص١٥ .

والثاني : أن كعب بن الأشرف كان يهجوا النبي صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش في شعره وكان المشركون واليهود من أهل المدينة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمها ، فأمر النبي بالصفح عنهم فنزلت هذه الآية([1]) ، قاله عبد بن كعب بن مالك وافقه الزهري([2]) .

والثالث:أن نفراً من اليهود دعو حذيفة وعماراً إلى دينهم فأبيا فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل .

ومعنى (ود) : أحب وتمنى ((أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ)) : اليهود .

قال الزجاج : من عند أنفسهم موصول ب (ود كثير) لا بقوله (حسداً) لأن حسد الإنسان لا يكون إلا من عند نفسه ، والمعنى : مودتهم لكفركم من عند أنفسهم ، لأنه عندهم الحق فأما الحسد ، فهو تمني زوال النعمة عن المحسود ، وإن لم يصير للحاسد مثلها ، وتفارقه الغبطة ، فإنها تمني مثلها من غير زوالها عن المغبوط ، وحد بعضهم الحسد فقال : (هو أذى يلحق بسبب العلم بحسن حال

الأخيار ولا يجوز أن يكون الفاضل حسوداً،لأن الفاضل يجري على ما هو جميل)

وقال بعض الحكماء : كل أحد يمكن أن ترضيه إلا الحاسد ، فإنه لا يرضيه إلا زوال نعمتك .

وقال الأصمعي([3]) : سمعت إعرابياً يقول : ما رأيت ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد ، حزم لازم ، ونفس دائم ، وعقل هائم ، وحسرة لا تنقطع .

قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾(البقرة:١٢٤) .

([1]) أسباب النزول للواحدي ١٩ .

([2]) أسباب النزول للواحدي ٣٣ .

([3]) الأصمعي : هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب الباهلي المعروف بالأصمعي (١١٢-٢١٥هـ) ، عالم باللغة والأدب كان يخشى أن يفسر الحديث والقرآن ، من كتبه الاشتقاق والأجناس . (انظر وفيات الأعيان ٣١٢/١) شذرات الذهب ٣٦/٢ .

٩/١٦ عن الزهري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من أسلم فليختتن)([١]).

دراسة النص :

قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ .

بأنه ابتلى بالطهارة وهو قول ابن عباس وافقه عليه مجاهد وقتادة والشعبي وسعيد بن المسيب([٢]) .

وعن ابن عباس قال : (منهن مناسك الحج)([٣]) ، وافقه عليه مجاهد أيضاً وعكرمة([٤]) وأبو صالح([٥])([٦]) .

ذكر ابن قتيبة في معنى قوله ((﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ .

ابتلى : اختبر الله تعالى سيدنا إبراهيم بكلمات يقال (هن عشر) فأتمهن أي عمل بهن كلمته .

(بكلمات) : بشرائع وأوامر ونواهي([٧]) .

وكلمات جمع كلمة وترجع حقيقتها أي كلام البارئ سبحانه وتعالى يحكم بها عن الوظائف التي كلم الله بها سيدنا إبراهيم عليه السلام بما كان تكليفاً بالكلام سميت به([٨]) .

وفي معنى كلمات أقوال :

أولها : أنها خمس في الرأس وخمس في الجسد ، التي هي في الرأس : المضمضة – الاستنشاق – قص الشارب – السواك – غسل الجنابة يوم الجمعة .

([١]) أخرجه ابن حجر العسقلاني في كتاب تلخيص الحبير ٨٢/٤، رقم الحديث ١٨٠٦ كتاب الختان

([٢]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٥٧/١) .

([٣]) أخرجه الحاكم (٢٦٦/٢) وذكره الطبري في جامع البيان (٥٧٤/١ رقم ١٩٢٦) .

([٤]) عكرمة هو : عبد الله عكرمة البربري المدني مولى ابن عباس ، روى عن مولاه وعلي بن أبي طالب وأبي هريرة وغيرهم توفى سنة ١٠٤هـ . انظر تهذيب التهذيب ٢٦٣/٧ .

([٥]) أبو صالح هو : القدوة الحافظ الحج بن عبد الله كان من كبار العلماء بالمدينة ولد في خلافة عمر وتوفى سنة ١٠١هـ . سير أعلام النبلاء ٣٦/٥ وطبقات ابن سعد (٣٠١/٥) .

([٦]) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٦٥/١ .

([٧]) البحر المحيط لابن حيان الأندلسي ، دار الفكر – بيروت ط٢ ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .

([٨]) الجامع لأحكام القرآن (١٠٤/١) التفسير الكبير ٤٣/٣ – الكشاف (١٨٢/١) .

والتي في الجسد :

تقليم الأظافر – حلق العانة – الختان – نتف الإبط – غسل أثر البول بالماء وهو قول ابن عباس وقتادة .

ثانيهما : المناسك قاله ابن عباس .

ثالثهما : ابتلاه الله سبحانه وتعالى بالكواكب والقمر والهجرة والنار وذبح ولده والختان ، قاله الحسن([1]) .

وقال الإمام الطبري : الصحيح عندنا في هذه الكلمات هو جميع ما ذكر من الأقوال وأن إبراهيم عليه السلام كان قد امتحن فيما بلغنا بكل ذلك فعمل به وقام فيه بطاعة الله وأمره الواجب عليه فيه([2]) .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾(البقرة:١٢٦) .

١٠/١٧ عن الزهري في قوله تعالى (رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الناس لم يحرموا مكة ولكن الله حرمها فهي حرام إلى يوم القيامة وإن أعتى الناس على الله رجل قتل في الحرم ورجل قتل غير قاتله ، ورجل أخذ بنحول الجاهلية)([3]) . ٢٢٩/١

١١/١٨ عن الزهري قال : (إن الله نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطائف لدعوة إبراهيم عليه السلام)([4]) . (٢٣٢/١)

([1]) جامع البيان لأحكام القرآن ٥٢٤/١-٥٢٨ ، زاد المسير ١٢٤/١ .

([2]) جامع البيان (٥٢٨/١) .

([3]) تخريج النص : أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٣٩/٥ ح رقم ٩١٨٨ .

([4]) تخريج النص : تفسير ابن أبي حاتم ١٩/٥ ، رقم ١٢١٤

الدراسة :

قوله تعالى : ((وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا) .

البلد : صدر القرى ، البالد : المقيم بالبلد ، والبلدة : الصدر ، ووضعت الناقة بلدتها : بركت والمراد هاهنا : مكة ومعنى (آمناً) ذا أمن وأمن البلدة مجاز ، والمراد : أمن من فيه وفي المراد بهذا الأمن ثلاثة أقوال :

الأول : أنه سأله الأمن من القتل .

الثاني : من الخسف والقذف .

الثالث : من القحط والجدب ، قال مجاهد قال إبراهيم (لمن آمن) فقال الله عز وجل : (ومن كفر فسارزقه) .

قوله تعالى : (فأمتعه) قرأ ابن عامر(١) (فأمتعه) بالتخفيف من أمتعت وقرأ الباقون بالتشديد من (متعت) والامتاع : إعطاء ما تحصل به المتعة ، والمتعة : أخذ الحظ من لذة ما يشتهي وبماذا يمتعه ؟ فيه قولان :

أحدهما : بالأمن .

الثاني:بالرزق،والاضطرار:الإلجاء إلى الشئ ، والمصير : ما ينتهي إليه الأمر(٢) .

قوله تعالى : (وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾)(البقرة:١٢٧) .

١٢/١٩ عن ابن شهاب قال : (لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت امرأة الكعبة ، فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة فاحترقت فهدموها ، حتى إذا بنوها فبلغوا موضع الركن اختصمت قريش في الركن أي القبائل تلي رفعه ، فقالوا :

---

(١) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم بن ربيعة بن عامر بن عبد الله بن عمران اليحصبي بضم الصاد وكسرها نسبة إلى يحصب بن دهمان بن عامر بن حميد بن سبأ بن شجيب بن يعرب بن قحطان بن عامر وهو هود عليه السلام إمام الشام في القراءة توفى بدمشق يوم عاشوراء سنة ثمان عشرة ومائة . انظر غاية النهاية في طبقات القراء (١/٤٢٤-٤٢٥-٤٢٦) .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (١/١٢٨) .

تعالوا نحكم أول من يطلع علينا ، فطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام عليه وشاح نمرة ، فحكموه فأمر بالركن فوضع في الثوب ، ثم أخرج سيد كل قبيلة فأعطاه ناحية من الثوب ، ثم ارتقى هو فرفعوا إليه الركن فكان هو يضعه ، ثم طفق لا يزداد على الإنسان إلا رضى حتى دعوه الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي ، فطفقوا لا ينحرف جوزاء إلا التمسوه فيدعو لهم فيها)([1]) . (٢٣٧/١) .

١٣/٢٠ عن الزهري قال : إذا كان يوم القيامة رفع الله الكعبة البيت الحرام إلى بيت المقدس فمر بقبر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فيقول : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، فيقول صلى الله عليه وسلم : وعليك السلام يا كعبة الله ، ما حال أمتي ؟ فتقول : يا محمد أما من وفد إلي من أمتك فأنا القائم بشأنه ، وإما من لم يفد من أمتك فأنت القائم بشأنه([2]) . (٢٥١/١)

الدراسة :

قوله تعالى : ((وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ) للمفسرين وأهل التأويل في القواعد التي رفعها إبراهيم وإسماعيل البيت أهما أحدثا ذلك أم هي قواعد كانت قبلهما ؟ قولان هما :

أولاً : هي قواعد بيت بناها آدم بأمر من الله تعالى ثم درس مكانه ، ونقض أثره بعده حتى بوأه إبراهيم عليه السلام فبناه قاله ابن عباس وعطاء([3]) .

الثاني : أنها قواعد بيت كان الله أهبطه لآدم من السماء إلى الأرض يوف به كما يطوف بعرشه في السماء فرفع إبراهيم قواعد ذلك البيت ، قاله قتادة وعبد الله بن عمر وعطاء بن رباح .

وقيل هو كان كالياقوت وقيل أن البيت كان ربوة حمراء وقيل بيضاء ومن تحته دحيت الأرض([4]) .

([1]) تخريج النص : أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٠٠/٥ ح رقم ٩١٠٤ باب بنيان الكعبة كتاب الحج .

([2]) لم اقف عليه

([3]) جامع البيان للطبري (٥٩٧/١) .

([4]) المحرر الوجيز لابن عطية (٤٨٧/١) جامع البيان للطبري (٥٩٨/١) .

وأما القول في رفع تلك القواعد قيل رفعها إبراهيم وإسماعيل جميعاً قاله السدي وعبد الله بن عمير .

وقيل بل رفع قواعد البيت إبراهيم وحده وإسماعيل يومئذ طفل صغير قاله علي ابن أبي طالب([1]) .

وقيل أيضاً : بل رفعها إبراهيم وكان إسماعيل يناوله الحجارة قاله ابن عباس([2]) .

وقال الطبري : (الصواب من القول في ذلك أن يقال : أن الله تعالى ذكره أخبره عن إبراهيم خليله أنه وأبنه إسماعيل رفعا القواعد من البيت الحرام بأمر منه وجائز قدمه وجائز أن يكون ذلك ابتداء ولا يرجح شيء من ذلك إذ لا خبر تقوم به الحجة فيجب التسليم)([3]) .

وأرى أن ذلك مما لا يدل عليه الاستدلال والقياس فيمثل بغيره ويستنبط علمه من جهة الاجتهاد فلا قول في ذلك هو أولى بالصواب مما قيل.والله تعالى أعلم .

وقال ابن كثير : (_لم يجئ في خبر صحيح عن المعصوم أن البيت كان مبنياً قبل الخليل عليه السلام ومن تمسك بقوله (كان البيت) فليس يناهض ولا ظاهر لأن مراده : مكانه المقدر في علم الله تعالى المقدر في قدرته المعظم عند الأنبياء موضعه من لدن آدم إلى زمان إبراهيم عليه السلام)([4]) .

قوله تعالى : (سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾)(البقرة:١٤٢) .

١٤/٢١ عن الزهري قال : (صرفت القبلة نحو المسجد الحرام في رجب على رأس ستة عشر شهراً من مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلب وجهه في السماء وهو يصلي نحو بيت المقدس ، فأنزل الله حين وجهه إلى البيت الحرام ((**سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ**) وما بعدها من الآيات ،

([1]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١٦٩/١) .

([2]) جامع البيان للطبري (٦٠١/١) .

([3]) جامع البيان (٦٠١/١) .

([4]) البداية والنهاية لابن كثير ٦٣/١ .

فأنشأت اليهود تقول : قد اشتاق الرجل إلى بلده وبيت أبيه ، ومالهم حتى تركوا قبلتهم يصلون مرة وجهاً ومرة وجهاً آخر ، وقال رجال من الصحابة : فكيف بمن مات منا وهو يصلي قبل بيت المقدس ، وفرح المشركون وقالوا : إن محمداً قد التبس عليه أمره ، ويوشك أن يكون على دينكم ، فأنزل الله في ذلك هؤلاء الآيات)(١) . ٢٦٢/١.

دراسة النص :

قال الطبري(٢) : السفهاء هم الجهال من الناس وهم اليهود وأهل النفاق وسموا بذلك لأنهم سفهوا الحق .واختلف العلماء في مدة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس بعد قدومه المدينة على ستة أقوال :

القول الأول : ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وهو قول البراء بن عازب قال : (صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً حتى نزلت الآية التي في البقرة (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) فنزلت بعدما صلى النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق رجل من القوم فمر بناس من الأنصار وهم يصلون فحدثهم فولوا وجوههم قبل البيت)(٣) .

القول الثاني : سبعة عشر قول ابن عباس .

القول الثالث : ثلاثة عشر قول معاذ بن جبل .

القول الرابع : تسعة عشر أو عشرة قول أنس بن مالك .

القول الخامس والسادس : ستة عشر أو ثمانية عشر قول قتادة(٤) .

الراجح من الأقوال هو قول البراء بن عازب لما ثبت في الصحيح .

واختلف العلماء في السبب الذي من أجله صلى النبي صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره ، (١٢/٢)

(٢) جامع البيان (٣٢٤/٢) .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ٢ باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة (٣٧٤/١) ح رقم (٥٢٥) والبخاري في كتاب التفسير (١٠٠/٢) والنسائي كتاب الصلاة ، ٢٢ باب فرض القبلة (٢٤٢/١) والترمذي ٤٨ كتاب تفسير القرآن ، ٣ باب ومن سورة البقرة (٢٠٧/٥) ح رقم (٢٩٦٢) وابن ماجة ٥ كتاب إقامة الصلاة ، ٥٦ باب القبلة (٣٨٩/١) ح رقم (١٠١٠) .

(٤) زاد المسير (١٥٣/١) لابن الجوزي .

منهم من قال باختياره وهو قول الحسن البصري(١) .

وقول أبو العالية(٢) : ليؤمنوا به ويتبعوه .

وقال آخرون:بل كان ذلك من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قول ابن عباس(٣) .

قوله تعالى:(فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا ﴿١٥٢﴾ تَكْفُرُونِ)(الآية:١٥٢) .

١٥/٢٢ عن سفيان بن عيينة قال : قيل للزهري ما الزاهد ؟

قال : من لم يغلب الحرام صبره ، ولم يمنع الحلال شكره . (٢٨١/١)

دراسة النص :

قال الإمام القرطبي : اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة(٤) .

قال سعيد بن جبير : الذكر طاعة الله وقال السدي لا يذكر الله مؤمن إلا ذكره برحمته ولا يذكره كافر إلا ذكره الله بعذاب .

قال ابن جرير : اذكروني بالطاعة اذكركم بالرحمة .

قال ابن كثير(٥) : اذكروني فيما افترضت عليكم أذكركم فيما أوجبت لكم على نفسي هذا قول الحسن البصري ، قال ابن عباس : ذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه كما في الحديث الصحيح ، قال قتادة : الله أقرب بالرحمة والمراد بالذكر ذكر القلب قال تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا)(٦) .

---

(١) الحسن البصري : هو الحسن بن أبي الحسن بن يسار بن سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري قدم البصرة مع أنس ، روى عن عمران بن حقبة والمغيرة بن شعبة توفى سنة (١١٠هـ) . سير أعلام النبلاء (٥٦٢/٤) .

(٢) أبو العالية : رفيع بن مهران الإمام المقرئ الحافظ المفسر الرياضي البصري أحد الأعلام سمع من عمر وعلي وحفظ القرآن على أبي بن كعب وروى عنه القارئ شعيب بن الحجاب اختلف في وفاته . سير أعلام النبلاء (٥٦٣/٤) للإمام الذهبي .

(٣) جامع البيان (٣٢٤/٢) .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٧١/٢) .

(٥) تفسير القرآن العظيم (١٨٩/١) .

(٦) سورة الأحزاب الآية ٤١ .

ويكون بالإخلاص والخشوع والذكر فيه الاطمئنان قال الله تعالى : (أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)(١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل : (أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب مني شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت منه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)(٢) .

قوله تعالى : (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾)(البقرة:١٥٨).

١٦/٢٣ من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت : كان رجال من الأنصار ممن كان يهل بمناة في الجاهلية ، ومناة صنم بين مكة والمدينة ، قالوا يا نبي الله إنا كنا نطوف بين الصفا والمروة تعظيماً لمناة فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فأنزل الله ((**إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ**) قال عروة : فقلت لعائشة : ما بالي أن لا أطوف بين الصفا والمروة ! قال الله : (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا) فقالت : يا ابن أختي ألا ترى أنه يقول : (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ) قال الزهري فذكرت ذلك لأبي بكر(٣) بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقال : هذا العلم ، قال أبو بكر : ولقد سمعت رجالاً من أهل العلم يقولون لما أنزل الله الطواف بالبيت ولم ينزل الطواف بين

---

(١) سورة الرعد الآية ٢٨ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار والحث على ذكر الله تعالى (٢٠٦٠/٤) ح رقم ٢٥٩٩ ، والبخاري : كتاب التوحيد باب قوله تعالى يحذركم الله ٣٠٦/٤ ، والترمذي : ٤٩ كتاب الدعوات ، ١٣٢ باب حسن العلم بالله (٥٨١/٥) ح رقم ٣٦٠٣ ، والنسائي (٤١٢/٤) ح رقم ٧٧٣٠ وابن ماجة ، ٣٣ كتاب الأدب ، ٥٨ باب فضل العمل (٣٤٦/٣) ح رقم ٣٨٢٢

(٣) أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر القشيري المدني أحد الفقهاء السبعة ، كنيته أبو عبد الرحمن ، تابعي ثقة فقيه ، عالم كثير الحديث زاهد ، روى عن أبيه وأبي هريرة وغيرهما ، وعنه أولاده والزهري وغيرهم ، ولد في خلافة عمر ومات سنة ثلاث وتسعين . انظر تهذيب التهذيب لابن حجر ٣٤/١٢ .

الصفا والمروة ، قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا كنا نطوف في الجاهلية بين الصفا والمروة وأن الله قد ذكر الطواف بالبيت ولم يذكر الطواف بين الصفا والمروة فهل علينا من حرج أن لا نطوف بهما ؟ فأنزل الله **(إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ)** الآية كلها ، قال أبوبكر فاسمع هذه الآية فنزلت في الفريقين كليهما ، فيمن طاف وفيمن لم يطف(١) . (٣٨٦/١)

دراسة النص :

قال الأصفهاني : المراد بالصفا والمروة : خلوص الشئ من الشوب ، وأصله من الصفو ، ومنه الصفا للحجارة الصافية ، والصفا جمع صفاة وهي الصخرة الملساء وهي واحد ، وأنه يثنى (صفوان) ويجمع (أصفاء وصفياء وأصفياء) أما المروة : فإنها الحصاة الصغيرة ويجمع قليلها (مروان) وكثيرها (المرو) وهي حجارة بيض ذا برقة ، تكون فيها النار وتقدح منها النار ويتخذه أداة كالسكين يذبح بها وهي صلبة(٢) .

وقال الطبري : وإنما عني الله تعالى ذكره بقوله (إن الصفا والمروة) في هذا الموضع الجبلين المسمين بهذين الأسمين اللذين في حرمه دون سائر الصفا والمروة لذلك أدخل فيهما الألف واللام(٣) .

ويتضح لنا من النص أن سبب نزول(٤) هذه الآية قوم كانوا في الجاهلية لا يسعون بين الصفا والمروة ، فلما جاء الإسلام تخوفوا السعي بينهما كما كانوا يتخوفونه في الجاهلية فأنزل الله (إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ) الآية .

وقال الطبري : والراجح من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره قد جعل الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله كما جعل الطواف بالبيت من

---

(١) تخريج النص : أخرجه مسلم ٦٨ كتاب التفسير ، ٤ باب مناة الثالثة الأخرى ، سورة النجم ١٨٤/٤ ح رقم ٤٥/١٠ ، الترمذي ٤٨ كتاب التفسير ٣ باب في سورة البقرة ٢٠٨/٥ ح رقم ٢٩٦٥ ، وابن حبان في ٣ كتاب الحج ، ٩ باب السعي بين الصفا والمروة ١٤٩/٩ ح رقم ٣٨٤٠ وأحمد في مسنده ٢٦٢/٦ وذكره الطبري في جامع البيان ٥١/٢ ح رقم ٢٣٥٨ .

(٢) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٢٨٣ .

(٣) جامع البيان للطبري ٤٧/٢ .

(٤) انظر أسباب النزول للواحدي ٤٢ .

شعائره([1]) أي معالمه التي جعلها لعباده معلماً ومشعراً يعبدونه عندها ، فأما قوله (فلا جناح) فجائز أن يكون قيل كلا الفريقين الذين تخوف بعضهم الطواف بهما من أجل الصنمين وبعضهم من أجل كراهتهم بالطواف بهما من الجاهلية ، وأي الأمرين كان من ذلك في قول الله (فلا جناح) الآية دلالة على أنه عني به وضع الحرج عمن طاف بهما من أجل أن الطواف بهما كان غير جائز ليحظر ذلك في وقت رخص فيه([2]) وهي لا تدل لأحد الفريقين لأن سببها وعلمنا هو رفع الجناح وهو الإثم وأصله من الجنوح وهو الميل على من تطوف بالصفا والمروة بعد أن كانوا يتحرجون من السعي بينهما لوجود صنمين في الجاهلية فأبان الله تعالى أن يطاف بهما من أجل الله وأنهما من شعائره([3]) .

وأحسب أن الآية نزلت في الفريقين كليهما فيمن طاف وفيمن لم يطف لما جاء في أسباب النزول وهو قول جماعة أهل العلم .

ومما يعضد ذلك أيضاً ذكره البخاري([4]) ولم يذكره غيره .

ومما تقدم نلاحظ أن السبب في نزول الآية هو نفي الحرج من أذهانهم من الطواف بينهما ، وبمعرفة سبب النزول اهتدى إلى المقصود منها وزوال الإشكال([5]) والله تعالى أعلم .

واختلف العلماء في وجوب السعي بين الصفا والمروة .

فقال الشافعي وابن حنبل([1]) هو ركن([2]) .

([1]) جمع شعيرة وهي المشاعر أيضاً وواحدها مشعرة وهي العلامة . انظر الصحاح للجوهري ٢٩٨/٢ .

([2]) جامع البيان للطبري ٥٢/٢ .

([3]) التفسير المنير للزحيلي ٥٤/٢ .

([4]) انظر صحيح البخاري ٣١٥/٣ .

([5]) انظر دراسات في علوم القرآن محمد سالم عبيد ، دار الشرط ١٤١١/١هـ-١٩٩٠م ص٦٣ .

ولا يجزى تاركه أو ناسيه إلا بالعودة كما روي في الحديث عن عائشة قالت : (لعمري ما أتم الله حج من لم يسع بين الصفا والمروة ولا عمرته ولأن الله قال : (إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ))(٣) . وهو المشهور في مذهب مالك لقوله عليه الصلاة والسلام (اسعوا فإن الله كتب عليكم السعي)(٤) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : (من نسى السعي بين الصفا والمروة حتى يشهد عن مكة فليرجع فليسع ، وإن كان قد أصاب النساء فعليه العمرة والهدي)(٥)(٦) .

وقال الإمام أحمد : هو واجب(٧) وليس بركن فإن تركه عمداً أو سهواً جبره بدم ، وقال أبو حنيفة : أنه مستحب واحتج بقوله (وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً)(٨) .

ونرى أن الراجح من هذه الأقوال قول من قال : (أن السعي بينهما فرض واجب وأن على من تركه العود لقضائه ناسياً أو عامداً لأنه لا يجزيه غير ذلك ، وأن الآية تدل على وجوب السعي بينهما بالأخبار عنهما بأنهما من شعائر الله وهو ثابت في الصحيحين(٩) .

ومنها قوله صلى الله عليه وسلم : (خذوا عني مناسككم)(١٠) .

---

(١) أحمد بن حنبل هو الإمام حقاً وسيف الإسلام صدقاً أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله ولد سنة ١٦٤هـ وطلب العلم وهو ابن خمسة عشر سنة . انظر سير أعلام النبلاء ١١/١٧٧-١٧٩ للذهبي .

(٢) الركن هو ما يتم به الشئ وهو داخل فيه . انظر جامع لمسائل الأصول والفقه وتطبيقها على المذهب الراجح د. عبد الكريم علي بن محمد النملة – مكتب الرشد – الرياض ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م ص١١٥ .

(٣) أخرجه البخاري ٣٣ كتاب العمرة ، ١٠ باب يفعل في العمرة ما يفعل في الحج ٢/٦٣٥ ح رقم ١٦٩٨ ومسلم ١٥ كتاب الحج ، ٤٣ باب السعي بين الصفا والمروة ركن لا يصح الحج إلا به ٢/٦٢٨ ح رقم ١٢٧٧ .

(٤) أخرجه أحمد في مسنده ٦/٤٢٢ وذكره الزيلعي في نصب الراية ٣/٥٧ .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ص ٢٠ كتاب الحج ٤٣ باب جامع السعي ٣٧٥ ح رقم ٣ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢/١٨٨ .

(٧) الواجب لغة الساقط ، واصطلاحاً هو ما ذم تاركه شرعاً مطلقاً . انظر الجامع لمسائل الأصول – د. عبد الكريم بن علي ٢٣ .

(٨) سورة البقرة الآية ١٥٨ تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/١٩٠ .

(٩) انظر صحيح البخاري ٢/٦٣٥ ، صحيح مسلم ٢/٢٩٨ .

(١٠) أخرجه أبو داود في المناسك ، باب رمي الجمار ٢/٢٠١ ح رقم ١٩٧٠ ، ومسلم ١٥ كتاب الحج ، ٥١ باب استحباب رمي الجمرة والنحر راكباً وبيان قوله (لتأخذوا مناسككم) ٢/٩٤٣ ح رقم ١٢٩٧ ، أحمد في مسنده ٣/٣١٨ .

وقد سن صلى الله عليه وسلم الطواف بينهما فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما (ابدأوا بما بدأ الله فبدأ بالصفا)([1]) .

والعمل على هذا عند أهل العلم أنه يبدأ بالصفا قبل المروة فإن بدأ بالمروة لم يجوز يبدا بالصفا .

ونفي الجناح عن الذي يطوف بهما لا يدل على أكثر من كونه غير منهي عنه وإنما جاء لإفادة إباحة الطواف لمن كان تحرج منه في الجاهلية أو من كان يطوف به في الجاهلية قصد للأصنام ومراده أنه لا جناح عليك أن تفعل نص في نفي الإثم .
وهذا ما ذهب إليه المفسرون([2]) .

وعلى أي حال فإن الآية الكريمة لا تتنافى فعل السعي بين الصفا والمروة وقد تأكدت بفعل النبي صلى الله عليه وسلم وبما تواتره الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم كما بين والله أعلم .

وأحسب أن كانت الآية كما قال الإمام الطبري ، قد خرجت مخرج الخبر إلا أن المراد الأمر ، لأن الله تعالى ذكره قد أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم باتباع ملة إبراهيم عليه السلام فقال له : (ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا)([3]) .

فمعلوم أن إبراهيم عليه السلام قد عمل بالسعي وسنه لمن بعده وقد أمر نبينا صلى الله عليه وسلم أمته باتباعه فعليهم العمل بذلك([4]) .

قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠)(البقرة:١٨٠) .

١٧/٢٤ عن الزهري قال : جعل الله الوصية حقاً مما قل منه ومما كثر([5]) . (٤٢٣/١)

([1]) أخرجه الترمذي ٣٥ كتاب الحج ، ١٥ باب أن يبدأ بالصفا قبل المروة ٢١٦/٣ ح رقم ٨٦٢ .

([2]) انظر التفسير للطبري ٥٣/٢ ، القرطبي ١٨٨/٢ ، ابن كثير ١٩٠/١ ، وابن عطية ٤٠/٢ وابن عاشور ٦٢/٢ ، الشوكاني ٢٣٧/١ ، الكشاف ٢٠٨/١ ، والعربي ٤٧/١ .

([3]) سورة النحل الآية ١٢٣ .

([4]) انظر جامع البيان للطبري ٤٧/٢ .

([5]) تخريج النص : أخرجه ابن قدامة في المغني ، كتاب الوصايا ، (٥٥/٦)

الدراسة :

مناسبة هذه الآية لما قبلها قوله تعالى : (وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ)(١) وذلك لما ذكر تعالى القتل في القصاص والدين اتبع ذلك بالتثنية على الوصية وبين أنه مما كتبه على عباده حتى يتنبه كل أحد فيوصي ، مفاجأة الموت فيموت على غير وصية(٢) .

والوصية تطلق على فعل الموصي وعلى ما يوصي به من مال أو غيره من عهد ونحوه ، وهي من وصيت بالشئ أصيه إذا وصيته وسميت وصية لأن الميت يصل بها ما كان في حياته بعد مماته ، وتطلق شرعاً على ما يقع به الزجر عن المنهيات والحث على المأمورات والمراد بالموت هنا حقيقته لا مقدماته ،

فيكون الخطاب متوجهاً إلى الأوصياء والورثة(٣) .

واجتمعت الأمة على أن المراد من قوله (إِن تَرَكَ خَيۡرًا) بأن الخير هو المال(٤) .

واختلفوا في مبلغ المال الذي تقع هذه الوصية فيه على أقوال :

أولاً : أنه من ألف درهم إلى خمسمائة قاله إبراهيم النحعي(٥) .

الثاني : أنه المال الكثير الفاضل عن نفقة العيال وهو ما روي عن عائشة(٦) .

الثالث : قيل أربعة آلاف درهم ، وهذا قول من قدر الخير بالمال ، وأما من قدره بمطلق الكثرة فإن ذلك يختلف بحسب اختلاف حال الرجل وكثرة عياله وقلتهم قاله الجصاص(٧) .

والأولى بالصواب في تأويل قوله : ((إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ) .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٧٩ .

(٢) البحر المحيط لابن حبان ١٦/٢ .

(٣) انظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام أبي العلي محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ، صححه عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر ١٢٨٣-١٣٥٣هـ (٠٠/٦) .

(٤) انظر التفسير للطبري ١٢٥/٢ ، القرطبي ٢٦٥/٢ ، أبي حيان ١٧/٢ ، وابن عطية ٩٢/٢ والشوكاني ٢٦٢/١.

(٥) البحر المحيط لأبي حيان ١٧/٢ التفسير المنير للزحيلي ١٢٠/٢ جامع البيان للطبري ١٢٥/٢ .

(٦) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٩١/١ .

(٧) لباب التأويل في معالم التنزيل للخازن ١١١/١ .

ما قاله الزهري ، لأن القليل المال وكثيره يقع عليه خير ولم يحد الله ذلك بحد ولا خص منه شيئاً ، فيجوز أن يحال الظاهر للباطن فكل من حضرته منيته وعنده مال قل ذلك أو كثر عليه أن يوصي منه لمن لا يرث من آبائه وأقربائه الذين لا يرثون لمعروف ، كما قال جل ذكره وأمر به .

قول الزهري وافقه عليه الإمام الطبري([1]) .

وأحسب أن كل هذه الأقوال لا برهان عليها ، والصحيح أن الحكم لم يختلف ولا يختلف بقلته أو كثرته ، بل يوصي من القليل قليلاً ومن الكثير كثيراً وحيث ورد ذكر المال في القرآن فهو يسمى بالخير كقوله تعالى : (وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ)([2]) كما ورد في السنة : (لا يأتي الخير إلا بالخير)([3]) .

ونرى أن ذلك يختلف بحسب اختلاف حال الرجل وكثرة عياله وقلتهم وكذلك أن القدر الذي يجب فيه الوصية يختلف باختلاف الأعراف واختلاف الأعراف يختلف باختلاف الأعصار فقد يكون المبلغ كثيراً في عصر قليلاً في عصر آخر ، وهذا سبب باختلاف العلماء في الحد الذي تجب فيه الوصية وحاصله كما أرى أنه نسبي يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال([4]).والله تعالى أعلم .

والمعنى العام للآية : فرض عليكم أيها المؤمنون الوصية للذين لا يرثون وهو ما أذن الله فيه وأجازه في الوصية ، وإذا مات أحدكم كتب عليكم إنفاذ الوصية والعمل بها وليس المراد كتب عليكم أن يوصي أحدكم عند الموت لأنه في شغل حينئذ ، وإنما المعنى كتب عليكم الوصية أن توصوا وأنتم قادرون على الوصية([5]) .

قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ

([1]) انظر جامع البيان للطبري ١٢٧/٢ .

([2]) سورة العاديات الآية ٨ .

([3]) أخرجه مسلم ١٢ كتاب الزكاة ، ٤١ باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ٧٢٨/٢ ح رقم ١٢٢ .

([4]) انظر تفسير المراغي ٩٥/٢ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٧١/١ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ٣٥٧/٥

([5]) جامع البيان للطبري ١٢٧/٢ ، معاني القرآن وإعرابه للزجاج ١٣٠/١ .

مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾) (البقرة:١٨٣-١٨٤) .

١٨/٢٥ عن ابن شهاب في قوله تعالى : (وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ) أي أن الصيام خير لكم من الفدية([1]) . (٣٢٨/١)

الدراسة :

مناسبة الآية ما قبلها أنه أضيف لها أولاً : (بكتب القصاص)([2]) وهو إتلاف النفوس وهو من أشق التكاليف ثم أخبر ثانياً (بكتب الوصية) وهو إخراج المال الذي هو عديل الروح ثم انتقل ثالثاً إلى (كتب الصيام) وهو منهك للبدن مضعف له مانع قاطع ما ألف الإنسان من الغذاء بالنهار فابتدأ بالأشق ثم بالأشق بعد ثم بالشاق فهو انتقال فيما كتبه الله على عباده في هذه الآية([3]) .

واختلف أهل التأويل في الذين عني الله قوله: (كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ) وفي المعنى الذي وقع فيه التشبيه بين فرض صومنا وصوم الذين من قبلنا : فقال بعضهم هم النصارى ، والتشبيه هو اتفاقهما في الوقت والمقدار الذي هو لازم لنا اليوم فرضه وهو ما قاله الشعبي والربيع والسدي وافقهم ابن شهاب .

فالمعنى أن الله سبحانه كتب على هذه الأمة صوم رمضان كما كتبه على الذين من قبلهم وقيل : عني بهم أهل الكتاب قاله مجاهد ووجه الشبه الوجوب([4]) .

وذكر الإمام الرازي : ((وَأَن تَصُومُواْ) الخطاب راجع إلى المريض والمسافر والذين يطيقونه أي اللفظ عام وهو الأرجح([5]) .

([1]) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره ١٤٣/٢ ، تفسير (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) .

([2]) سورة البقرة ، الآية ١٧٨ ،قوله تعالى : (كتب عليكم القصاص في القتلى ..)

([3]) البحر المحيط لابن حيان ٢٨/٢ .

([4]) انظر التفسير للطبري ١٣٤/٢ ، الرازي ٦٠/٣ والشوكاني ٢٦٥/١ ، ابن الجوزي ١٨٤/١ .

([5]) التفسير الكبير ٧٠/٥ .

وقال ابن حجر : الخيرية لا تدل على الوجوب بل المشاركة في أصل الخير ودعوى الوجوب في خصوص الصيام في هذه الآية ليست بظاهرة بل هو واجب مخير من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم فنصت الآية على أن الصوم أفضل ، وكون بعض الوجوب المخير أفضل من بعض لا إشكال فيه(١) .

وقوله تعالى : ((وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ)) فيه دلالة واضحة على أن الصوم في السفر أفضل من الإفطار ، وفيه دلالة على أن صوم يوماً تطوعاً أفضل من صدقة نصف صاع(٢) .

قوله تعالى : (شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥)(البقرة:١٨٥) .

١٩/٢٦ عن الزهري قال : تسبيحة في شهر رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره(٣) . (٣٤١/١)

٢٠/٢٧ عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم الفطر فيكبر حتى يأتي المصلى وحتى تقضى الصلاة،فإذا قضى الصلاة قطع التكبير(٤) . (٣٥١/١)

الدراسة :

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر ٣٤٠/٤٠ .

(٢) أحكام القرآن للجصاص ١٨٠/١ .

(٣) تخريج النص : أخرجه الترمذي في سننه ، (٥١٤/٥) رقم ٣٤٧٢

(٤) تخريج النص : مصنف ابن أبي شيبة للإمام الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان ابن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ ، المطبعة العزيزية ، حيدر أباد ، الهند ١٣٨٦هـ ، باب في التكبير إذا خرج إلى العيد (٤٨٧/١) رقم الحديث ٥٦٢١

قوله تعالى : ((شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ) الآية (شهر رمضان)

رمضان : مأخوذ من رمض الصائم يرمض إذا حر جوفه من شدة العطش ، والرمضاء : شدة الحر ومنه الحديث (صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال(١))(٢) . رمضت الفصال : تحرق الرمضاء أخفافها فتبرك من شدة حرها .

ورمضان من الرمضاء والجمع رمضانات أو رمضاء ، وسمي بذلك لأنه وافق أيام رمض الحر وقيل لأنه يرمض الذنوب أي يحرقها بالأعمال الصالحة ، وقيل لأن القلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والفكرة في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس والرمضاء في الحجارة المحماة .

وقيل أن اسمه في الجاهلية ناتقاً ، وإنما سمي ناتقاً لأنه كان ينتقهم أي نطقهم لشدته عليهم ، وفي بعض النسخ نائراً(٣) .

قال صلى الله عليه وسلم:(إذا كان رمضان فاعتمري فإن عمرة فيه تعدل حجة)(٤)

والمعنى العام للآية : أي هذه الأيام هي الشهر الذي بدئ فيه إنزال القرآن ثم نزل منجماً في ثلاثة وعشرين سنة ، لهداية الناس إلى الصراط المستقيم ووضوح آياته وإرشادها إلى الحق وجعلها فارقة بين الحق والباطل والفضائل والرذائل لأن لفظ الفرقان مواقاة للفاصلة قبله وهو قوله شهر رمضان ، ثم قال الذي أنزل فيه القرآن ، ثم قال هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فجعل بذلك توافي هذه الفواصل(٥) .

قوله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِى وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾)(البقرة:١٨٦) .

---

(١) وهي الصغار من أولاد الإبل ، جمع فصيل وأكثر ما يطلق في الإبل وقد يقال في البقر الفصيلة من أقرب عشيرة الإنسان ، الفصيل : من أقرب عشيرة الإنسان وأصل الفصيلة : قطعة من لحم الفخذ . أنظر النهاية لابن الأثير (٤٥١/٣) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، ٩ باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال ٥١٦/١ ح رقم ٤١٣ .

(٣) انظر المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٢٠٣ ، جامع البيان للطبري ١٥٠/١ .

(٤) أخرجه النسائي ٩ كتاب الصيام ، ٢٦ باب الرخصة في أن يقال شهر رمضان (١٣٠/٤) ح رقم ٣٣٤ .

(٥) البحر المحيط لابن حيان ٤٠/٢ ، تفسير المراغي ٧٣/٢ .

٢١/٢٨ عن ابن شهاب أنه قال حدثني أبو عبيد(١) مولى عبد الرحمن بن عوف وكان من القراء وأهل الفقه قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت ربي فلم يستجب لي)(٢) . (٣٥٤/١)

الدراسة :

قوله تعالى : ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ) .

سبب نزول هذه الآية خمسة أقوال :

الأول : عندما جاء إعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فسكت ، فأنزل الله ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ) الآية .

الثاني : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تعجزوا عن الدعاء ، فإن الله أنزل علي (ادعوني استجب لكم) فقال رجل : يا رسول الله ربنا يسمع الدعاء أم كيف ذلك؟ فأنزل الله ((وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ) .

الثالث : قال عطاء أنهم قالوا : يا رسول الله أي ساعة أحب إلى الله أن ندعو فيها دعوانا ، فنزلت الآية .

الرابع : أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا أين الله فنزلت هذه الآية هذا قول الحسن .

القول الخامس : إنه لما حرم في الصوم الأول على المسلمين النوم والأكل والجماع فأكل رجل منهم بعد أن نام ووطئ ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف التوبة عما عملت فنزلت هذه الآية ، قاله مقاتل(٣) .

---

(١) أبو عبيد هو : القاسم بن سلام البغدادي أبو عبيد الإمام المشهور ، ثقة فاضل مصنف ، من العاشرة ، مات سنة أربع وعشرين ومائة . التقريب ٥٨٤ .

(٢) تخريج النص : أخرجه البخاري ٨٠ كتاب الدعوات ، باب رقم ٢٢ (١٠٣/٧) ومسلم ٤٨ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، ٢٤ باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب ٢٠٩٥/٤ ح رقم ٢٧٣٥ .

(٣) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٣٣/٣٢ .

ليس من عبد مؤمن يدعو الله إلا استجاب له ، فإن كان الذي يدعو به هو له رزق في الدنيا أعطاه الله وإن لم يكن له رزقاً في الدنيا آخره له إلى يوم القيامة ودفع عنه مكروه .

قال الطبري : هنالك وجهين في المعنى في هذا القول :

أحدهما : أن يكون معيناً بالدعوة العمل بما ندب الله إليه وأمر به فيكون تأويل الكلام ، وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ممن أطاعني وعمل بما أمرته به أجيبه بالثواب على طاعته إياي إذا أطاعني ، فيكون معنى الدعاء مسألة العبد ربه ما وعد أولياؤه على طاعتهم بعملهم بطاعته ومعنى الإجابة من الله التي ضنها له الوفاء له بما وعد العاملين له بما أمرهم به([1]) .

فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن دعاء الله إنما هو عبادته ومسألته بالعمل له والطاعة كقوله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ)([2]) .

ثانياً : أن يكون معناه أجيب دعوة الداع إذا دعان إن شئت فيكون مخرجه عاماً في التلاوة خاصاً معناه([3]) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته)([4]) .

وبين تعالى في هذه الآية أخصنا له على عباده وضمن أنهم إذا دعوه أجابهم وعليه نبه بقوله (ادعوني استجب لكم) وقد تضمنت الآية أن من دعاه أجابه وللدعاء المجاب شرائط هي :

أ/ أن يدعو بأحسن الأسماء كما قال تعالى:(وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا)([5]).

([1]) جامع البيان ٢/٥٨-٦٠ .

([2]) سورة غافر الآية ٦٠ .

([3]) جامع البيان للطبري ٢/١٥٨-١٦٠ .

([4]) أخرجه أحمد في مسنده ٣/٢٣٥ .

([5]) سورة الأعراف الآية ١٨٠ .

ب/ ويخلص النية .

ج/ يظهر الافتقار .

د/ ولا يدعو بإثم ولا بما يستعين به على معاداته .

و/ وأن يعلم أن نعمته فيما يمنعه من دنياه كنعمته فيما خوله وأعطاه .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : (استجيب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول دعوت الله فلم يستجب لي)([1])([2]) .

قال تعالى : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾) (البقرة:١٨٧)

٢٢/٢٩ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن عروة وعن عائشة : (ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ، ثم اعتكف أزواجه من بعده ، والسنة في المعتكف أن لا يخرج إلا لحاجة الإنسان ولا يتبع جنازة ، ولا يعود مريضاً ولا يمس امرأة ولا يباشرها ، ولا اعتكاف إلا في مسجد

([1]) أخرجه ابن ماجة ٣٤ كتاب الدعاء ، ٧ باب يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ٣٥٨/٣ ح رقم ٣٨٥٣ .

([2]) انظر محاسن التأويل في معالم التنزيل للقاسمي ٩٢/٢ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٩٠/١ .

جماعة ، والسنة إلى آخره . فقد قيل : إنه من قول عروة . وقال الدارقطني : هو من كلام الزهري ، ومن أدرجه في الحديث فقد وهم)([1]) . (٣٦٤/١)

٢٣/٣٠ عن الزهري قال : (من أصاب امرأته وهو معتكف فعليه من الكفارة مثل ما على الذي يصيب رمضان)([2]) (٣٦٤/١)

دراسة النص :

أورد السيوطي في كتابه أن سبب نزول هذه الآية أنهم كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا فإذا ناموا امتنعوا .

وكذلك قيل أن رجلاً من الأنصار يقال له قيس([3]) بن صرمة صلى العشاء، ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح فأصبح مجهوداً وكان عمر أصاب من النساء بعدما نام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فأنزل الله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) إلى قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل)([4]) .

(وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ) قيل المراد المباشرة هنا الجماع وقيل تشمل التقبيل واللمس إذا كان لشهوة إما إذا كان لغير شهوة فهما جائزان قاله عطاء والشافعي وابن المنذر([5]) وغيرهم([6]) .

(وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ) في حالة عكوفهم في المساجد وتلك حال حبسهم أنفسهم على عبادة الله تعالى (والعكوف) أصله المقام وحبس النفس كما قال الفرذدق([1]) :

([1]) تخريج النص : أخرجه البخاري ٣٣ كتاب الاعتكاف ، ١ باب الاعتكاف في العشر الأواخر ١٠١/٢ ح رقم ٢٠٢٦ ، ومسلم : ١٤ كتاب الاعتكاف ، ١ باب اعتكاف العشر الأواخر من رمضان ٨٣١/٢ ح رقم ١١٧٢ . البيهقي في شعب الإيمان كتاب الصيام ، ٢٤ باب الاعتكاف ٥٢٠/٧ ح رقم ٣٦٧٦ . سنن الدار قطني : كتاب الصيام ، باب الاعتكاف ٢٠١/٤ ح رقم ١١-١٢ .

([2]) تخريج النص : أخرجه ابن ابي شيبة في مصنفه (٣٣٨/٢) ح رقم (٩٦٨٥) وذكره السيوطي وعزاه إلى ابن أبي شيبة .

([3]) قيس بن صرمة بن أنس بن مالك بن عدي كان رجلاً قد ترهب في الجاهلية ثم اسلم فحسن إسلامه كان قولاً بالحق . أسد الغابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ٢٥٦/٦ .

([4]) لباب النقول للسيوطي ٣٣ .

([5]) ابن المنذر هو الحافظ العلامة الفقيه الأوحد أبو بكر محمد بن إبراهيم النيسابوري شيخ الحرم ، صاحب الكتب ، لم يؤلف مثلها ككتاب المبسوط في الفقه ، حدث عنه ابن المقري وغيره ، توفى سنة ٣١٨هـ . تذكرة الحفاظ ٧٧٢/٣ .

([6]) فتح القدير للشوكاني ٢٧٦/١ .

ترى حولهن المعتقين(٢) كأنهم على صنم في الجاهلية عكف

الاعتكاف في اللغة : لزوم الشئ وحبس النفس عليه .

أما شرعاً : هو المقام في المسجد من شخص مخصوص على صفة مخصوصة وهو ليس بواجب إجماعاً إلا على من نذره(٣) .

وأجمع العلماء على أن الاعتكاف ليس بواجب وهو نافلة من النوافل ولا يكون إلا في المسجد واتفقوا على أن لا حد لأكثره واختلفوا في أقله ، فقال مالك وأبو حنيفة أقله يوم وليلة ، وقال الشافعي : أقله لحظة .

وقال ابن عربي(٤) : الاعتكاف سنة مؤكدة(٥) .

والمعنى العام للآية : من قوله تعالى (وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِ) أي لا تباشروا النساء حال عكوفكم في المساجد للعبادة فإن المباشرة تبطل الاعتكاف ولو ليلاً كما تبطل الصيام نهاراً ، ثم استثني من عموم الإباحة المباشرة التي تفهم من قوله (أحل لكم) منع المباشرة حين الاعتكاف وكما أشار ذلك بقوله (ولا تباشروهن) وأحسب أن المقام مقام بيان وإيضاح لا يبقى معه الإبهام ولا للإبهام مجال(٦) .

وقوله تعالى (وأنتم عاكفون في المساجد) حرم الله تعالى المباشرة في المسجد وذلك يحرم خارج المسجد ويدل على كراهية الاعتكاف للنساء في المسجد(٧) .

---

(١) الفرذدق هو همام بن غالب بن صعصعة التيمي المعروف بالفرذدق الشاعر أبو فراس وهو من أهل البصرة عظيم الشرف ، توفى وقد قارب المائة له ديوان شعر . معجم المؤلفين ٦٥/٤ .

(٢) المعتقين : طالب العفو . ديوان الفرزدق ، دار صادر بيروت ٢٩/٢ .

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢٧١/٤ ، غريب القرآن ٧٥/١ .

(٤) ابن العربي هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله العاقري الأندلسي الأشبيلي المالكي المعروف بابن العربي . أبو بكر عالم مشارك في الحديث والفقه والأحوال وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ ولد بأشبيلية (٤٥٦/٢) معجم المؤلفين ، تراجم مصنفي الكتب العربية / عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ط١ ١٤١٤هـ .

(٥) جامع البيان ١٧٩/٢ الجامع الأحكام القرآن ١٣٣١/٢ .

(٦) تفسير المراغي ٧٩/٢ تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٤٥/٢ .

(٧) أحكام القرآن للجصاص ٢٤٢/١ .

وقد وقع الاختلاف في المسجد الذي يكون فيه الاعتكاف على أقوال نذكر منها قول الجمهور وهو يجوز الاعتكاف في كل مسجد من المساجد لعموم قوله (في المساجد) وهو الصحيح لأن الآية لا تعين مسجداً مخصوصاً فيبقى اللفظ على عمومه([1]) .

قال تعالى : (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾) (البقرة:١٨٩)

٢٤/٣١ عن الزهري قال : كان ناس من الأنصار إذا أهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السماء يتحرجون من ذلك ، وكان الرجل يخرج مهلاً بالعمرة فتبدوا له الحاجة فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء ، فيفتح الجدار من ورائه ، ثم يقوم في حجرته فيأمر بحاجته فتخرج إليه من بيته ، حتى بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل زمن الحديبية بالعمرة ، فدخل حجرة ، فدخل رجل على إثره من الأنصار من بني سلمة([2]) فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : إني أحمس . وكان المحمس لا يبالون ذلك ، فقال الأنصاري:وأنا أحمس،يقول:وأنا على دينك فأنزل الله (وليس البر)([3]) . (٣٦٩/١)

دراسة النص :

جاء في التفسير كان الناس في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا أحرم الرجل منهم بالحج والعمر ، لم يدخل حائطاً ولا بيتاً ولا داراً من بابه فأنزل الله تعالى : (وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا) قال قتادة والسدي والربيع([4]) .

إلا أنهم اختلفوا في السبب الذي من أجله فعلوا ذلك .

([1]) تفسير آيات الأحكام للصابوني ٢١٤/١ .

([2]) بنو سلمة هم بطن من الخزرج من الأزد ومن القحطانيين وهم بنو سلمة بن سعد بن راشد بن سعادات بن الخزرج ينسب إليهم كثير من الصحابة . انظر معجم قبائل العرب ٥٣٧/٣ .

([3]) تخريج النص : أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢٢٦/١)

([4]) جامع البيان للطبري ١٩٣/٢ ، المحرر الوجيز لابن عطية ١٣٦/٢ .

وقيل فيه : إن أهل المدينة كانوا إذا رجعوا من عيدهم فعلوا ذلك قاله عطاء وقيل : كان الرجل إذا اعتكف فعل ذلك قاله محمد بن كعب القرظي .

فنزلت الآية فهو على خلافهم([1]) .

وقيل : أن ذلك وقع في عمرة الحديبية قاله الإمام الزهري فإن ذلك كله يتناول الحج والعمر والأقرب الإمام الزهري وبين السبب في صنيعهم ذلك أن الرجل إذا أهل رفع صوته بالتلبية لم يدخل بيته من الباب من السقف أن يحول بينه وبين السماء .

وأحسب أن الروايات اتفقت على نزول الآية في سبب الإحرام إلا ما قاله الحسن فجعل ذلك من باب الطيرة والتشاؤم([2]) .

والجدير بالذكر أن ملخص هذه الأسباب أن الله سبحانه وتعالى أنزل هذه الآية راداً على من جعل إتيان البيوت من ظهورها براَ ، أما إتيان البيوت من أبوابها وهذه الأسباب تضافرت على أن البيوت أريد بها الحقيقة وأن الإتيان هو المجئ إليها والحمل على الحقيقة أولى من ادعاء المجاز مع مخالفة ما تضافر من هذه الأسباب ومن المعلوم أنه تعالى حكيم فأفعاله جارية على الحكمة رد عليهم بأن ما يفعلونه من إتيان البيوت من ظهورها إذا أحرموا ليس من الحكمة في شئ ولا من البر .

ولما وقعت القصتان في وقت واحد نزلت الآية فيهما معاً ووصل (وليس البر) بقوله (يسألونك عن الأهلة) وأما حمل الإتيان والبيوت المجاز ففيه نظركما وضحنا

والأجدر أن يطلبوا البر من أهله ووجهه ولا تطلبوه من ال----المشركين فمن أتى البيت من بابه فقد أصاب ، ومن أتاه من خلفه فقد أخطأ وأحسب هذا ما ذهب إليه أكثر المفسرين والله أعلم .

وعلى هذا يكون معنى الآية إذاً : (وليس البر أيها الناس بأن تأتوا البيوت في حال إحرامكم من ظهورها ولكن البر من أتقى الله فخافه وتجنب محارمه وأطاعه بأداء فرائضه التي أمره بها فأما إتيان البيوت من ظهورها فلا بر لله فيه فأتوها من حيث شئتم من أبوابها وغير أبوابها ما لم تعتقد تحريم إتيانها من أبوابها في حال من الأحوال

([1]) زاد المسير في علم التفسير ١٩٥/١ ، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢١٥/١ .

([2]) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٧٥٩/٣ .

فإن ذلك غير جائز لكم اعتقاده لأنه مما لم أحرمه عليكم (واتقوا الله) رجاء أن تفلحوا في أعمالكم وتبلغوا غاية آمالكم (وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا)(١)(٢) .

قال تعالى : (ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤) (البقرة:١٩٤)

٢٥/٣٢ عن عروة وابن شهاب قالا : (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام القابل من عام الحديبية معتمراً في ذي القعدة سنة سبع وهو الشهر الذي صده فيه من المسجد الحرام ، وأنزل الله في تلك العمرة ((ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ) فاعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشهر الذي صد فيه)(٣) . (٣٣٧/١)

دراسة النص :

جاء في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في عمرة القضاء وهو قول ابن شهاب وافقه ابن عباس وعطاء وابن أبي العالية(٤) والسدي والضحاك وابن زيد(٥)

وقيل أيضاً : أن مشركي العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : أنهيت قتالنا في الشهر الحرام ؟ قال نعم وأرادوا في الشهر الحرام ، فيقاتلوه فيه فنزلت الآية ومعناها : إن استحلوا منكم شيئاً في الشهر الحرام،فاستحلوا منهم مثله هذا قول الحسن .

---

(١) سورة الطلاق الآية ٤ .

(٢) جامع البيان للطبري ١٥٥/٢ ، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٦٩/٢ .

(٣) تخريج النص : أخرجه ابن عبدالبر في الاستيعاب (١٩١٧/٤) فتح الباري ٥٠٠/٧ (وكذلك ذكر موسى بن عقبة عن بن شهاب وأبو الأسود عن عروة وسليمان التيمي جميعاً في مغازيهم .. الخ . تفسير الطبري ٣٥٦/١١ ، تفسير (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً .. الخ) / الآية ٢٥ سورة الفتح .

(٤) سبقت ترجمته ص٨٨ .

(٥) جامع البيان للطبري ٢٠٣/٢ القرآن العظيم لابن كثير ٢١٧/١ .

وأما معنى الآية على ما قاله مجاهد وقتادة : الشهر الحرام الذي دخلتم فيه الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه عام أول(١) .

وجاء في تفسير قوله تعالى (وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ) :

والحرمات جمع حرمة والحرمة كل ما منع الشرع من انتهاكه وأراج جل شأنه بالحرمات الشهر الحرام والبلد الحرام وحرمة الأحرام جميعها فقال جل ثناؤه لنبيه عليه الصلاة والسلام والمؤمنين معه دخولكم الحرم بإحرامكم هذا في شهركم هذا ، الحرام قصاص مما منعتم من مثله عامكم الماضي وذلك هو الحرمات التي جعلها الله قصاصاً والقصاص هو المجازاة من جهة الفعل أو القول أو البدن وهو في هذا الموضع من جهة الفعل(٢) .

وقال ابن العربي : هذا دليل على أن لك أن تبيح دم من أباح دمك وتحل مال من استحل مالك ومن أخذ عرضك فخذ عرضه بمقدار ما قال فيك قال تعالى : (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ)(٣) .

وذكر علمائنا أن المماثلة واجبة إلا أن تدخل في حدود التعذيب فتترك إلى السيف لحديث النبي صلى الله عليه وسلم (لا يعذب بالنار إلا الله)(٤)(٥) .

معنى قوله ((ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ) كما قال الطبري : قال الله جل ثناؤه لنبيه عليه السلام والمسلمين يعني ذي القعدة الذي أوصلكم الله به إلى حرمه وعلى كراهة قريش ذلك حتى قضيتم منه بالشهر الحرام ، الذي صدكم مشركو قريش العام الماضي قبله حتى انصرفتم عنه كره منكم عن الحرم فلم تدخلوه ولم تصلوا إلى بيت الله فأقصكم الله أيها المؤمنون من المشركين بإدخالكم الحرم في الشهر الحرام على كره

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٥٣/٢ زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٩٨/١ .

(٢) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٧٧ ، تفسير آيات الأحكام للصابوني ٢٠٢/١ زاد المسير لابن الجوزي ١٩٩/١

(٣) سورة النحل الآية ١٢٦ .

(٤) أخرجه البخاري ، كتاب الإيمان ١٥ باب لا يعذب الله ٧٢/٢ ح رقم ١٣٩ وأبو داود كتاب الجهاد باب كراهية حرق العدو بالنار ٥٤/٣ ح رقم ٩٨ وأحمد في مسنده ٣٣٧/٢ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١١٤/١ .

منهم لذلك بما كان منهم إليكم في الشهر الحرام من الصد والمنع من وصول إلى البيت ، وسمى الله جل ثناؤه ذي العقدة (الشهر الحرام) لأن العرب في الجاهلية كانت تحرم فيه القتال والقتل وتضع فيه السلاح وسموه ذا القعدة لقعودهم فيه عن المغازي والحروب فسماه الله بالاسم الذي كانت العرب تسميه به(١) .

قال تعالى : (وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦) (البقرة:١٩٦)

٢٦/٣٣ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رجلاً مر بعمر ابن الخطاب وقد قضى نسكه فقال عمر : أحججت ؟ قال : نعم فقال له : اجتنبت ما نهيت عنه ؟ فقال : ما ألوت ، قال عمر : استقبل عملك(٢) .

٢٧/٣٤ عن الزهري قال : لا إحصار إلا من حرب(٣) (٣٨٤/١)

٢٨/٣٥ عن الزهري قال : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن حذافة(٤) بن قيس فنادى في أيام التشريق فقال : إن هذه أيام أكل وشرب وذكر الله إلا من كان عليه صوم من هدي)(٥) . (٣٨٨/١)

---

(١) جامع البيان للطبري ٢٠٤/٢ .

(٢) تخريج النص : أخرجه البيقي في شعب الإيمان ٤٧٩/٣) رقم الحديث ٤١١٨

(٣) تخريج النص : أخرجه بن أبي شيبة في مصنفه ٢١٤/٣ ح رقم ١٣٥٥٤ وذكره السيوطي وعزاه إلى ابن أبي شيبة ٣٨٤/١ .

(٤) عبد الله بن حذافة بن سهم بن عمرو بن مصعب بن كعب بن لؤي القرشي السهمي يكنى أبا حذيفة أمه بنت خرسانمن بني النجار ، أسلم قديماً وصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة للهجرة الثانية مع أخيه قيس بن حذافة ، توفى بمصر في خلافة عثمان . انظر أسد الغابة ١٠٢/٣

(٥) تخريج النص : طبقات ابن سعد ، كتاب الواقدي ، مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر ، القاهرة (٢٩٤/٤) .

٢٩/٣٦ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن حذافة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رهط أن يطوفوا في منى في حجة الوداع ، فينادوا أن هذه أيام أكل وشرب وذكر الله فلا صوم فيهن إلا صوماً في هدي(١) . (٣٨٨/١)
٣٠/٣٧ عن الزهري قال : ليس لأحد حاضري المسجد الحرام رخصة الإحصار ، لأن الرجل إذا مرض حمل ووقف به بعرفة ويطاف به محمولاً(٢) (٣٩١/١)

الدراسة :

عن صفوان(٣) بن أمية قال : (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم متضمخ بالزعفران عليه جبة فقال : كيف تأمرني يا رسول الله في عمرتي ؟ فأنزل الله عن العمرة ، قال هانذا فقال له : ألق عنك ثيابك ، ثم اغتسل واستنشق ما استطعت ثم ما كنت صانعاً في حجتك فأصنعه في عمرتك)(٤) .
قوله تعالى (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا) الآية .

روى البخاري عن كعب(٥) بن عجرة أنه سأل عن قوله (فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ) قال حملت إلى النبي صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهي فقال ما كنت أرى أن الجهد بلغ منك هذا أما تجد شاه ؟ قلت : لا ، قال : صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين كل مسكين نصف صاع من طعام وأحلق رأسك فنزلت فيه خاصة وهي لكم عامة(٦) .

---

(١) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره ، (٢٥٠/٢) .

(٢) تخريج النص : لم أقف عليه .

(٣) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحي المكي صحابي مات أيام قتل عثمان وقيل سنة إحدى واثنين وأربعين في أوائل خلافة معاوية (تقريب التهذيب ٢١٨) .

(٤) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٣٨ .

(٥) كعب بن عجرة الأنصاري : المدني أبو محمد صحابي مشهور مات بعد الخمسين وله نيف وسبعون (تقريب التهذيب ٣٩٧) .

(٦) أسباب النزول للواحدي ، تحقيق أحمد صقر ، دار القبلة للثقافة الإسلامية ط٢ ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م (٥٥/٥٤)

قوله تعالى : (وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ) قيل إن هذه الآيات منسوخة ونحن نؤكد على نسخها أيضاً من خلال البينات القرآنية الجلية وقد نسخت بقول الحق عز وجل (فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖ)(البقرة: من الآية١٩٦)([1]) .

قوله تعالى (وأتموا الحج والعمرة لله) .

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم معنى ذلك أتموا الحج بمناسكه وسننه ، وأتموا العمرة بحدودها وسننها .

وقيل أداؤهما والإتيان بهما من دون أن يشوبهما شئ مما هو محظور ولا يخل بشرط ولا فرض .

قال سفيان([2]) الثوري : إتمامهما أن يخرج لهما لا لغيرهما ، وقيل إتمامهما أن تفرد كل واحد منهما من غير تمتع ولا إقران وبه قال ابن جبر([3]) .

وقال مقاتل : إتمامهما أن يستحلوا فيهما ما لا ينبغي لهم ، وقيل إتمامهما أن يحرم لهما من دويرة أصله .

وقيل أن ينفق في سفرهما الحلال الطيب .

قال علقمة([4]) : (وأتموا الحج والعمرة لله) قال : هو قراءة عبد الله وأقيموا الحج والعمرة إلى البيت ، قال لا تجاوزوا بالعمرة البيت([5]) .

قوله تعالى (فإن أحصرتم) :

([1]) الناسخ والمنسوخ /ابن سعد ٥٢ .

([2]) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة مات سنة إحدى وستين . انظر تقريب التهذيب ١٨٤ ح رقم ٢٤٤٥ .

([3]) ابن جبر : المكي المفسر أبو الحجاج المخزومي المقرئ وهو رأس المفسرين من التابعين سبقت ترجمته .

([4]) علقمة هو ابن وقاص الليثي المدني ثقة ثبت أخطأ من زعم أن له صحبة وقيل ولد في عصر النبي صلى الله عليه وسلم مات في خلافة عبد الملك . التقريب ٣٣٧ ح رقم ٤٦٨٥ .

([5]) جامع البيان ٢٠٨/٢-٢٠٩ الجامع لأحكام القرآن ٣٦٥/٢/١-٣٦٦ . فتح القدير ٢٨٨/١ زاد المسير لابن لجوزي ١٨٥/١ .

قال الزجاج : يقال للرجل إذا منعه الخوف والمرض من التصرف قد أحصر وهو محصر يقال للرجل إذا حبس قد حصر فهو محصور([1]) .

والمعنى:فإن أحصرتم دون تمام الحج والعمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي([2])

قوله تعالى : (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) :

عن الزهري قال : (ليس على أهل مكة متعة ولا إحصار إنما يغشون حتى يقضوا حجهم)([3]) (٣٩٢/١)

الدراسة :

أن أهل الحرم أهل مكة لا متعة([4]) لهم لأن المتعة تكون بإسقاط أحد المسفرين([5]) وأهل مكة لا سفر عليهم وهذا النص يفيد أن المشار إليه بذلك في الآية هو التمتع بالعمرة إلى الحج([6]) . وتؤيد ذلك نصوص كثيرة منها :

عن طاووس قتال : (ليس على أهل مكة متعة ثم قرأ (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) فإن فعلوا ثم جعلوا فعليهم مثل ما على الناس)([7]) .

وعنه أيضاً عن أبيه قال : (المتعة للناس أجمعين إلا أهل مكة)([8]) .

وعن مجاهد قال : (ليس على أحد من أهل مكة متعة)([9]) .

وجميعهم يوافقون الإمام الزهري .

([1]) معاني القرآن

([2]) زاد المسير لابن الجوزي ١٨٦/١ .

([3]) تخريج النص : أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٢٣٢/٣١ ح رقم ٥٦٩٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن أبي شيبة .

([4]) تفسير ابن كثير ٢٣٦/١ أحكام القرآن لابن العربي ٢٩/١ الجامع للقرطبي ٤٠٤/٢ .

([5]) انظر المحرر الوجيز لابن عطية ١٥٧/٢ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩٥/٢ .

([6]) جامع البيان للطبري ٢٥٦/٢ معالم التنزيل للبغوي ٢٢٤/١ .

([7]) انفرد به ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٣٢/٣ ح رقم ١٥٦٩٨ وذكره السيوطي ٥٢٣/١ وعزاه

([8]) انفرد به ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٣٢/٣ ح رقم ١٥٧٠٠ وذكره السيوطي ٥٢٣/١ وعزاه ٥٢٣/١ .

([9]) شيبة في مصنفه ٤٣٢/٣ ح رقم ١٥٦٩٥ وذكره السيوطي ٥٢٣/١ وعزاه ٥٢٣/١ .

قوله تعالى : ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾(الآية:١٩٧) .

٣١/٣٨ عن الزهري قال : (الإهلال فريضة الحج)([1]) .

دراسة النص :

الحج هو القصد إلى بيت الله الحرام لأداء المناسك قال الفراء في المعنى من قوله تعالى (أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ) وقت الحج وقال الزجاج معناه أشهر الحج .في أشهر الحج قولان :

القول الأول : أنها شوال وذو القعدة وعشرة من ذي الحجة وهو قول ابن عمر وابن مسعود وابن عباس وابن الزبير وقتادة وعطاء وابن سيرين وابن جرير وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة وأحمد .

القول الثاني : شوال وذو القعدة وذو الحجة قول عمر ومجاهد وعطاء والزهري ومالك([2]) .

قال الطبري : هؤلاء أرادوا أن هذه الأشهر ليست أشهر العمرة وإنما هي أشهر الحج في قوله تعالى : (فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ) .

اختلف العلماء في فرض الحج : فقال ابن عمر وعطاء ومجاهد وابن طاووس التلبية وقال ابن عباس وعطاء وقتادة فرض الحج الإحرام([3]) .

الراجح من الأقوال كما ذكره الإمام الطبري هو الإحرام بالتلبية قصراً وبالإحرام ظاهراً وبالتلبية ليس من أركان الحج وأوجب التلبية أهل الظاهر([1]) .

([1]) تخريج النص : مصنف ابن أبي شيبة ٢٢٣/٣ ، حديث رقم ١٣٦٤٥

([2]) زاد المسير (١٩١/١) تفسير القرآن العظيم (٢٣٥/٢) .

([3]) الجامع لأحكام القرآن (٤٠٦/٢) .

قوله تعالى : (ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩)(الآية:١٩٩) .

٣٢/٣٩ عن الزهري قال : كان الناس يقفون بعرفة إلا قريشاً وأحلافهم وهم الحمس ، فقال بعضهم : لا تعظموا إلا الحرم فإنكم إن عظمتم غير الحرم أوشك أن تتهاونوا بحرمكم فقصدوا عن مواقف الحق ووقفوا بجمع ، فأمرهم الله أن يفيضوا من حيث أفاض الناس من عرفات([٢]) . (٤٠٩/١)

دراسة النص :

تأويل قوله تعالى (مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ) من حيث أفاض إبراهيم عليه السلام ويفيض جميع الناس من عرفة ، حيث أن قريش والحمس كانوا يفيضون من مزدلفة فأمروا بالإفاضة من عرفات .

قال مجاهد : إذا كان يوم عرفة هبط الله إلى السماء الدنيا في الملائكة ، فيقول : هلم إلي عبادي آمنوا بوعدي وصدقوا رسلي فيقول : ما جزاؤهم ؟ فيقال : أن تغفر لهم ؟ فذلك قوله ((ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)([٣]) .

([١]) جامع البيان (٢٧١/٢) .

([٢]) تخريج النص : أخرجه ابن حجر العسقلاني في فتح الباري (٣٢١/٨)

([٣]) جامع البيان تفسير الطبري ٣٠٣/٢ .

وسبب نزول هذه الآية أنه كانت قريش ومن يدين بدينها وهم الحمس يقفون عشية عرفة بالمزدلفة يقولون : نحن قطن البيت وكان بقية العرب والناس يقفون بعرفات فنزلت الآية([1]) .

وذكر القرطبي في قوله تعالى : ((ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ) أن الخطاب للحمس فإنهم لا يقفون مع الناس بعرفات بل كانوا يقفون بالمزدلفة وهي من الحرم مع معرفتهم أن عرفة موقف إبراهيم عليه السلام فقال الله لهم (ثم افيضوا)([2])

وفي المراد بالناس أربعة أقوال :

القول الأول : جميع العرب غير الحمس وهو قول مجاهد وقتادة .

القول الثاني : جملة الأمة قول الضحاك .

القول الثالث : آدم قاله الزهري .

القول الرابع : هم أهل اليمن وربيعة فإنهم كانوا يطوفون من عرفات قول مقاتل([3])

والمراد بالناس إبراهيم عليه السلام كما قال تعالى (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ)([4]) وهو يريد واحد . وفي المراد بالإفاضة هي الإفاضة من مزدلفة إلى منى لرمي الجمار وهو قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن جرير وحكى عليه الإجماع .

والراجح من القول أن المراد من الآية قريش وما كان متحمساً من سائر العرب([5])

قوله تعالى : (وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣)(الآية:٢٠٣) .

([1]) انظر أسباب النزول للواحدي /٣٣ . وذكر السيوطي : أخرج ابن المنذر عن أسماء بنت أبي بكر قالت كانت قريش يقفون بالمزدلفة ويقف الناس بعرفة إلا شيبة بن ربيعة فأنزل الله (ثم أفيضوا) الآية . انظر أسباب النزول للسيوطي (٢٧) .

([2]) الجامع لأحكام القرآن (٤٢٧/٢) .

([3]) زاد المسير (١٩٤/١) .

([4]) سورة آل عمران الآية ١٧٣ .

([5]) زاد المسير (١٩٤/١) .

٣٣/٤٠ عن الزهري قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكبر أيام التشريق كلها([1]) (٤٢٠/١)

الدراسة :

في قوله تعالى ((وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖ) ثلاثة أقوال :

القول الأول : هي أيام التشريق قول ابن عمر وابن عباس ومجاهد وقتادة وآخرين

القول الثاني : إنها يوم النحر ويومان بعده قول علي وابن عمر .

القول الثالث : هي أيام العشر([2]) قول سعيد بن جبير .

قال ابن كثير([3]):يعني التكبير أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبة الله أكبر الله أكبر.

وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الصوم في أيام التشريق وهو يوم النحر والثلاثة أيام التي بعده كما ثبت في الصحيح عن كعب بن مالك أنه حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه وأوس بن الحدثان أيام التشريق فنادى أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن وأيام منى أيام أكل وشرب([4]) .

قوله تعالى : (كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦)(الآية:٢١٦).

٣٤/٤١ عن ابن شهاب في الآية قال : (الجهاد مكتوب على كل أحد غزا أو قعد فالقاعد إن استعين به أعان وإن استغيث به أغاث وإن استغنى عنه قعد)([5]) . (٤٣٨/١)

الدراسة :

اختلف علماء الناسخ والمنسوخ على ثلاثة أقوال :

([1]) تخريج النص : أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٧٢٣٠/٣١٢/٧) .

([2]) زاد المسير (٩٨/١) .

([3]) تفسير القرآن العظيم (٢٤٤/١) .

([4]) صحيح مسلم ١٣ كتاب الصيام ، ٢٣ باب تحريم صوم ايام التشريق وأنها أيام أكل وشرب وذكر لله (٨٠٠/٢) والنسائي ٧ كتاب الحج (١٤/٢) .

([5]) تخريج النص : فتح القدير ٣٢٩/١ ، تفسير (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ..الخ) ٢١٦ البقرة

القول الأول : أنها من المحكم الناسخ للعفو عن المشركين .

القول الثاني : أنها منسوخة لأنها أوجبت الجهاد على الكل فنسخ ذلك قوله تعالى : (وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً)(١) .

القول الثالث : أنها ناسخة من وجه منسوخة من وجه فالناسخ منها إيجاب القتال على أنه فرض والمنسوخ وجوب القتال على الكل(٢) .

قال الزهري : الجهاد واجب على كل أحد غزا أو قعد فالقاعد إذا طلب منه الإعانة أن يعين وإن استنفر أن ينفر لما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق(٣)

اعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم ترك الجهاد أحد شعب النفاق(٤) .

وعن أبي هريرة قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟ قال إيمان بالله ، قال ثم ماذا ؟ قال:الجهاد في سبيل الله،قال ثم ماذا؟قال:حج مبرور(٥) .

قوله تعالى : (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ

---

(١) سورة التوبة الآية ١٢٢ .

(٢) جامع البيان (٢٤٠/٤) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد باب فضل الجهاد (١٣٥/٢) ومسلم باب ذم من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو (٥٦/١٣) .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (٥٦/١٣) .

(٥) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، ١ باب ٣٦ بيان كون الإيمان بالله أفضل الأعمال (٨٨/١) والبخاري كتاب الإيمان ١٨ باب من قال الإيمان هو العمل (١/١٤) والنسائي ٢٥ كتاب الجهاد ، ١٧ باب ما يعدل الجهاد في سبيل الله (١٩/٦) ح رقم ٩١٣ .

وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾(الآية:٢١٧) .

٣٥/٤٢ من طريق الزهري عن عروة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية من المسلمين وأمرّ عليهم عبد الله بن جحش الأسدي ، فانطلقوا حتى هبطوا نخلة ، فوجدوا فيها عمرو بن الحضرمي في عير تجارة لقريش في يوم بقى من الشهر الحرام ، فاختصم المسلمون فقال قائل منهم : هذه غرة من عدو وغنم رزقتموه ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا ، وقال قائل : لا نعلم اليوم إلا من الشهر الحرام ولا نرى أن تستحلوه لطمع أشفقتم عليه ، فغلب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا فشدوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا عيره ، فبلغ ذلك كفار قريش وكان ابن الحضرمي أول قتيل قتل بين المسلمين والمشركين ، فركب وفد كفار قريش حتى قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا : أتحل القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله عز وجل (يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ..) إلى آخر الآية . فحدثهم الله في كتابه : أن القتال في الشهر الحرام حرام كما كان ، وأن الذي يستحلون من المؤمنين هو أكبر من ذلك ، فمن صدهم عن سبيل الله حين يسخمونهم ويعذبونهم ويحبسونهم أن يهاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم بالله وصدهم للمسلمين عن المسجد الحرام في الحج والعمرة والصلاة فيه ، وإخراجهم أهل المسجد الحرام وهم سكانه من المسلمين وفتنتهم إياهم عن الدين ، فبلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم عقل ابن الحضرمي وحرّم الشهر الحرام ، كما كان يحرمه حتى أنزل الله عز وجل (بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)(التوبة: من الآية١)([1])(١/٤٤٩-٤٥٠)

([1]) تخريج النص : أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ٣/٧ باب سرية ، وذكرت مفصلة في طبقات ابن سعد (٢/١٠) والطبري في تاريخه (٢/٤١٠) ومغازي الواقدي (١/١٣-١٩) وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم تأليف محمد بن إسحاق ، مطبعة العاني ، بغداد (٢/٢٣٨-٢٣٩) والدرر (٩٩) لابن عبد البر ، والبداية والنهاية (٣/٢٤٨) والواحدي في أسباب النزول (٦١)

٣٦/٤٣ عن الزهري ومقسم قالا : (لقي واقد بن عبد الله ، عمرو بن الحضرمي أول ليلة من رجب وهو يرى أنه من جمادي فقتله ، فأنزل الله ((يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ..) الآية . قال الزهري : فكان النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا يحرم القتال في الشهر الحرام ، ثم أحل بعد)(١) . (٤٥٠/١)

الدراسة :

الإمام الزهري وافقه ابن عباس .

اختلف العلماء في تحريم القتال في الأشهر الحرم . هل هو باق أم نسخ ؟ على قولين :

أحدهما : أنه باق ، روى ابن جريج أن عطاء كان يحلف بالله : ما يحل للناس الآن أن يغزوا في الحَرم ولا في الأشهر الحُرم ، إلا أن يُقاتلوا فيه أو يغزوا وما نسخت

الثاني : أنه منسوخ قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار : القتال جائز في الشهر الحرام ، هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : (فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ)(٢) وبقوله تعالى : (قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ)(٣)

وهذا قول فقهاء الأمصار(٤) .

والشهر الحرام : شهر رجب ، وكان يدعى الأصم ، لأنه لم يكن يسمع فيه للسلاح قعقعة تعظيماً له (قتال فيه) أي : يسألونك عن قتال فيه (قل قتال فيه كبير) قال ابن مسعود وابن عباس : لا يحل ، قال القاضي أبو يعلى : كان أهل الجاهلية يعتقدون تحريم القتال في هذه الأشهر الحرم فأعلمهم الله تعالى في هذه الآية ببقاء التحريم(٥)

---

(١) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره ، (٣٥٠/٢)

(٢) سورة التوبة الآية ٥ .

(٣) سورة التوبة الآية ٢٩ .

(٤) زاد المسير ٢١٥/١ .

(٥) زاد المسير ٢١٤/١ .

قوله تعالى : ﴿نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾(البقرة:٢٢٣) .

٣٧/٤٤ عن الزهري قال : سألت ابن المسيب وأبا سلمة بن عبد الرحمن عن ذلك فكرهاه ونهياني عنه(١)(٢) . (٤٧٣/١)

الدراسة :

ذكر القرطبي في قوله تعالى ((نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ) كانت اليهود تقول إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها كان الولد أحول فنزلت الآية : ((نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ) زاد في رواية عن الزهري إن كانت مجبية وإن شاء غير مجبية غير أن ذلك في صمام واحد(٣) .

تأويل قوله تعالى ((نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ) قال ابن عباس (فأتوا حرثكم) قال منبت الولد .

قال أبو جعفر : يعني فانكحوا مزدرع أولادكم من حيث شئتم من وجوه المآتي (والإتيان) في هذا الموضوع كناية عن اسم الجماع واختلف أهل التأويل في معنى قوله (أنى شئتم) فقال بعضهم : معنى (أنى) كيف قال بذلك ابن عباس : يأتيها كيف شاء ما لم يكن يأتيها في دبرها أو في المحيض وكذلك قول مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي

وقال آخرون : معنى (أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ) من حيث شئتم وأي وجه أحببتم ، قال بذلك عكرمة ومجاهد .

---

(١) الذي يأتي المرأة في دبرها ، الجامع لأحكام القرآن (٨٨/٣)

(٢) تخريج النص : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٥٦/٤) ، رقم الحديث ٥٣٨٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٨٨/٣) .

وقال آخرون معنى قوله (أَنَّىٰ شِئْتُمْ) متى شئتم قال بذلك ابن عباس من الليل والنهار وكذلك قاله الضحاك .

قال الطبري : والصواب من قال من أي وجه شئتم وذلك أن (أنى) إذا ابتدئ بها في الكلام تدل على المسألة عن الوجوه والمذاهب ، فكان القائل إذا قال للرجل (أنى لك هذا المال) يريد : من أي الوجوه لك كما قال تعالى مخبراً عن زكريا في مسألة مريم (أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ)(١) .

قوله تعالى : (وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾)(الآية:٢٢٧)

٣٨/٤٥ عن ابن شهاب قال : إيلاء العبد نحو إيلاء الحر وهو واجب وإيلاء العبد شهران(٢) . (٤٨٧/١)

٣٩/٤٦ عن الزهري قال : إيلاء العبد من الأمة أربعة أشهر(٣) . (٤٨٧/١) .

الدراسة :

الطلاق أبغض الحلال ويحث الإسلام على المحافظة على الحياة الزوجية فالرجل الذي يحلف لامرأته بالله أن لا ينكحها فليتربص أربعة أشهر فإن هو نكحها كفّر يمينه بإطعام عشر مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام والرجوع خير لما في الحياة الزوجية من مكاسب .

تأويل قوله تعالى ((وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَـٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) وإن تركوا الفئ إليهن في الأشهر الأربعة التي جعل الله لهن التربص فيهن حتى ينقضين طلق منهم نساؤهم اللائي آلو منهن بمضيهن(١) ويؤلون : يحلفون(٢) .

---

(١) سورة آل عمران الآية ٣٧

(٢) تخريج النص : الموطأ للإمام مالك بن أنس ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ – ١٩٥١م ، ٥٥٨/٢ ، ٧ باب إيلاء العبد ، باب الإيلاء كتاب الطلاق ، ح رقم ١١٦٤ ، وصحيح البخاري ٢٠٢٧/٥ ، باب الظهار ، كتاب الطلاق ، قول الله تعالى : (وقد سمع الله قول التي تجادلك في زوجك إلى قوله فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً) المجادلة ١-٤ .

(٣) تخريج النص : أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٨٤/٧) باب ظهار الحر من الأمة ح رقم ١٣١٩٣ .

قوله تعالى : (وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾)(الآية:٢٢٨) .

٤٠/٤٧ من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة أنها انتقلت حفصة بنت عبدالرحمن حين دخلت في الدم من الحيضة الثالثة . قال ابن شهاب : فذكرت ذلك لعمرة بنت عبد الرحمن فقالت : صدق عروة ، وقد جادلها في ذلك ناس قالوا : إن الله يقول (ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ) فقالت عائشة : صدقتم وهل تدرون ما الإقراء ؟ الإقراء الإطهار .

قال ابن شهاب : سمعت أبا بكر بن عبد الرحمن يقول : ما أدركت أحداً من فقهائنا إلا وهو يقول : هذا يريد الذي قالت عائشة([٣]) . (٤٩٠/١)

الدراسة :

عن ابن شهاب في قوله (وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ) قال : بلغنا أن ما خلق الله في أرحامهن الحمل وبلغنا أنه الحيض) ٤٩٠/١)([٤])

اختلف الفقهاء في الإقراء على قولين :

أحدهما : أنها الحيض روى عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي موسى وعبادة بن الصامت وأبي الدرداء وعكرمة والضحاك والسُّدي وسفيان والثوري والأوزاعي والحسن بن صالح وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل .

([١]) جامع البيان ٤٤٠/٢ .

([٢]) جامع البيان ٤٣٠/٢ .

([٣]) موطأ مالك ٥٧٦/٢ ح رقم ١١٩٧ ، باب ما جاء في الإقراء وعدة الطلاق وطلاق الحائض ، كتاب الطلاق . مسند الشافعي (٢٩٦/١) ح رقم ١٤٠٨ ومن كتاب العد والإما كان منه معاداً . سنن البيهقي الكبرى ، كتاب العدد ، باب ما جاء في قوله عز وجل (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ..) ح رقم ١٥١٥٩ .

([٤]) تفسير الطبري ٤٥٢/٢ ، تفسير (والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) البقرة ٢٢٨

والثاني : أنها الأطهار : روي عن زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة وأبان بن عثمان ومالك بن أنس والشافعي ووافقهم الإمام الزهري([1]) .

((وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ) أي حرائر النساء اللائي يطلقن وهن من ذوات الحيض فليس يائسات انقطع عنهن الحيض ولا صغيرات لم يصلن إلى سن الحيض ينتظرن ثلاث حيض بعد الطلاق حتى يتزوجن ليظهر أنهن غير حوامل .وفي قول بأنفسهن إشارة إلى أنه يجب عليهن أن يملكن رغبتهن في الزواج([2]) .

والمعنى المقصود من الآية أنه لما دار أمر العدة على الحيض والإطهار ولا إطلاع عليهما إلا من جهة النساء جعل القول قولها ، إذا ادعت انقضاء العدة أو عدمها ، وجعلهن مؤتمنات على ذلك ، وهذا مقتضى الآية الكريمة ومضى النهي عن الكتمان،النهي عن الإضرار بالزوج واذهاب حقه سواء في الرجعة أو النفقة([3]) .

قوله تعالى : (ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾)(الآية:٢٢٩) .

٤١/٤٨ عن سعيد بن المسيب وابن شهاب وسليمان بن يسار أنهم كانوا يقولون : عدة المختلعة ثلاثة قرء([4]) . (٥٠٣/١)

الدراسة :

([1]) زاد المسير ٢٣٢/١ .

([2]) تفسير المراغي ١٦٤/١ .

([3]) الجامع لأحكام القرآن ١١٨/٣ .

([4]) تخريج النص : مالك في الموطأ ٥٧٨/٢ ، كتاب الطلاق ، باب ما جاء في الإقراء وعدة الطلاق وطلاق الحائض ،ح رقم ١٢٠٣

الخلع هو أن تعطي المرأة زوجها شيئاً تفدي نفسها منه لقوله عز وجل : ((ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍ) الآية ، ومعناه أن المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها لبغضها إياه وخاف الزوج أن يتعدى عليها لامتناعها عن طاعته جاز له أن يأخذ منها الفدية إذا طلبت ذلك(١) .

إذا تشاقق الزوجان ولم تقم المرأة بحقوق الرجل وأبغضته ولم تقدر على معاشرته فلها أن تفتدي منه بما أعطاها ولا حرج عليها في بذلها له ولا حرج عليه في قبول ذلك منها ، وأما إذا لم يكن لها عذر وسألت الافتداء منه فهو الخلع والانتزاع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك : (أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة)(٢) وقد وصفهن بالمنافقات كما في الحديث أعلاه .

قوله تعالى : (وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ ۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا ۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢٣٣﴾)(الآية:٢٣٣) .

٤٢/٤٩ عن الزهري قال : سئل ابن عمر وابن عباس عن الرضاع بعد حولين فقرأ ((وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِ) ولا نرى رضاعاً بعد الحولين يحرم شيئاً(٣) . (٥١٣/١)

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٢٣٧/١ .

(٢) أخرجه ابن كثير في تفسيره والطبري : انظر تفسير ابن كثير ٣٧٢/١ .

(٣) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره (٤٩٢/٢)

٤٣/٥٠ عن ابن شهاب (وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) إذا كان ذلك عن طيب نفس من الوالد والوالدة([1]) . (٥١٥/١)

٤٤/٥١ عن الزهري عن أبي عبيد قال : رُفع إلى عثمان امرأة ولدت لستة أشهر فقال : إنها رفعت لا أراها إلا قد جاءت بشر أو نحو هذا ولدت لستة أشهر ، فقال ابن عباس : إذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر قال : وتلا ابن عباس : (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً)([2]) فإذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر ، فخلى عثمان سبيلها([3]) . الطبري (٥٨٨/٢)

الدراسة :

قوله تعالى (والوالدات .. إلى قوله تعالى : إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف) دلت الآية على عدة أحكام([4]) :

أحدها : أن تمام الرضاع حولان وذلك حق للولد إذا احتاج إليه .

وثانيهما : أن الأبوين إذا أراد إفطامه قبل ذلك بتراضيهما وتشاورهما مع عدم مضرة الطفل فلهما ذلك .

وثالثهما : أن الأب إذا أراد أن يسترضع لولده مرضعة أخرى غير أمه فله ذلك وإن كرهت الأم إلا أن يكون مضاراً بها وبولدها فلا يجاب إلى ذلك ويجوز أن تستمر الأم على رضاعه بعد الحولين إلى نصف الثالث أو أكثر . أ هـ باختصار

معنى قوله تعالى (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) أي لا تأبى الأم أن ترضعه إضراراً بأبيه أو تطلب أكثر من أجر مثلها ، ولا يحل للأب أن يمنع الأم من ذلك مع رغبتها في الإرضاع هذا قول الجمهور حكاه عنهم القرطبي([5]) .

([1]) تفسير القرطبي ١٥٢/٣ ، تفسير (إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ..) الآية ٢٣٣ ، البقرة . تفسير الطبري ٥١٤/٢ ، تفسير (وعلى الوارث مثل ذلك) .

([2]) سورة الأحقاف الآية ١٥ .

([3]) تفسير الطبري ٥٨٨/٢

([4]) تحفة المودود في أحكام المولود ص٢٥٠ لابن القيم الجوزية ، دار الكتاب العربي – بيروت ، لبنان ١٣٩٩هـ .

([5]) الجامع لأحكام القرآن ١٦٧/٣ .

قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾)(الآية:٢٣٤) .

٤٥/٥٢ عن ابن شهاب في قوله (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ) يعني أولياءها(١) . (٥١٥/١)

الدراسة :

ذكر الواحدي في كتابه : (أن رجلاً من أهل الطائف قدم المدينة وله أولاد رجال ونساء ، ومعه أبناءه وامرأته فمات بالمدينة ، فرفع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأعطى الوالدين أولاده بالمعروف ولم يعط امرأته شيئاً غير أنه أمرهم أن ينفقوا عليها من تركة زوجها إلى الحول(٢) .

أورد الطبري : أن الذين يتوفون منكم من الرجال أيها الناس فيموتون ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن ، فإن قال قائل : فأين الخبر عن الذين يتوفون؟ قيل متروك لأنه لم يقصد قصد الخبر عنهم ، وإنما قصد قصد الخبر عن الواجب على المعتدات من العدة في وفاة أزواجهن ، فصرف الخبر عن الذين ابتدأ بذكرهم من الأموات إلى الخبر عن أزواجهم والواجب عليهن من العدة إذا كان معروفاً مفهوماً . معنى ما أريد بالكلام هو نظير قول القائل في الكلام متفرقة في ترك الخبر عما ابتدئ به الكلام إلى الخبر عن بعض أسبابه وكذلك الأزواج اللواتي عليهن التربص لما كان إنما ألزمهن التربص بأسباب أزواجهن صرف الكلام عن خبر من ابتدئ بذكره إلى الخبر (يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ) فإنه يعني به يحتبسن بأنفسهن معتدات عن الأزواج والطيب والزينة والنقلة عن المسكن إلا أن يكن حوامل فيكون عليهن التربص كذلك إلى حين وضع حملهن فإذا وضعن حملهن انقضت عدتهن حينئذ(٣) .

---

(١) تفسير الطبري ٥١٤ ، تفسير (فلا جناح عليكم إذا سلمتم..) البقرة ٢٣٣

(٢) أسباب النزول للواحدي ٤٦٨ / (٥٢) .

(٣) جامع البيان ٥١١/٢-٥١٢ .

قوله تعالى : (وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾)(الآية:٢٣٧) .

٤٦/٥٣ عن الزهري : (الذي بيده عقدة النكاح هو الولي(١) . (٥٢١/١)

الدراسة :

اختلف المفسرون في بيان عقدة النكاح ، بعد اتفاقهم على أن المراد ب(يعفون) المرأة الثيب .

في الذي بيده عقدة النكاح قولان :

١/ أنه ولي المرأة البكر وقاله الإمام الزهري .

٢/ أنه الزوج وقال به جماعة آخرون منهم ابن المسيب(٢) وقتادة ومجاهد(٣) وعكرمة وسعيد بن جبير . وهذا الرأي رجحه الطبري رحمه الله(٤) .

قوله تعالى : (حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ)(الآية:٢٣٨) .

٤٧/٥٤ من طريق الزهري عن سعيد بن المسيب قال : (كنت مع قوم اختلفوا في الصلاة الوسطى وأنا أصغر القوم فبعثوني إلى زيد بن ثابت لأسأله عن الصلاة

---

(١) تخريج النص : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٨٣/٣)كتاب النكاح (١٤٠) من قال : الذي بيده عقدة النكاح الولي ح رقم ٦ وفي رواية عن ابن جريج قال : أخبرني ابن شهاب (إلا أن يعفون) قال هي الثيب (أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح) قال ولي البكر . أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢٨٣/٧ ح رقم ١٠٨٥٥ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢٨٤/٦ ح رقم ١٠٨٦١ .

(٣) مصنف عبد الرزاق ٢٨٤/٦ ح رقم ١٠٨٥٧ .

(٤) جامع البيان ٥٤٢/٢-٥٤٩ .

الوسطى ، فأتيته فسألته فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة والناس في قائلتهم وأسواقهم ، فلم يكن يصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الصف والصفان ، فأنزل الله (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لينتهين أقوام أو لأحرقن بيوتهم)([1]) . (٥٣٦/١)

٤٨/٥٥ عن الحسن وابن سيرين([2]) وابن شهاب الزهري وكان الزهري أشبههم حديثاً قالوا : لما أسرع القتل في قراء القرآن يوم اليمامة قتل معهم يومئذ أربعمائة رجل لقى زيد بن ثابت([3]) عمر بن الخطاب فقال له : إن هذا القرآن هو الجامع لديننا فإن ذهب القرآن ذهب ديننا ، وقد عزمت على أن أجمع القرآن في كتاب فقال له : انتظر حتى نسأل أبا بكر فمضيا إلى أبي بكر فأخبراه بذلك فقال : (لا تعجل حتى أشاور المسلمين) ثم قام خطيباً في الناس وأخبرهم بذلك فقالوا : أصبت فجمعوا القرآن ، وأمر أبو بكر منادياً ينادي في الناس : (من كان عنده من القرآن فليجئ به) قالت حفصة : (إذا انتهيتم إلى هذه الآية فاخبروني (حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ) فلما بلغوا إليها قالت اكتبوا (والصلاة الوسطى وهي صلاة العصر) فقال لها عمر : ألك بهذا بينة ؟ قالت : لا ، قال : فوالله لا تدخل في القرآن ما تشهد به امرأة بلا إقامة بينة ، وقال عبد الله بن مسعود اكتبوا (وَالْعَصْرِ إِنَّ الأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ)(العصر:١-٢) . وأنه فيه إلى آخر الدهر فقال عمر : نحو عنا هذه الإعرابية([4]) . (٥٣٨/١)

دراسة النص :

([1]) تخريج النص : أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٥٣/١) كتاب الصلاة الأول ٢٥ ذكر اختلاف الناقلين لخبر زيد بن ثابت في صلاة الوسطى ح رقم (٢١٣٦٢) دار الكتب العلمية – بيروت .

([2]) ابن سيرين الأنصاري أبو بكر بن أبي عمرة البصري ، ثقة عابد كبير من الثالثة مات سنة عشر ومائة . انظر التقريب ص٥٦٣

([3]) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن زكوان بن عمرو بن عبدالرحمن بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو سعيد يقال شهد أحد وهو من علماء الصحابة ، جمع القرآن في عهد أبو بكر الصديق ، تعلم لغة اليهود . انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ، ط١ لسنة ١٣٢٨هـ مكتبة المثنى ، بغداد ٤٣٠٤٢/٤

([4]) تخريج النص : لم أجد كتاب المصاحف لابن الأنباري ، الدر المنثور ٥٣٨/١

تأويل قوله تعالى (حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ) واظبوا على الصلوات المكتوبات في أوقاتهن وتعاهدوهن وألزموهن .

ثم اختلفوا في الصلاة الوسطى .

قال بعضهم : صلاة العصر ، قال بذلك علي بن أبي طالب وأبو هريرة وابن عمر وأبو سعيد الخدري وعائشة وأم سلمة وحفصة ومجاهد وابن عباس .

وقال آخرون صلاة الظهر منهم زيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وعبد الله بن عمر وحفصة بنت عمر وعطاء .

وقال آخرون : بل هي صلاة المغرب منهم قبيصة بن ذؤيب .

وقال آخرون : هي صلاة الغداة (الفجر) منهم ابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وعكرمة والربيع .

وقال آخرون : هي إحدى الصلوات الخمس ولم نعرفها بعينها منهم عبد الله بن عمر والربيع بن خيثم .

والصواب من القول في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنها العصر كما ذكر الطبري([1]) .

قوله تعالى : (وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾)(الآية:٢٤٨)

٤٩/٥٦ من طريق الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال : أمرني عثمان ابن عفان أن أكتب له مصحفاً فقال : إني جاعل معك رجلاً لسنا فصيحاً ، فما اجتمعتما عليه فاكتباه وما اختلفتما فيه فأرفعاه إليّ ، قال زيد : فقلت أنا : التابوه ،

([1]) انظر : تفسير الطبري ٢/٥٨١ .

وقال أبان ابن سعيد : التابوت فرفعاه إلى عثمان فقال : التابوت ، فكتبت([1]) . (٥٦١/١)

٥٠/٥٧ من طريق الزهري عن أنس بن مالك ، أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في قرى أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فرأى حذيفة اختلافهم في القرآن فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلفت اليهود والنصارى ، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلي بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت حفصة إلى عثمان بالصحف فأرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحرث بن هشام وعبد الله بن الزبير : أن انسخوا الصحف في المصاحف ، وقال للرهط القرشيين الثلاثة : ما اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانها ، قال الزهري : فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه ، فقال النفر القرشيون : التابوت . وقال زيد : التابوه ، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوا التابوت ، فإنه بلسان قريش نزل([2]) . (٥٦٢/١)

الدراسة :

قوله تعالى ((وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ) الآية : العلامة فمعناه علامة تمليك الله إياه (أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ) وهذا من مجاز الكلام ، لأن التابوت يؤتى به ولا يأتي ومثله : (فإذا عزم الأمر) وإنما جاز مثل هذا لزوال اللبس فيه .

عن ابن مسعود وابن عباس أنهم قالوا لنبيهم : إن كنت صادقاً فأتنا بآية تدل على أنه ملك ، فقال لهم ذلك ، قال ابن عباس : كان التابوت من عود الشمتار عليه

([1]) تخريج النص : لم أجده في كتب السنن المختلفة إلا في الفصل والوصل المدرج لابن علي بن ثابت البغدادي أبو بكر ٣٩٨/١ .

([2]) تخريج النص : أخرجه الترمذي ٢٨٤/٥ ح رقم ٣١٠٤ والبخاري ٤٧٠٢/١٩٠٨/٤ وابن حبان ٣٦١/١٠ والسنن الكبرى ١٦/٥ ح رقم ٧٩٨٨ وسنن البيهقي ٤١/٢ ح رقم ٢٢٠٣ وتحفة الأحوذي ٤١٠/٨ .

صفائح الذهب ، وكان يكون مع الأنبياء إذا حضروا قتالاً ، قدموه بين أيديهم يستنصرون به وفيه السكينة(١) .

وكانت صفة التابوت ، سئل وهب بن منبه عن تابوت موسى ما كان ؟ قال : كان نحواً من ثلاثة أذرع في ذراعين(٢) .

قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٥١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٥٢﴾(البقرة:٢٥٠-٢٥٢) .

٥١/٥٨ عن الزهري قال : فلما كان في رأس المائة من الله على هذه الأمة بعمر ابن عبد العزيز(٣) . (٥٧٠/١)

الدراسة :

قوله تعالى : ((وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ..) الآية .

قال ابن كثير:أي لما واجه حزب الإيمان وهم قليل من أصحاب جالوت لعدوهم أصحاب طالوت هم كثر قالوا (ربنا أنزل علينا صبراً من عندك وجنبنا الفرار والعجز)(٤) .

وقال الطبري : لما برز طالوت وجنوده لجالوت وجنوده صاروا بالبراز على الأرض وهو ما ظهر منها واستوى(١) . وذكر القرطبي برزوا صاروا في البراز وهو

---

(١) زاد المسير ٢٥٨/١ .

(٢) جامع البيان ٦١٠/٢ .

(٣) تخريج النص : أخرجه محمد شمس الحق العظيم في عون المعبود شرح سنن أبي داود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، ط٢ ، مطبعة المجد ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ، (٢٦١/١١)

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٠٣/١ .

الأقبح من الأرض المتسعة([2]) .

عن مجاهد قال : كان طالوت أميراً على الجيش فبعث أبو داود بشئ إلى إخوته فقال داود لطالوت : ماذا لي فاقتل جالوت ؟ قال لك ثلث ملكي وانكحك ابنتي ، فأخذ مخلاته فجعل فيها ثلاث مروات ثم سمى حجارته تلك (إبراهيم وإسحاق ويعقوب) ثم ادخل يده فقال : باسم إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فخرج على (إبراهيم) فجعله في مرجمته،فخرقت ثلاثاً وثلاثين بيضة على رأسه وقتلت ثلاثين ألفاً من ورائه([3]) .

وفي الحديث : (لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الله بهم تغاثون وبهم ترزقون وبهم تمطرون)([4]) .

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)([5]) .

قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾)(الآية:٢٦٧) .

٥٢/٥٩ من طريق الزهري عن سالم عن أبيه قال : (كتب النبي صلى الله عليه وسلم كتاب الصدقة فلم يخرجه إلى عماله حتى قيض فقرنه بسيفه فعمل به أبو بكر ثم عمر وكان فيه : في خمس من الإبل شاه ، وفي عشر شاتان وفي خمس وعشرين بنت مخاض إلى خمس وثلاثين فإذا زادت ففيهما بنت لبون إلى خمس وأربعين ، فإذا زادت

([1]) جامع البيان ٩٢/٢ .

([2]) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/٣ .

([3]) جامع البيان ٦٤٢/٢ .

([4]) المجروحين لابن حبان ، ط١ ، مطبعة العزيزية ، حيدر أباد ، الهند ، تحقيق محمود إبراهيم زايد سنة ١٣٩٦هـ ،٦١/٢ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٧٦٦/١ .

([5]) أخرجه أبو داود كتاب الملاحم – باب ما يذكر في قرن المائة ٩١/٤ ح رقم ٤٢٩١ والحاكم في المستدرك ٥٢٢/٤ .

ففيها حقة إلى ستين فإذا زادت فجذعة إلى خمس وسبعين فإذا زادت بنتا لبون إلى تسعين ، فإذا زادت فحقتان إلى عشرين ومائة ، فإن كانت الإبل أكثر من ذلك ففي كل خمسين حقه ، وفي كل أربعين بنت لبون وفي الغنم في الأربعين شاة إلى عشرين ومائة ، فإذا زادت واحدة فشاتان إلى مائتين ، فإذا زادت فثلاث شياه إلى ثلاثمائة فإن كان الغنم أكثر من ذلك ففي كل مائة شاه وليس فيها شئ حتى تبلغ المائة ، ولا يفرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق مخافة الصدقة ، وما كان من خليطين فإنهما يتراجعان بالسوية ، ولا يؤخذ في الصدقة هرمة ولا ذات عيب قال الزهري : فإذا جاء المصدق قسمت الشاء أثلاثاً ، ثلث شرار وثلث خيار وثلث وسط فيأخذ المصدق من الوسط)([1]) . (٦٠٧/١)

الدراسة :

أورد الواحدي في كتابه عن جابر قال : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بزكاة الفطر بصاع من تمر فجاء رجل بتمر ردئ فنزلت الآية([2]) .

يعني جل ثناؤه بقوله (يا أيها الذين آمنوا صدقوا بالله ورسوله وآي كتابه) ويعني بقوله (أنفقوا) زكوا أو تصدقوا ، قوله (من طيبات ما كسبتم أي زكوا من طيبات ما كسبتم بتصدقكم أما بتجارة أو صناعة من الذهب والفضة ويعني بالطيبات الجياد يقول : زكوا أموالكم التي التمستموها حلال وأعطوا من زكاتكم الذهب والفضة ، الجياد منها دون الردئ . وقوله (ومما أخرجنا من الأرض يعني بذلك سبحانه وأنفقوا أيضاً مما أخرجنا لكم من الأرض ، فتصدقوا وزكوا من النخل والكرم والحنطة والشعير وما أوجبت فيه الصدقة من نبات الأرض)([3]) .

(من طيبات) من جيد ومختار ما كسبتم .

([1]) تخريج النص : أخرجه الترمذي في سننه ١٧/٣ ح رقم ٦٢١ ، وأبو داود ٩٨/٢/ح رقم ١٥٦٨ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٣٦٧/٢/ح رقم ٩٩٧٧ ، والحاكم في المستدرك ٥٤٩/١/ح رقم ١٤٤٢ وأحمد في مسنده ١٤/٢ /ح رقم ٤٦٣٢ .

([2]) تفسير القرآن العظيم ٣٠٣/١ ، فتح القدير ٤٣٠/١ أسباب النزول للواحدي (٧٧) .

([3]) جامع البيان ٨٠/٣-٨١ ، التفسير الكبير ٥٢/٤-٥٤ دار الكتب العلمية .

وقال ابن زيد : من حلال من طيبات ما أخرجنا لكم إلا أنه حذف لذكر الطيبات (ومما أخرجنا لكم من الأرض) يعني النبات والمعادن والركاز([1]) .

قال ابن عباس : أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده ونهاهم عن التصدق بأرذل المال ودنيه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً([2]) .

وفي النص أن لا يجمع بين متفرق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وفيه وجوب دفعها على المسلم بالكيفية المبينة في الحديث وفيه لا يجوز للعامل أن يسأل أكثر منها وأن لصاحب الأموال منه الزوائد على النصاب([3]) .

ولبيان مقادير الزكاة في الأموال وغيرها أماكن تخصص كتب الفقه فليرجع إليها .

٥٣/٦٠ عن ابن شهاب قال : في الزيتون العشر([4]) . (٦١٠/١)

الدراسة :

سبقت دراسته في الحديث .

قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾(الآية:٢٧٠) .

٥٤/٦١ من طريق ابن شهاب عن عوف بن الحرث بن الطفيل وهو ابن أخت عائشة لأمها أن عائشة رضي الله عنها حدثت أن عبد الله بن الزبير قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة : والله لتنتهين عائشة أو لأحجرن عليها ، فقالت : أهو قال هذا ؟ قالوا : نعم ، قالت عائشة : فهو لله نذر أن لا أكلم ابن الزبير كلمة أبداً ، فاستشفع ابن الزبير بالمهاجرين حين طالت هجرتها إياه فقالت : والله لا أشفع فيه أحداً أبداً ، ولا أحنث نذري الذي نذرت أبداً ، فلما طال على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة

([1]) الجامع لأحكام القرآن (٣٢١/٣) الكشاف (٣١٠/١) .

([2]) المحرر الوجيز ٤٤٧/٢ ، انظر تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ط٣ ٧١/٢ ، محمد رشيد رضا بن علي بن محمد بن شمس الدين صاحب مجلة المنار واحد من رجال الإصلاح من الكتاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ، ولد وتوفى ١٢٨٢-١٣٥٤هـ ، انظر الأعلام ١٢٦/٦ .

([3]) فتح الباري شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ، الروضة ، القاهرة ، ١٣٨٠هـ ، ٤٠١/٣ .

([4]) تخريج النص : أخرجه مالك في الموطأ ٢٧٣/١ وابن أبي شيبة في مصنفه ٣٧٣/٢ ح رقم ١٠٠٤٦ .

وعبدالرحمن ابن الأسود بن عبد يغوث وهما من بني زهرة فقال لهما : أنشدكما الله ألا أدخلتماني على عائشة فإنها لا يحل لها أن تنذر قطيعتي ، فأقبل له المسور وعبد الرحمن مشتملين عليه بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة فقالا : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته أندخل ؟ فقالت عائشة : أدخلوا ، قالوا : أكلنا يا أم المؤمنين ؟ قالت : نعم ، ادخلوا كلكم ولا تعلم عائشة أن معهما ابن الزبير ، فلما دخلوا دخل ابن الزبير في الحجاب واعتنق عائشة وطفق يناشدها ويبكي ، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدان عائشة إلا كلمته وقبلت منه ويقولان : قد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عما قد عملت من الهجرة ، وأنه لا يحل للرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، فلما أكثروا التذكير والتجريح طفقت تذكرهم وتبكي تقول : إني قد نذرت والنذر شديد فلم يزالوا بها حتى كلمت ابن الزبير ، ثم اعتقت بنذرها أربعين رقبة لله ، ثم كانت تذكر ، بعدما اعتقت أربعين رقبة فتبكي حتى تبل دموعها خمارها([1]).(١/٦٢٠-٦٢١)

الدراسة :

النذر أصله من الإنذار وعرف بأنه إيجاب ما ليس بواجب لحدوث أمر([2]) .

قال القرطبي : (النذر من العقود المأمور بالوفاء بها ، وأعلى أنواعه ما كان غير معلق على شئ كمن يعاني من مرض فقال : لله علي أن أصوم كذا وأتصدق بكذا شكر لله تعالى ويليه المعلق على فعل طاعة كأن شفي الله مريضي صمت كذا أو صليت كذا وما عدا هذا من أنواعه كنذر صلاة كثيرة أو صوم مما يشق عليه فعله ويتضرر بفعله فإن ذلك يكره وقد يبلغ بعضه التحريم)([3]) .

([1]) تخريج النص : أخرجه البيهقي في سننه ١١١١٩/٦١/٦ . وورد في المعجم الكبير ٢١/٢ /ح رقم ٢٤ وفي الأدب المفرد ١٤٣/١ وفي فتح الباري شرح البخاري ٤٩٤/١٠ .

([2]) فتح الباري بشرح البخاري ٥٢٥/١١ .

([3]) نقلاً عن ابن حجر (فتح الباري ٥٨٤/١١) .

وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال أنه لا يأتي بخير وأنه يستخرج به منه البخيل([1]) .

واختلف العلماء في المراد بالنذر فقال الجمهور هو نذر (اللجاج) في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (كفارة النذر كفارة اليمين)([2]) وهو أن يقول إنسان لا يريد كلاماً من إنسان معين (وإن كلمت فلان فله حجة فيكلمه فهو بالخيار بين كفارة اليمين وبين ما التزمه) وقال مالك هو النذر المطلق وقال أحمد هو نذر المعصية والراجح رأي الجمهور([3]) والله أعلم .

قوله تعالى : (لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَـٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾)(الآية:٢٧٣) .

٥٥/٦٢ عن الزهري قال : (لا يأخذ الرجل من مال ولده شيئاً إلا أن يحتاج فيستنفق بالمعروف ، يعوله ابنه كما كان الأب يعوله فأما إذا كان مؤسراً فليس له

([1]) أخرجه مسلم ٢٦ كتاب النذر ، ٢ باب النهي عن النذر (١٢٦/٣) والبخاري كتاب الإيمان والنذر (١٥٨/٤) وأبو داود (٥٩١/٣) والترمذي (١٠/٤) والنسائي ٢٤ باب النهي عن النذر (١٥/٧) وابن ماجة ١٥ باب النهي عن النذر (٦٨٦/١) ح رقم (٢١٢٢) .

([2]) أخرجه مسلم ٢٦ كتاب النذر ، ٥ باب في كفارة النذر (١٢٦٥/٣) ح رقم (١٦٤٥) .

([3]) شرح النووي على صحيح مسلم ، المطبعة المصرية ومكتبتها شارع عبدالعزيز ، القاهرة ،(١٠٣/١١) .

أن يأخذ من مال ابنه فيقي به ماله أو يضعه فيما لا يحل)([1]) . (٦١٥/١)
٥٦/٦٣ عن الزهري قال : (إذا كانت أم اليتيم محتاجة انفق عليها من ماله يدها مع يده ، قيل له : فالموسرة قال : لا شئ لها والله أعلم)([2]) . (٦١٥/١)

الدراسة :

أحق الناس بالصدقة المهاجرون الذين انقطعوا إلى رسول الله وسكنوا المدينة وليس لهم سبب يردون به على أنفسهم ما يغنيهم ولا يستطيعون السفر للتسبب في طلب المعاش كأهل الصفة الذين لا يسألون الناس تعففاً حتى يحسبهم الجاهل بأمرهم أغنياء ولكن العاقل يعرفهم من صفاتهم فيتصدق عليهم كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم([3]) .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمراً فليستقل أو ليستكثر)([4]) .

وتأويل قوله (ولا يسألون الناس إلحافاً) أي لا يحلفون في المسألة ويكلفون

الناس ما لا يحتاجون إليه فإن من سأل وله ما يغنيه عن المسألة فقد ألحف المسألة([5])

قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ

([1]) تخريج النص : أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٢٦٠/٧ ح رقم ١٣٠٦٢ .

([2]) تخريج النص : أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٣٩/٩ .

([3]) تفسير القرآن العظيم ٣٢٤/١ .

([4]) أخرجه مسلم ١٢ كتاب الزكاة ٣٥٥ ، باب كراهة المسألة للناس ٧٢٠/٢ ح رقم ١٠٤١ ، وابن ماجه ٨ كتاب الزكاة ، ٢٦ باب من سأل عن ظهر غنى . وابن أبي شيبة في مصنفه ٢ ح رقم ١٠٦٧٣ .

([5]) تفسير القرآن العظيم ٣٢٤/١ .

مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾)(البقرة:٢٨٢) .

٥٧/٦٤ عن ابن شهاب قال:(آخر القرآن عهداً بالعرش آية الربا وآية الدين)([1]) (٦٥٤/١).

٥٨/٦٥ عن الزهري أنه سئل عن شهادة النساء فقال : (تجوز فيما ذكر الله من الدين ولا تجوز في غير ذلك)([2]) (٦٥٦/١) .

الدراسة :

هذه آية عظمى في الأحكام مبينة جملاً من الحلال والحرام وهي أصل في مسائل البيوع وكثير من الفروع([3]) .

وقال سعيد بن المسيب بلغني أن أحدث آية بالعرش آية الدين .

وقال ابن عباس:هذه الآية نزلت في السلم خاصة يعني سلم أهل المدينة كان سبب في الآية([4])

قال بعض العلماء فيها جواز للتأجيل وخالف الشافعي وقال ليس فيها جواز التأجيل في سائر الديون أو فيها الأمر بالإشهاد إذ كان ديناً مؤجلاً .

وفي قوله تعالى : (وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ) .

([1]) تخريج النص : أخرجه الرازي في علل ابن أبي حاتم ، (٨٦/٢) ، رقم الحديث ١٧٥١

([2]) تخريج النص : الدر المنثور ٢٥٤/٢

([3]) أحكام القرآن (٢٤٧/١) لابن العربي .

([4]) جامع البيان (١١٦/٣) .

قال الجمهور : إن لم يأت الطالب برجلين فليأت برجل وامرأتين فيه جواز شهادة المرأتين مع الرجل في الأموال خاصة وهو قول الجمهور .

ذكر ابن كثير في تفسير الآية إنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة .وأجاز العلماء شهادتهن فيما لا يطلع عليه غيرهن للضرورة .

قال ابن كثير : إنما أقيمت المرأتان مقام الرجل لنقصان عقل المرأة([1]) .

مستشهداً بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : (.. وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن)([2]) الحديث .

وقال ابن كثير : أمر الله بالإشهاد مع الكتابة لزيادة التوثيق([3]) .

قوله تعالى : ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾ الآيات(٢٨٤-٢٨٦) .

٥٩/٦٦ من طريق الزهري عن ابن عباس قال : (لما نزلت ضج المؤمنون منها ضجة ، وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان ، كيف نتوب من الوسوسة ؟

([1]) تفسير القرآن العظيم (٣٣٥/١) .

([2]) انظر صحيح مسلم ١ كتاب الإيمان ، ٣٤ باب بيان إطلاق الكفر على غير الكفر بالله ككفر النعمة والحقوق (٨٦/١) ح رقم (٧٩) .

([3]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٩١/٣) .

كيف نمتنع منها ؟ فجاء جبريل بهذه الآية (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) إنكم لا تستطيعون أن تمتنعوا من الوسوسة)([1]) (٦٦٥/١) .

الدراسة :

في سبب نزول الآية عن أبي هريرة قال : (لله مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ) قال : فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا أي رسول الله كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد أنزلت عليك هذه ولا نطيقها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير فلما أفتراها القوم ذلت بها ألسنتهم فأنزل الله في أثرها (ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ) الآية ، فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ)([2]) قال نعم .

اختلف العلماء في هذه الآية : (وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ) على أربعة أقوال :

القول الأول : أنها منسوخة بقوله تعالى (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا) وهذا قول

([1]) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره (١٥٤/٣)

([2]) أخرجه مسلم ١ كتاب الإيمان ٥٧ باب أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق ١١٥/١ ح رقم ١٢٥ وأحمد في مسنده (٤١٢/٢) ح ٩٣٣٣ . أسباب النزول للواحدي (٨٩) .

ابن عباس وابن مسعود وعائشة وأبو هريرة وجماعة من الصحابة والتابعين استدلوا بالحديث سالف الذكر .

القول الثاني : محكمة وهي في معنى الشهادة التي نهى عن كتمانها ، قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد .

القول الثالث : أن الآية فيما يطرأ على النفوس من الشك واليقين قول مجاهد .

القول الرابع : أنها محكمة عامة غير منسوخة والله محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه بما ثبت في نفوسهم وأضمروه فنغفر للمؤمنين ويأخذ به من أهل الكفر والنفاق هذا قول الطبري .

قال الإمام الطبري وأولى الأقوال قول من قال إنها محكمة وليست منسوخة لأن النسخ لا يكون في حكم إلا تبعه بآخر هو ناف من كل وجوهه وليس في قوله تعالى (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) نفي للحكم الذي أعلم الله به عباده بقوله تعالى: (أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ) لأن المحاسبة ليست عقوبة ولا مؤاخذة بما حوسب عليه العبد من ذنوبه([1]) .

وفي قوله تعالى : (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا) ذكر ابن كثير([2]) في معنى الآية (أي أن تركنا فرضاً على وجه النسيان أو فعلنا حرام أو أخطأنا عن الصواب في العمل جهلاً بوجهه الشرعي فنسأل الله أن لا يؤاخذنا لقوله صلى الله عليه وسلم : أن الله تجاوز عن أمتي عن ثلاث عن الخطأ والنسيان والاستكراه)([3]) .

إن الله تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به نفسها والحديث سالف الذكر في معنى الآية كما أورده المفسرون .

([1]) جامع البيان (١٤٩/٣) الطبري .

([2]) تفسير القرآن العظيم (٣٤٣/١) .

([3]) أخرجه مسلم كتاب الإيمان ، ٥٨ باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس (١١٦/١) وأبو داود ح رقم (٢٢٠٩) والترمذي (٤٨٠/٣) ح رقم (١١٨٣) والنسائي ، ٢٧ كتاب الطلاق ، ٢٢ باب من طلق نفسه (٥٦٥/٦) ح رقم (٣٤٣٣) .

سورة آل عمران

قوله تعالى : (تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾)(الآية :٢٧) .

١/٦٧ من طريق الزهري في قوله تعالى (وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ) عن عبد الله ابن عبد الله أن خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : من هذه ؟ قيل : خالدة بنت الأسود ، قال : سبحان الله الذي يخرج الحي من الميت ، وكانت امرأة صالحة وكان أبوها كافراً([1]) . (٢٧/٢)

الدراسة :

في معنى قوله تعالى (وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ) ثلاثة أقوال([2]) :

أحدها : أنه إخراج الإنسان حياً من النطفة وهي ميتة ، وإخراج النطفة من الإنسان ، وكذلك إخراج الفرخ من البيضة والبيضة من الطائر ، قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وابن جبير والجمهور .

الثاني : أنه إخراج المؤمن إلى الإيمان من الكافر الميت بالكفر وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان روى نحو هذا الضحاك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء ووافقهم الإمام الزهري .

الثالث : إخراج السنبلة الحية من الحبة الميتة والنخلة الحية من النواة الميتة والنواة الميتة من النخلة الحية قاله السدي .

(وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ) كالعالم من الجاهل والمؤمن من الكافر (والحياة والموت معنويان) والنخلة من النواة والإنسان من النطفة والطائر من البيضة والحياة والموت حسيان([3]) .

قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦)(الآية:٩٦) .

٢/٦٨ عن ابن شهاب قال : بكة البيت والمسجد ومكة الحرم كله([1]) . (٩٤/٢)

([1]) تخريج النص : ابن حجر العسقلاني ، الإصابة في تمييز الصحابة (٥٩٧/٧)

([2]) زاد المسير ٣١٥/١ .

([3]) تفسير المراغي : أحمد مصطفى المراغي ، ط٣ ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م ، ج١٣٣/١ .

٣/٦٩ عن الزهري قال : بلغني أنهم وجدوا في مقام إبراهيم ثلاثة صفوح في كل صفح منها كتاب : في الصفح الأول : (أنا الله ذو بكة صغتها يوم صغت الشمس والقمر ، وحففتها بسبعة أملاك حنفاء ، وباركت لأهلها في اللحم واللبن) ، وفي الصفح الثاني (أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها من اسمي ، من وصلها وصلته ومن قطعها بتته) ، وفي الثالث (أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر ، فطوبى لمن كان الخير على يديه ، وويل لمن كان الشر على يديه)([٢]) . (٩٤/٢)

الدراسة :

تأويل قوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ) أي لعموم الناس لعبادتهم ونسكهم يطوفون به ويصلون ويعتكفون عنده (لَلَّذِى بِبَكَّةَ) يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام ، قال علي رضي الله عنه في قوله تعالى ((إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ) قال : كانت البيوت قبلة ولكنه أول بيت وضع لعبادة الله([٣]) .

قال السدي : إنه أول بيت وضع على وجه الأرض مطلقاً والراجح قول علي رضي الله عنه([٤]) .

ومن أسماء مكة : بكة ، قيل سميت بذلك لأنها تبك أعناق الظلمة والجبابرة بمعنى (أنهم يذلون بها ويخضعون عندها ، وقيل لأن الناس يتباكون أي يزدحمون قال قتادة : أن الله بك بها الناس جميعاً فيصلي النساء أمام الرجال ولا يفعل ذلك ببلد غيرها وقال ابن عباس: مكة من الفج إلى التنعيم وبكة من البيت إلى البطحاء.

وقال عكرمة : البيت وما حوله بكة وما وراء ذلك مكة ، وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة منها البيت العتيق والبيت الحرام والبلد الأمين والمأمون وأم رحم وأم القرى

([١]) تخريج النص : تفسير الطبري ٣٥٤/٣ ، تفسير (إن أول بيت وضع للناس ..الخ) آل عمران الآية ٩٦

([٢]) تخريج النص : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٤٥) رقم الحديث ٤٠١٧ .

([٣]) أخرجه ابن أبي حاتم ٧٠٧/٣ .

([٤]) انظر : تفسير القرآن العظيم ٣٨٣/١ .

وصلاح والعرش ، والقادس لأنها تطهر من الذنوب والمقدسة والناسة والباسة والحاطمة والرأس وكوثاء والبلدة والبينة والكعبة(١) .

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾(الآية :١٢١) .

٤/٧٠ عن ابن شهاب (وعاصم بن عمر بن قتادة) ومحمد بن يحيى بن حبان والحصين ابن عبد الرحمن بن سعد بن معاذ(٢) قالوا : كان يوم أحد يوم بلاء وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحق به الكافرين ممن كان يظهر الإسلام بلسانه وهو مستخف بالكفر ، ويوم أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته ، فكان مما نزل من القرآن في يوم أحد ستون آية من آل عمران فيها صفة ما كان في يومه ذلك ، ومعاتبة من عاتب منهم : يقول الله لنبيه : ((وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)(٣) . (١١٩/٢)

٥/٧١ عن ابن شهاب قال : (قاتل النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر في رمضان سنة اثنتين ثم قاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق وهو يوم الأحزاب

وبني قريظة في شوال سنة أربع)(٤) . (١١٩/٢)

٦/٧٢ عن ابن شهاب ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعيد بن معاذ وغيرهم ، كل حدث بعض الحديث عن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٨٣/١ .

(٢) الحصين بن عبد الرحمن بن سعد بن معاذ الأشهلي أبو محمد المدني ، روى عن أسيد بن حضير . يدركه وأنس ابن مالك،وروى عنه حجاج بن أرطأة ومحمد بن إسحاق،تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني،١٨٢/١، ترجمة رقم ٤١٠

(٣) فتح القدير ٥٧١/١ ، تفسير (ولله ما في السموات والأرض ..) آل عمران ، الآية ١٢٩ .

سيرة ابن هشام ٥٧/٤ ، تمحيص المؤمنين يوم أحد غزوة أحد .تاريخ الإسلام ٢١٣/١ ، غزوة أحد ، السنة الثالثة . زاد المعاد ١٧٢/٣، كتاب الجهاد والمغازي ، فضل غزوة أحد

(٤) سنن البيهقي الكبرى ٥٥/٦ ، ح رقم ١٠٨٥ ،كتاب الحجر ، باب البلوغ بالسن . تاريخ الإسلام ٢٤٢/١ ، السنة الخامسة ، غزوة الخندق .

يوم أحد قالوا : لما أصيبت قريش أو من ناله منهم يوم بدر من كفار قريش ، ورجع قلهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بعيره . مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رجال من قريش ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم ببدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقالوا : يا معشر قريش إن محمد قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك من ثأر بمن أصاب ، ففعلوا فأجمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجت بجدتها وجديدها ، وخرجوا معهم بالظعن التماس الحفيظة ولئلا يقروا وخرج أبو سفيان وهو قائد الناس ، فأقبلوا حتى نزلوا بعينين جبل ببطن السبخة من قناة على شفير الوادي مما يلي المدينة ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأنهم قد نزلوا حيث نزلوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إني رأيت بقراً تنحر ، ورأيت في ذباب سيفي ثلماً ، ورأيت أني ادخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ، فإذا رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام ، إن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها) .

ونزلت قريش منزلها أحُداً يوم الأربعاء ، فأقاموا ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة ، وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الجمعة فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث وكان رأي عبد الله بن أبي مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأيه في ذلك ، أن لا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته يوم بدر وحضوره : يا رسول الله أخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن عبد الله بن أبي : يا رسول الله أقم بالمدينة فلا تخرج إليهم فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منهم ، فدعهم يا رسول الله فإن أقاموا أقاموا بشر ، وإن دخلوا قاتلهم النساء والصبيان والرجال بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لامته – وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة – ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى

الله عليه وسلم ولم يكن لنا ذلك فإن شئت فاقعد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل) .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد تحول عبد الله بن أبي بثلث الناس ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حرة بن حارثة فذب فرس بذنبه فأصاب ذباب سيفه فاستله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم – وكان يحب الفأل ولا يعتاف – لصاحب السيف (شم سيفك فإني أرى السيوف ستستل اليوم) ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشعب من أحد من عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وتعبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير والرماة خمسون رجلاً فقال : انضح عنا الجبل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كان علينا أو لنا فأنت مكانك لنؤتين من قبلك وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين)([1]) . (٢/١٢١-١٢٢)

الدراسة :

قوله تعالى (وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ) قال المفسرون : في هذا الكلام تقديم وتأخير تقديره : ولقد نصركم الله ببدر وإذ غدوت من أهلك .

وقال ابن قتيبة : نبوئ ، من قولك : بوأتك منزلاً ، إذا أخذتك إياه ، أو أسكنتكه، ومعنى مقاعد للقتال : المعسكر والمصاف واختلفوا في أي يوم كان ذلك على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه يوم أحد ، قاله عبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي والربيع وابن إسحاق ووافقهم الإمام الزهري ، وذلك أنه خرج يوم أحد من بيت عائشة إلى أحد ، فجعل يصف أصحابه للقتال .

([1]) تخريج النص : تفسير ابن كثير ٢/٤٠٦ ، سورة الأنفال ، الآية ٣٦ ، سيرة ابن اسحاق ١/٣٠١ ، غزوة أحد.

والثاني : أنه يوم الأحزاب ، قاله الحسن ومجاهد ومقاتل .

والثالث : يوم بدر نقل عن الحسن([1]) .

قال الطبري : والأول أصح لقوله تعالى (إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلا) وقد اتفق العلماء أن ذلك كان يوم أحد . قوله تعالى (والله سميع عليم) قال أبو سليمان الدمشقي : سميع لمشاورتك إياهم في الخروج ومرادهم للخروج عليم بما يخفون من حب الشهادة([2]) .

قوله تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾)(الآية:١٢٣) .

٧/٧٣ عن الزهري قال : سمعت ابن المسيب يقول : غزا النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشرة غزوة قال : سمعته مرة أخرى يقول أربعاً وعشرين غزوة ، فلا أدري أكان وهماً منه أو شيئاً سمعه بعد ذلك ؟ قال الزهري : وكان الذي قاتل فيه النبي صلى الله عليه وسلم كل شئ ذكر في القرآن([3]) . (١٢٣/٢)

الدراسة :

قوله تعالى : (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ) في تسمية بدر قولان :

الأول : أنها بئر لرجل اسمه بدر قاله الشعبي .

الثاني : أنه اسم للمكان الذي التقوا عليه ذكره الواقدي عن أشياخه .

قوله تعالى (وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ) أي : لقلة العدد والعدد (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أي : لتكونوا من الشاكرين([4]) .

([1]) زاد المسير ٢٣/٢ .

([2]) جامع البيان ٢٣٠/٧

([3]) تخريج النص : أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٢٩٤/٥ باب كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم ح رقم ٩٦٥٩.

([4]) زاد المسير ٢٤/٢ .

قوله تعالى : (وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٣٩﴾)(الآية:١٣٩)

٨/٧٤ عن الزهري قال : كثر في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتل والجراح حتى خلص إلى كل امرئ منهم البأس ، فأنزل الله القرآن ، فآسى فيه بين المؤمنين بأحسن ما آسى به قوماً كانوا قبلهم من الأمم الماضية فقال (وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ) إلى قوله (لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم)([1]) . (١٤٠/٢)

الدراسة :

سبب نزول هذه الآية (وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انهزموا يوم أحد أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم لا يعلن علينا ، اللهم لا قوة لنا إلا بك) فنزلت هذه الآيات قاله ابن عباس([2]) .

(وَلَا تَهِنُواْ) أي : ولا تضعفوا وفيما نهو عن الحزن عليه أربعة أقوال([3]) :

الأول :أنه قتل إخوانهم من المسلمين قاله ابن عباس .

الثاني : أنه هزيمتهم يوم أحد ، وقتلهم قاله مقاتل .

الثالث:أنه ما أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من شجه وكسر رباعيته ، ذكره الماوردي

الرابع : أنه ما فات من الغنيمة ، ذكره علي بن أحمد النيسابوري .

قوله تعالى (وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ) قال ابن عباس: يقول : أنتم الغالبون وآخر الأمر لكم.

([1]) تخريج النص : أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (٣٦٧/٥) رقم الحديث ٩٧٣٧ .

([2]) رواه ابن جرير عن ابن عباس (انظر جامع البيان ٢٣٦/٧ . انظر أسباب النزول للواحدي ص٧١ .

([3]) زاد المسير ٣٣/٢ .

قوله تعالى : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾)(الآية :١٤٤) .

٧٥/ ٩ عن طريق الزهري عن أبي سلمة عن عائشة ، أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسبخ حتى نزل فدخل المسجد ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة ، فتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مقشي بثوب حبرة ، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبله وبكى ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، والله لا يجمع الله عليك موتتين ، وأما الموتة التي كتبت عليك فقد متها ، قال الزهري : وحدثني أبو سلمة عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس فقال : اجلس يا عمر ، وقال أبو بكر : أما بعد من كان يعبد محمداً فإن محمد قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال الله (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) إلى قوله (الشاكرين) فقال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلاها الناس معه كلهم ، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها(١) . (١٤٤/٢)

الدراسة :

قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ) قال ابن عباس : صاح الشيطان يوم أحد : قتل محمد ، فقال قوم : لئن كان قتل لنعطينهم بأيدينا ، إنهم لعشائرنا وإخواننا ، ولو كان محمد حياً لم نهزم ، فترخصوا في الفرار ، فنزلت هذه الآية .

وقيل : قال قوم من المنافقين : قتل محمداً فألحقوا بدينكم الأول فنزلت هذه الآية قاله الضحاك .

وقيل : قال أناس : لو كان نبياً ما قتل ، وقال ناس من عليه أصحاب رسول الله : قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم حتى تلحقوا به فنزلت الآية قاله قتادة(٢) .

---

(١) تخريج النص : أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٤٣٦/٥ ح رقم ١٩٧٥٥ مع اختلاف رواه البخاري (١٢٤١-١٢٤٣) في الجنائز من طريق يونس ومعمر وطريق الليث عن الزهري .

(٢) أسباب النزول للواحدي ٧١-٧٢ .

ومعنى الآية : أنه يموت كما ماتت قبله الرسل ، أفإن مات على فراشه ، أو قتل كمن قتل قبله من الأنبياء ، أتنقلبون على أعقابكم ؟ أي : ترجعون إلى ما كنتم عليه من الكفر ؟ وهذا على سبيل المثل ، يقال لكل من رجع عما كان عليه قد انقلب على عقبيه وأصله : رجعة القهقري ، والعقب مؤخر القدم .

وقوله تعالى (فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا) أي : لن ينقص الله شيئاً برجوعه ، وإنما يضر نفسه ، (وسيجزي) أي يثيب الشاكرين(١) .

١٠/٧٦ عن الزهري قال : لما نزلت هذه الآية (لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ)(٢)

قالوا: يا رسول الله قد علمنا أن الإيمان يزداد وينقص ؟ قال : أي والذي بعثني بالحق إنه لينقص ، قالوا : يا رسول الله فهل لذلك دلالة في كتاب الله ؟ قال : نعم، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ((وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ) فالإنقلاب نقصان لا كفر(٣) . (١٤٥/٢)

الدراسة :

سبقت دراسته .

قوله تعالى : (وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۖ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨)(الآية ١٦٨:) .

---

(١) زاد المسير ٣٥/٢ .

(٢) سورة الفتح الآية ٤ .

(٣) تخريج النص : لم أقف عليه

١١/٧٧ عن ابن شهاب وغيره قال (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد في ألف رجل من أصحابه ، حتى إذا كانوا بالشرط بين أحد والمدينة إنخذل عنهم عبد الله ابن ابي بثلث الناس وقال : أطاعهم وعصاني والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا ، فرجع بمن إتبعه من أهل النفاق وأهل الريب وأتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام من بن سلمة يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضرهم عدوهم ، قالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ، ولكن لا ندري أن يكون قتال(١) . (١٦٧/٢)

عن بن شهاب قال (إن الله أنزل على نبيه في القدرية : (ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ)[٢]

الدراسة :-

قوله تعالى ((ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ) قال بن عباس : نزلت في عبد الله بن أبي وافقه ابن شهاب وفي إخوانهم قولان :

الأول : أنهم إخوانهم في النفاق قاله بن عباس .

الثاني : إخوانهم في النسب قاله مقاتل : فعلى الأول يكون المعنى : قالوا لإخوانهم المنافقين : لو أطاعنا الذين قتلوا مع محمد ما قتلوا ، وعلى الثاني يكون المعنى : قالوا عن إخوانهم الذين استشهدوا بأحد : لو أطاعونا ما قتلوا .

قوله تعالى (وقعدوا) يعني القائلين قعدوا عن الجهاد .

قوله تعالى : (فادرؤوا) أي : ادفعوا (فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ) أن الحذر لا ينفع مع القدر(٣) .

---

(١) تخريج النص : تفسير ابن جرير الطبري ٥١٠/٣ ، تفسير آل عمران ، الآية ١٦٧ . تفسير ابن كثير ٥٦٣/١ ، آل عمران ، الآية ١٦٥-١٦٨ .

(٢) تخريج النص : تفسير ابن كثير ٥٦٣/١ ، آل عمران ، الآية ١٦٨

(٣) زاد المسير ٥٤/٢

قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾(الآية :١٦٧-١٧٥) .

١٢/٧٨ عن ابن شهاب قال : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفر المسلمين لموعد أبي سفيان بدراً ، فاحتمل الشيطان أولياءه من الناس ، فمشوا في الناس يخوفونهم وقالوا : قد أخبرنا أن قد جمعوا لكم من الناس مثل الليل ، يرجون أن يواقعوكم فينتهبوكم ، فالحذر الحذر .. فعصم الله المسلمين من تخويف الشيطان ، فاستجابوا لله ورسوله وخرجوا ببضائع لهم وقالوا : إن لقينا أبو سفيان فهو الذي خرجنا له ، وإن لم نلقه ابتعنا بضائعنا ، فكان بدر متجراً يوافى كل عام ، فانطلقوا حتى أتوا موسم بدر ، فقضوا منه حاجتهم وأخلف ابو سفيان الموعد فلم يخرج هو ولا أصحابه ، ومر عليهم ابن حمام فقال : من هؤلاء ؟ فقالوا : رسول الله وأصحابه ينتظرون أبا سفيان ومن معه من قريش ، فقدم على قريش فأخبرهم ، فأرعب أبو سفيان ورجع مكة ، وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بنعمة من الله وفضل ، فكانت تلك الغزوة تدعى غزوة جيش السويق ، وكانت في شعبان سنة ثلاث(١) . (٧٨١/٢)

---

(١) أخرجه البيهقي في الدلائل ٣١٥/٣ ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه بنحوه عن الزهري ٣٦٦/٥ ح رقم ٩٧٣٦ سيرة ابن هشام ١٤٨/٧ وأصل الخبر في الصحيحين عن عائشة رواه البخاري (٤٠٧٧) في المغازي ومسلم في فضائل الصحابة (٥١) . فتح القدير ٦٠٣/١ ، آل عمران ١٧٥ .

الدراسة :

قوله تعالى : ((ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ) في سبب نزولها قولان :

أحدهما : أن المشركين لما انصرفوا يوم أحد ندب النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه لاتباعهم ثم خرج بمن انتدب معه ، فلقى أبو سفيان قوماً فقال : إن لقيتم محمداً فأخبروه أني في جمع كثير فلقيهم النبي صلى الله عليه وسلم فسألهم عنه ؟ فقالوا : لقيناه في جمع كثير ونراك في قلة فأبى إلا أن يطلبه فسبقه أبو سفيان فدخل مكة فنزلت هذه الآية هذا قول ابن عباس والجمهور .

الثاني : أن أبا سفيان لما أراد الانصراف عن أحد قال : يا محمد ، موعد بيننا وبينك موسم بدر ، فلما كان العام المقبل ، خرج أبو سفيان ثم ألقى الله في قلبه الرعب فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود فقال : إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى وهذا عام جدب ، لا يصلح لنا ، فثبطهم عنا وأعلمهم أنا في جمع كثير فلقيهم فخوفهم ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه ، حتى أقاموا ببدر ينتظرون أبا سفيان فنزل قوله (الذين استجابوا لله والرسول) الآيات . وهذا المعنى مروي عن مجاهد وعكرمة والاستجابة الإجابة([1]) .

وفي مراد النبي صلى الله عليه وسلم وخروجه وندب الناس إلى الخروج ثلاثة أقوال :

أحدها : ليرهب العدو واتباعهم .

الثاني : لموعد أبي سفيان .

الثالث : لأنه بلغه عن القوم أنهم قالوا : أصبتم شوكتهم ثم تركتموهم .

قوله تعالى (لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ) أي : أحسنوا بطاعة الرسول ، واتقوا مخالفته([2]).

([1]) زاد المسير ٢/٥٧ وأسباب النزول للواحدي ص٧٥ .

([2]) زاد المسير ٢/٥٧ .

قوله تعالى : (لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾)(الآية :١٨٦) .

١٣/٧٩ عن الزهري في قوله : (وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ) قال : هو كعب بن الأشرف ، وكان يحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ، ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه([1]) . (١٨٩/٢)

الدراسة :

في سبب نزول هذه الآية ((لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ) خمسة أقوال :

الأول : أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي وعبد الله بن رواحة فغشى المجلس عجاجة الدابة ، فخمر ابن أبي أنفه بردائه وقال لا تغبروا علينا([2]) فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعاهم إلى الله ، وقرأ عليهم القرآن ، فقال ابن أبي : إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقاً فلا تؤذنا في مجالسنا ، وقال ابن رواحة : أغشنا به في مجالسنا يا رسول الله ، فإنا نحب ذلك ، فاستب المسلمون والمشركون واليهود ، فنزلت هذه الآية رواه عروة عن أسامة بن زيد .

الثاني : أن المشركين واليهود كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أشد الأذى ، فنزلت هذه الآية قاله كعب بن مالك الأنصاري .

الثالث:أنها نزلت فيما جرى بين أبو بكر الصديق وبين فنحاص اليهودي ، قول ابن عباس

الرابع : أنها نزلت في كعب بن الأشرف ، كان يحرض المشركين على الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره وهذا مذهب الإمام الزهري .

([1]) أخرجه ابن المنذر عن طريق الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك مثله . الدر المنثور ١٨٩/٢ .

([2]) تفسير ابن كثير ١٥٦/٢ .

الخامس : أنها نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق قاله أبوصالح .
ومقاتل وعكرمة قال : نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق وفنحاص اليهودي([1]) .

قال الزجاج ومعنى (لتبلون) لتختبرن أي:توقع عليكم المحن فيعلم المؤمن حقاً من غيره

وفي البلوى في الأموال قولان :

الأول : ذهابها ونقصانها .

الثاني : فرض فيها من الحقوق .

ومن البلوى في الأنفس أربعة أقوال :

الأول : المصائب والقتل .

الثاني : ما فرض من العبادات .

الثالث : الأمراض .

الرابع : المصيبة بالأقارب والعشائر .

قوله تعالى (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب) هم اليهود والنصارى والذين أشركوا : مشركو العرب قاله ابن عباس .

(إن تصبروا) على الأذى (وتتقوا) الله بمجانبة معاصيه .

قوله تعالى (فإن ذلك من عزم الأمور) أي : ما يعزم عليه لظهور رشده([2]) .

سورة النساء

قوله تعالى (وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ۝٢)(النساء:٢) .

([1]) زاد المسير ٦٧/٢ .

([2]) زاد المسير ٦٨/٢ .

١/٨٠ عن الزهري : (وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ) قال : لا تعط مهزولاً ولا تأخذ سمين(١) . (٢٠٨/٢)

الدراسة :

في سبب نزول قوله تعالى (وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ) : أن رجلاً من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب ماله فمنعه فخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت قاله سعيد بن جبير(٢) (وآتوا) الخطاب بقوله تعالى : وآتوا ، للأولياء والأوصياء . قال الزجاج وإنما سمو يتامى بعد البلوغ ، بالاسم الذي كان لهم ، وقد كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : يتيم أبي طالب .

قوله تعالى (وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ) في معناها قولان :

أحدهما : أنه إبدال حقيقة ، ثم فيه قولان :

الأول : أنه أخذ الجيد وإعطاء الردئ مكانه ، قاله سعيد بن المسيب والضحاك والنخعي والسدي ووافقهم الزهري .

والثاني : أنه الربح على اليتيم واليتيم غر لا علم له قاله عطاء

ثانيها :أنه ليس بإبدال حقيقة وإنما هو أخذه مستهلكا تم فيه قولان :

الأول : أنهم كانوا لا يورثون النساء والصغار وأنما يأخذ الميراث الأكابر من الرجال ، فنصيب الرجل من الميراث طيب وما أخذه من حق اليتيم خبيث هذا قول ابن يزيد .

والثاني : أنه أكل مال اليتيم بدلا" من أكل أموالهم(٣) .

وقال السدي : (كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ، ويقول : شاة بشاة ، ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم)(٤) وقول الزهري وافقة ابن المسيب(٥) .

---

(١) تخريج النص : أخرجه بدر الدين العيني في عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ١٠٤/٢١

(٢) رواه الواحدي عن مقاتل والكلبي ، انظر أسباب النزول للواحدي ص ١٢٦ والدر المنثور ٤٢٥/٢ ط دار الفكر ، زاد المسير ٧٩/٢

(٣) زاد المسير ٧٩/٢

(٤) الأساس في التفسير ، سعيد حوى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م ، ٩٨٩/٢ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٣٩٧/١ .

قوله تعالى : (وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾)(النساء:١٢) .

٢/٨١ عن ابن شهاب قال : قضى عمر بن الخطاب أن ميراث الأخوة من الأم بينهم الذكر فيه مثل الأنثى ، قال : ولا أرى عمر بن الخطاب قضى بذلك حتى علمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذه الأية التي قال الله (فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ)(١) . (٢٢٥/٢)

٣/٨٢ عن الزهري : قال : (لولا أن زيد بن ثابت كتب الفرائض لرأيت أنها ستذهب من الناس)(٢) . (٢٢٥/٢)

الدراسة :

تأويل قوله تعالى (وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ..) أي لكم أيها الرجال نصف ما ترك أزواجكم إذا متن عن غير ولد ، فإن

(١) تخريج النص : أخرجه ابن كثير في تفسيره ٤٠٧/١ . سورة النساء ، الآية ١٢

(٢) تخريج النص : أخرجه البيهقي في سننه ، ١٣٤/٢ حديث رقم ١٢٥٥٢

كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد الوصية أو الدين والدين مقدم على الوصية ويعده الوصية ثم الميراث وحكم أولاد البنين وأن سلفوا حكم أولاد الصلب

وهذه فرائض ومقادير جعلها الله للورثة بحسب قربهم من الميت واحتياجهم إليه وفقدهم له عند عدمه وهي حدود الله لا يجوز الاعتداء عليها أو تجاوزها .

قوله تعالى (وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً) الكلالة مشتقة من الإكليل وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه والمراد هنا من يرثه من حواشيه لا أصوله ولا فروعه .

((فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِ) اختلف العلماء في المسألة المشتركة وهي زوج وأم أو جدة وإثنان من ولد الأم وواحد أو أكثر من ولد الأبوين ، فعلى قول الجمهور للزوج النصف وللأم أو الجدة السدس ولولد الأم الثلث ويشاركهم فيه ولد الأب والأم بما بينهم من القدر المشترك وهو إخوة الأم ، وقد وفقت هذه المسألة في زمان أمير المؤمنين عمر فأعطى الزوج النصف والأم السدس وجعل الثلث لأولاد الأم ، فقال له أولاد الأبوين يا أمير المؤمنين هب أن أبانا كان حماراً ألسنا من أم واحدة؟ فشرك بينهم([1]) .

قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩)(النساء:١٩) .

٤/٨٣ عن الزهري في الآية قال (نزلت في ناس من الأنصار كانوا إذا مات الرجل منهم فأملك الناس امرأته وليه ، فيمسكها حتى تموت فيرثها فنزلت فيهم)([2]) . (٢٣٥/٢)

الدراسة :

([1]) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٠٦/١-٤٠٧ .

([2]) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره (٣٠٧/٤)

قوله تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا) سبب نزولها : أن الرجل كان إذا مات كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاؤوا زوجوها ، وإن شاؤا لم يزوجوها فنزلت هذه الآية . قاله ابن عباس(١) وقال في رواية أخرى : كانوا في أول الإسلام إذا مات الرجل ، قام أقرب الناس منه فيلقي على امرأته ثوباً فيرث نكاحها ، وقال مجاهد : كان إذا توفى الرجل فابنه الأكبر أحق بامرأته فينكحها إن شاء أو ينكحها من شاء . وقال أبو أمامة(٢) بن سهل بن حنيف : لما توفى أبو قيس بن الأسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته بعده ، وكان ذلك لهم في الجاهلية فنزلت هذه الآية(٣) قال عكرمة واسم هذه المرأة كبيشة بنت معن بن عاصم وكان هذا في العرب . توفي عنها أبو قيس بن الأسلت فجنح عليها ابنه فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله لا أنا ورثت زوجي ولا أنا تركت فانكح فأنزل الله هذه الآية(٤) .

قال مجاهد في هذه الآية : (لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا) : كان الرجل يكون في حجره اليتيمة هو يلي أمرها ، فيحبسها رجاء أن تموت امرأته فيتزوجها أو يزوجها ابنه(٥) .

وروي أيضاً عن الشعبي وعطاء بن أبي رباح وأبي ملجز والضحاك وعطاء الخرساني ومقاتل بن حيان نحو ذلك ووافقهم الإمام الزهري .

قوله تعالى : (حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمۡ أُمَّهَـٰتُكُمۡ وَبَنَاتُكُمۡ وَأَخَوَٰتُكُمۡ وَعَمَّـٰتُكُمۡ وَخَـٰلَـٰتُكُمۡ وَبَنَاتُ ٱلۡأَخِ وَبَنَاتُ ٱلۡأُخۡتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِيٓ أَرۡضَعۡنَكُمۡ

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٠١/٨ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٤٥/٨ .

(٢) أبو أمامة هو سهل بن حنيف بن وهب الأنصاري بن مالك بن عوف بن أوس اسمه أسعد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو أمامة بن أسعد توفى سنة مائة ،كان ممن أدرك التابعين . انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٦٠٢/٤ .

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٠٥/٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤١١/١ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤١١/١ .

وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا

﴿٢٣﴾ (النساء : ٢٣)

٥/٨٤ من طريق ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن رجلاً سأل عثمان بن عفان عن الأختين في ملك اليمين هل يجمع بينهما ؟ فقال : أحلتهما آية وحرمتهما آية وما كنت لأصنع لك فخرج من عنده فلقى رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أراه علي بن أبي طالب فسأله عن ذلك فقال : لو كان لي من الأمر شئ ثم وجدت أحداً فعل ذلك لجعلته نكالاً(١) . (٢/٢٤٤)

الدراسة :

يحرم الجمع بين الأختين وبين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها بدليل قوله تعالى : (وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ)(٢) .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها)(٣) .

---

(١) تخريج النص : أخرجه ابن كثير في تفسيره ١/٤١٨ . موطأ مالك ٢/٥٣٨ ، ح رقم ١١٢٢ ، كتاب النكاح ، باب ما جاء في كراهية إصابة الأختين بملك اليمين . ومسند الشافعي ١/٢٨٨ ، من كتاب عشرة النساء . وسنن الدارقطني ٣/٢٨١ ، ح رقم ١٣٥ ، كتاب النكاح ، باب المهر . ومصنف عبدالرزاق ٧/١٨٩ ، ح رقم ١٢٧٢٨ ، باب جمع بين ذوات الأرحام في ملك اليمين ، كتاب الطلاق .

(٢) سورة النساء الآية ٢٢ .

(٣) أخرجه البخاري ٧٠ كتاب النكاح ، ٢٨ باب لا تنكح المرأة على عمتها ٥/١٩٦٥ ح رقم ٤٨٢٠ ومسلم ١٦ كتاب النكاح ، ٤ باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح ٢/١٠٢٨ ح رقم ١٤٠٨ . وموطأ مالك ٤٢٠ ح رقم ٢٠ .

عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج الرجل المرأة على العمة أو الخالة وقال : (إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم)([1]) .

وقال القرطبي : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على أخواتها مخافة القطيعة([2]) .

كانت في الجاهلية يحرمون ما تحرمون إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين فلما جاء الإسلام أنزل الله (وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ)([3]) ((وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ)([4]) .

قوله تعالى : (وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمۡ أَن تَبۡتَغُواْ بِأَمۡوَٰلِكُم مُّحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَۚ فَمَا ٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهِۦ مِنۡهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا تَرَٰضَيۡتُم بِهِۦ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡفَرِيضَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٢٤)(النساء:٢٤) .

٦/٨٥ من طريق الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم:(الإحصان إحصانان:إحصان نكاح وإحصان عفاف)([5]) . (٢٤٨/٢)

٧/٨٦ عن ابن شهاب أنه سئل عن قوله (وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ) قال : نرى أنه حرم في هذه الآية (وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ) ذوات الأزواج أن ينكحن مع أزواجهن، والمحصنات العفائف ، ولا يحللن إلا بنكاح أو ملك يمين ، والإحصان إحصانان :

([1]) فقه السنة سيد سابق ١٦٩/٢ .

([2]) تفسير القرطبي ٢٤٢/٥.

([3]) سورة النساء الآية ٢٣ .

([4]) تفسير القرآن العظيم ٤١٨/١ .

([5]) تخريج النص : أخرجه ابن أبي حاتم في القرآن العظيم ٥١٠٥/٣ .

إحصان تزويج وإحصان عفاف في الحرائر والمملوكات ، كل ذلك حرم الله إلا بنكاح أو ملك يمين)([1]) . (٢٤٨/٢) .

٨/٨٧ عن ابن شهاب في الآية قال : (نزل ذلك في النكاح ، فإذا فرض الصداق فلا جناح عليهما فيما تراضيا من بعد الفريضة من إنجاز صداقها قليل أو كثير)([2]) . (٢٥٣/١)

الدراسة :

أسباب نزول الآية (٢٤) قوله تعالى (وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ) الآية عن أبي سعيد الخدري([3]) قال : أصبنا سبايا من سبي أوطاس لهن أزواج فكرهن أن نقع عليهن ولهن أزواج فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت (والمحصنات من النساء إلا ما ملكت إيمانكم) يقول إلا ما أفاء عليكم فاستحللنا فروجهن .

قال ابن عباس([4]) : نزلت يوم حنين لما فتح الله حنيناً أصاب المسلمون نساء من نساء أهل الكتاب لهن أزواج وكان الرجل إذا أراد أن يأتي المرأة قالت : إن لي زوجاً فسئل صلى الله عليه وسلم عن ذلك فأنزل الله الآية .

عن الزهري عن ابن المسيب في قوله (وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ) قال هذه ذوات الأزواج حرم الله نكاحهن إلا ما ملكت يمينك فبيعها طلاقها([5]) .

قول الزهري وافقه معمر والحسن وقتادة وقد خالفهم الجمهور قديماً وحديثاً فرأوا أن بيع الأمة ليس طلاقاً لها وقيل المراد بقوله (وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ) يعني العفائف حرام عليكم حتى تملكوا عصمتهن بنكاح وشهود ومهور وولي واحدة أو اثنتين أو ثلاثاً أو أربعاً هذا ما حكاه ابن جرير رحمه الله([6]) .

([1]) تخريج النص : تفسير الطبري ٣/٤ ، سورة النساء ، الآية ٢٤

([2]) تخريج النص : مصنف عبدالرزاق ، ١٨٢/٦ ، ح رقم ١٠٤٢٧ ، كتاب النكاح ، باب ما يحل للرجل من امرأته ولم يقدم شيئاً .

([3]) أخرجه أحمد ٧٢/٣ .

([4]) أخرجه الطبراني ، انظر أسباب النزول للواحدي ص١٧٩ تفسير الجلالين ص ٢٠٤ .

([5]) تفسير القرآن العظيم ٤١٩/١ لابن كثير .

([6]) تفسير القرآن العظيم ٤١٩/١ .

قوله تعالى : (وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾)(الآية :٣٣) .

٩/٨٨ عن الزهري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا حلف في الإسلام وتمسكوا بحلف الجاهلية)([1]) . (٢/٢٧٠)

الدراسة :

قوله تعالى (وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ) معنى الآية : لكل إنسان موالي يرثون ما ترك ، وارتفاع الوالدين والأقربين على معنيين من الإعراب :

أحدهما : أن يكون الرفع على خبر الابتداء والتقدير وهم الوالدان والأقربون ويكون تمام الكلام قوله (مما ترك) .

والثاني : أن يكون رفعاً على أنه الفاعل التارك للمال فيكون الوالدان هم الموالي .

قوله تعالى (والذين عقدت إيمانكم) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ابن عامر (عاقدت) بالألف وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (عقدت) بلا ألف ، قال أبو علي : من قرأ بالألف فالتقدير والذي عاقدتهم إيمانكم ومن حذف الألف فالمعنى عقدت حلفهم إيمانكم فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وفيهم ثلاثة أقوال :

أحدها : أنهم أهل الحلف ، كان الرجل يحالف الرجل فأيهما مات ورثه الآخر فنسخ ذلك بقوله تعالى (وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ)([2]) .

روي عن ابن عباس([3]) وروي عن عطية([4]) قال : كان الرجل يلحق

([1]) تخريج النص : أخرجه عبدالرزاق في مصنفه (١٠/٣٠٦

([2]) سورة الأنفال الآية ٧٥ .

([3]) انظر جامع البيان ٨/٢٧٥ .

([4]) عطية بن سعد بن جنادة العوفي ، أبو الحسن الكوفي كان شيعياً ، ولد في أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، توفى سنة ١١١هـ ، انظر الأعلام للزركلي ٤/٢٣٧ ، تهذيب الكمال ٢٠/١٤٥ .

الرجل في الجاهلية فيكون تابعه فإذا مات الرجل صار لأهله ميراث ، وبقى تابعه بغير شئ ، فأنزل الله (وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ) فأعطى من ميراثه ثم نزل من بعد ذلك ((وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ) وممن قال هم الحلفاء سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة

الثاني : أنهم الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والأنصار كان المهاجرون يورثون الأنصار دون ذوي رحمهم للأخوة التي عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس([1]) وبه قال ابن زيد .

والثالث:أنهم الذين كانوا يتبنون أبناء غيرهم في الجاهلية هذا قول سعيد بن المسيب .

فأما أرباب القول الأول فقالوا نسخ حكم الحلفاء الذين كانوا يتعاقدون على النصرة والميراث بآخر (الأنفال) وإليه ذهب ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة والثوري والأوزاعي ومالك وأحمد والشافعي .

وقال أبو حنيفة وأصحابه : هذا الحكم باق غير أنه جعل ذوي الأرحام أولى من موالي المعاقدة .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (أيما حلف كان في الجاهلية ، فإن الإسلام لم يزده إلا شدة)([2]) أراد النصر والعون ، وهذا قول سعيد بن جبير وهو يدل على أن الآية محكمة([3]) .

قال ابن كثير قال الزهري عن سعيد بن المسيب : أنزلت هذه الاية في الذين كانوا يتبنون رجالاً غير أبنائهم ويورثونهم فأنزل الله فيهم ، فجعل لهم نصيباً في الوصية ورد الميراث إلى الموالي في ذي الرحم والعصبة ، وأبى الله للمدعين ميراثاً ممن أدعاهم وتبناهم ولكن جعل لهم نصيباً من الوصية([4]) .

([1]) تفسير ابن كثير القرآن العظيم ٢/٢٥٢ .

([2]) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٥٥ .

([3]) زاد المسير ٢/١١٩ .

([4]) رواه ابن جرير – تفسير القرآن العظيم ٢/٢٥٥ – جامع البيان ٤/٥٧ ح رقم ٩٢٨٩ .

وقال الزهري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم يصب الإسلام حلفاً إلا زاده شدة قال : ولا حلف في الإسلام ، قال وقد ألف رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش والأنصار([1]) .

وقال الطبري وأولى الأقوال بالصواب في تأويل قوله (وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ) قول من قال : (والذين عقدت إيمانكم على المحالفة وهم الحلفاء)([2]) .

قوله تعالى : (ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤)(الآية :٣٤) .

١٠/٨٩ عن الزهري قال : لا تقص المرأة من زوجها إلا في النفس([3]) . (٢٧١/٢)

الدراسة :

تأويل قوله (قَٰنِتَٰتٌ) : قال ابن عباس : أي مطيعات لأزواجهن .

وقال السدي في قوله (حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ) أي تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله ، وقوله (بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ) أي المحفوظ من حفظه الله([4]) . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك

([1]) جامع البيان للطبري ٥٨/٤ ح رقم ٩٢٩٧ .

([2]) جامع البيان للطبري ٥٧/٤ .

([3]) تخريج النص : أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤١١/٥) رقم الحديث ٢٧٤٩٠

([4]) تفسير القرآن العظيم ٤٩١/١ .

وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ) إلى قوله (قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ)([1]) .

فضل الله الرجل على المرأة ولهذا فالرجل قيم على المرأة أي رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا أعوجت ولهذا كانت النبوة للرجال دون النساء وكذلك الملك الأعظم لقوله صلى الله عليه وسلم (لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة)([2]) .

قوله تعالى (وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ) أي تخافون عصيانهن وتعاليهن عما أوجب الله عليهن من طاعة الأزواج وممن قال ذلك السدي ، ابن زيد وابن عباس وهو قول الطبري والقرطبي([3]) .

قوله تعالى : ((ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ)([4]) أي استحقوا هذه المزية لتميزهم برجاحة العقل وقوة الجسد وبما يلزمون به من الإنفاق على النساء من أموالهم بتقديم المهر والنفقة([5]) .

قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾)(الآية :٤٣) .

١١/٩٠ عن الزهري قال : التيمم إلى الآباط([1]) . (٢٩٩/٢)

([1]) الدر المنثور ٥١٤/٢ وأخرجه الحاكم في المستدرك ١٦١/٢ وابن أبي حاتم في القرآن العظيم ٥٢٤٤/٣ وابن جرير في جامع البيان ٦٠/٤ .

([2]) أخرجه أحمد في مسنده ٣٨/٥ ط٤ ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م المكتب الإسلامي – بيروت – لبنان .

([3]) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٧٠/٥ .

([4]) سورة النساء الآية ٣٤ .

([5]) الفقه الإسلامي وأدلته وهبة الزحيلي ٦٨٥٠/٩ .

الدراسة :

معنى الآية (وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا) . وإن كنتم جرحى أو بكم قروح أو كسر أو علة لا تقدرون معها على الاغتسال من الجنابة وأنتم مقيمون غير مسافرين فتيمموا صعيداً طيباً والمرض المبيح للتيمم هو الذي يخاف معه من استعمال الماء فوات عضو أو تطويل البرء ، ومن العلماء من جوز التيمم بمجرد المرض لعموم الآية .

قوله (أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ) فإنه يعني : أو إن كنتم مسافرين وأنتم أصحاء جنب فتيمموا صعيداً قوله تعالى (أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ) الغائط هو المكان المطمئن من الأرض كنى بذلك عن التغوط وهو الحدث الأصغر وقوله تعالى (أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ) يعني أو باشرتم النساء بأيديكم(٢) .

والتيمم لغة : هو القصد وتقول العرب : تيممك الله بحفظه أي قصدك ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم مسح الوجه واليدين بالتراب ، والتيمم يلزم كل مكلف لزمته الصلاة إذا عدم ودخل وقت الصلاة(٣) .

واختلفوا هل يصلي به صلوات أم يلزم التيمم لكل صلاة فرض أو نفل ؟ فقال بعضهم : التيمم لكل صلاة ، ممن ثاله علي وابن عمر والشعبي وقتادة .

وقال آخرون : ليس عليه تجديد تيممه ، وله أن يصلي بتيممه الأول ، ممن قال ذلك الحسن وعطاء .

قال الطبري : وأولى القولين بالصواب قول من قال : يتيمم المصلي لكل صلاة لزمه طلب الماء للتطهير لها فرضاً ففرض التيمم له لازم بظاهر التنزيل(٤)

---

(١) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره (١١٢/٥)

(٢) جامع البيان ١٠٤/٤ ، تفسير القرآن العظيم ٤٤٥/١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢٣٣/٥ .

(٤) جامع البيان الطبري ١١٧/٤ .

وفي كيفية التيمم : عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين إلى المرفقين)([1]) .

وعنه رضي الله عنه قال : (تيممنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فضربنا بأيدينا على الصعيد الطيب ثم نفضنا أيدينا فمسحنا بها وجوهنا ثم ضربنا ضربة أخرى ثم نفضنا أيدينا فمسحنا بأيدينا من المرافق إلى الأكف على منابت الشعر من ظاهر وباطن)([2]) .

قوله تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾)(الآية ٦٥:) .

١٢/٩١ من طريق الزهري : أن عروة بن الزبير حدث عن الزبير بن العوام : أنه خاصم رجلاً من الأنصار قد شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة([3]) كانا يسقيان به كلاهما النخل . فقال الأنصاري : سرح الماء يمر ، فأبى عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أسق يا زبير ثم أرسل إلى جارك) فغضب الأنصاري وقال يا رسول الله إنه كان ابن عمتك([4]) ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : (اسق يا زبير ثم أحبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك) واسترعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك أشار على الزبير برأي أراد فيه السعة له وللأنصاري فلما أحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصاري استرعى للزبير حقه في صريح الحكم ، فقال الزبير : ما أحسب هذه

([1]) أخرجه الحاكم في المستدر كتاب الطهارة ، باب أحكام التيمم ١٧٩/١ والطبراني في المعجم ٢٨٢/١٢ ح رقم ١٣٣٦٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٥٢/٢ .

([2]) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الطهارة باب أحكام التيمم ١٧٩/١ والدر المنثور ٥٥٢/٢ .

([3]) الشراج بكسر الشين جمع شرج : مسيل الماء من الحرة إلى السهل انظر لسان العرب ٢٢٢٦/٢ والحرة موضع بالمدينة وهي أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . انظر معجم البلدان للإمام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي الرومي البغدادي ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ٢٤٤/٢ .

([4]) أم الزبير : صفية بنت عبد المطلب (المخبر لابن حبيب ١٧٢) صحيح البخاري ٤٦/٦ . صحيح مسلم ٩١/٧.

الآية نزلت إلا في ذلك ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ..)([1]) . (٣٢٢/٢)

الدراسة :

النص سبب النزول :

قوله تعالى ((فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ) في سبب نزولها قولان :

أحدهما : أنها في خصومة كانت بين الزبير وبين رجل من الأنصار في شراج الحرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (اسق ثم أرسل إلى جارك) ، فغضب الأنصاري وقال يا رسول الله إنه ابن عمتك ؟ فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير : (أسق يا زبير ثم أحسب الماء حتى يبلغ الجدر) قال الزبير : فوالله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك أخرجه البخاري ومسلم([2]) .

والثاني : أنها نزلت في المنافق واليهودي اللذين تحاكما إلى كعب بن الأشرف قاله مجاهد([3]) .

قال الطبري وهذا القول أعني قول من قال : عني به المحتكمان إلى الطاغوت اللذان وصف الله شأنهما في قوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) أولى بالصواب لأن قوله (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) في سياق القصة الذين ابتدأ الله الخبر عنهم بقوله (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ) ولا دلالة تدل على انقطاع قصتهم فإلحاق بعض ذلك ببعض – ما لم نأت دلالة على انقطاعه – أولى قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله (فلا) فليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك وهم يتحاكمون إلى الطاغوت ويعيدون عنك إذا دعوا إليكم يا محمد واستأنف القسم جل

([1]) تخريج النص : أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٥١٩/٨ والدر المنثور ٣٢٢/٢ .

([2]) فتح الباري ٢٥٤/٨ ، مسلم الفضائل ١٢٩ – أسباب النزول للواحدي ص ١٥٧ .

([3]) جامع البيان في تأويل آي القرآن ، الطبري ١٦٢/٤ ح رقم ٩٩١٩ .

ذكره فقال : (وربك) (حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) يقول حتى يجعلوك حكماً بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم فالتبس عليهم حكمه .

قوله تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾)(الآية :٩٢) .

١٣/٩٢ عن ابن شهاب في قوله (ودية مسلمة) قال (بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضها مائة من الإبل)([1]) (٣٤٦/٢)

١٤/٩٣ عن ابن شهاب (وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ) قال : بلغنا أن دية المعاهد كانت كدية المسلم ثم نقضت بعد في آخر الزمان فجعلت مثل نصف دية المسلم وإن الله أمر بتسليم دية المعاهد إلى أهله وجعل معها تحرير رقبة مؤمنة)([2]) (٣٤٦/٢)

الدراسة :

معنى (فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ) هو الواجب الثاني بين القاتل وأهل القتيل عوضاً لهم عما فاتهم من قتيلهم عوضاً عنهم في الدية ، والدية مسلمة إلى أهله هذا حكم الله تعالى في المؤمن يقتل خطئا . وثبت ذلك في السنة عن رسول الله صلى الله

([1]) تخريج النص : أخرجه المروزي ٦٦/١ ، ح رقم ٢٣٤ .

([2]) تخريج النص : سنن الدارقطني ١٤٥/٣ ، ح رقم ١٩٢ ،كتاب الحدود والديات وغيره . مصنف ابن أبي شيبة ٤٠٧/٥ ، ح رقم ٢٧٤٤٩ ،كتاب الديات ، باب من قال دية اليهودي والنصراني مثل دية المسلم .

عليه وسلم وأجمع أهل العلم على العمل بها ، وهنالك في بعض التفاسير يقولون هو مسلم وورثته مسلمون والدية في القتل الخطاء تؤديها عاقلته([1])([2]) .

واختلف أهل التأويل هل الدية تدفع لأهله أم لا ؟ (فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ) هذا الرجل مسلم وأهله مشركين وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فيقول يكون ميراثه للمسلمين والدية لقومه([3]) .

ومن الأقوال المخالفة لهذا القول :

أحدها : قول أبي عياض([4]) قال : كأن الرجل يجئ فيسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون ويقيم فيهم فتغذوهم جيوش النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل الرجل فيهم فنزلت هذه الآية (وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ..) وليس له دية([5]) .

والثاني : قول السدي ((فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ)) في دار الكفر فيقول : (فتحرير رقبة مؤمنة) ليس له دية([6]) .

وكذلك يوافق هذا القول ابن عباس([7]) وعكرمة([8]) وقتادة ونجد أن هذه الأقوال جميعها ترفض دفع الدية إلى من هو من قوم عدو لكم حتى لا يتقووا بها عليهم وهذا يحتمل أن يكون الصواب .

([1]) (عاقلته) هي الوصية والأقارب من قبل الأب الذين يعطون ديته قتيل الخطاء وهي صفة الجماعة وأصلها اسم فاعله من الفعل وهي من الصفات القافلة والنهاية ٣٧٨/٣)

([2]) جامع البيان ٣١/٩ .

([3])هذا قول إبراهيم النخعي أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦١٩/٢ وعزاه لابن المنذر وسعيد بن منصور .

([4]) أبي عياض هو الفضل بن مروان كان بديع الخط يكنى أبي العباس وأصله في البردان وانتقلت به الأحوال إلى وزارة المعتصم وكان من البلغاء ، توفى سنة ٢٥٠هـ (انظر أعلام النبلاء ١٨١/٨٣\١١/١٢) .

([5]) الدر المنثور ٦٢٠/٢ لجلال الدين السيوطي ، دار الفكر بيروت ، ط ١٤١٢هـ-١٩٩٣م .

([6]) الطبري في تفسيره جامع البيان ٣١/٩ ، التفسير الكبير ١٨٠/١٠ .

([7]) انظر الدر المنثور ٦٢١/٢ .

([8]) الطبري في تفسيره جامع البيان ٣٩/٩ .

وفي هذه المسألة المؤمن يقتل في بلاد الكفار وفي حروبهم على أنه من الكفار ، وإن كان المقتول رجلاً مؤمن قد آمن وبقى في بلاد الكفار فلا دية له إنما كفارته تحرير رقبة هذا قول مالك .

قوله تعالى : (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾)(الآية :١٠٢) .

١٥/٩٤ عن طريق الزهري عن سالم عن أبيه في قوله (وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ) قال : (هي صلاة الخوف ، صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحدى الطائفتين ركعة والطائفة الأخرى مقبلة على العدو ثم انصرفت الطائفة التي صلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فقاموا مقام أولئك مقبلين على العدو ، وأقبلت الطائفة الأخرى التي كانت مقبلة على العدو فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة أخرى ثم سلم بهم ثم قامت طائفة فصلوا ركعة ركعة)([1]) . (٣٧٦/٢)

الدراسة :

سبب نزول هذه الآية التي جاء فيها صلاة الخوف عن عياش الزرقي([2]) قال : صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر فقال المشركون : قد كانوا على حال

([1]) تخريج النص : أخرجه أبي داود في سننه (١٥/٢) رقم الحديث ١٢٤١ .

([2]) عياش الزرقي الأنصاري أبو سلمة المدني روى عن أبي سعيد الخدري وغيره وروى عنه يحيى بن سعيد الأنصاري هو من الثقات . انظر تهذيب التهذيب ٤٥٥/١٠ .

لو كنا أصبنا منهم غرة ، قالوا : تأتي عليهم صلاة وهي أحب إليهم من آبائهم وقال هي العصر فأنزل الله جبريل عليه السلام لهؤلاء الآيات بين الأولى والعصر ((وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ) وهم وعلى المشركين خالد بن الوليد وهم بيننا وبين القبلة وذكر صلاة الخوف .

(فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصفهم خلفه صفين قال فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعاً فلما رفعوا رؤوسهم في السجود سجد الصف الذي يليه وقام الآخرون فلما رفعوا رؤوسهم في السجود سجد الصف المؤخر فقام الآخرون فلما فرغوا من سجودهم سجد الآخرون ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم([1]) .

في حديث عياش أن العدو بينه وبين القبلة وهي أن يصف المسلمين كلهم خلفه ويكبر ويكبرون جميعاً ثم يركع فيركعون جميعاً ثم يرفع فيرفعون جميعاً معه ، ثم ينحدر بالسجود والصف الذي يليه خاصة ثم يقوم الصف المؤخر مواجه العدو ، فإذا فرغ من الركعة الأولى ونهض إلى الثانية سجد الصف المؤخر بعد قيامه سجدتين ثم قاموا فتقدموا إلى مكان الصف الأولى ومكانهم ليصلي الصف الأول للطائفتين وليدرك الصف الثاني مع النبي صلى الله عليه وسلم السجدتين في الركعة الثانية وكما أدرك الأول السجدتين في الأولى فسوى الطائفتين فيما أدركوا معه وفيما قضوا لأنفسهم وذلك غاية العدل فإذا ركع صنع الطائفتين كما صنعوا أول مرة فإذا جلس للتشهد سجد الصف المؤخر سجدتين وألحقوا في التشهد فيسلم بهم جميعاً)([2]) .

وعن جابر([3]) بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الخوف فقام صف بين يديه وصف خلفه فصلى بهم وجاء أولئك حتى قاموا مقام هؤلاء

([1]) قول عياش أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل القرآن ٢٥٧/٥ ، النسائي ٨ كتاب صلاة الخوف ، ١ باب صلاة الخوف ١٦٧/٣ ، أبي داود ٢ كتاب الصلاة ، ٢٨ باب صلاة الخوف ٢٧/٢ ، والحاكم في كتاب صلاة الخوف ٣٣٧/١ .

([2]) زاد المسير ٥٩٢/١ .

([3]) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن سواد ، أمه نسيبة بنت عقبة بن أسد من سنان اختلف في كنيته قيل أبو عبد الرحمن وأصح ما قيل (أبو عبد الله) آخر عمره كف بصره اختلف في وفاته . انظر الاستيعاب ٢٩٢/١ .

فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وسجدتين وسلم فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم ركعتان ولهم ركعة ركعة(١) .

حديث جابر وافقه ابن عباس(٢) والإمام الزهري وزيد بن ثابت(٣) ما ورد في هذه الأحاديث وهذه الأوجه كلها تجوز الصلاة بها(٤).

قوله تعالى : (وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾)(الآية :١٥٩) .

١٦/٩٥ عن الزهري ، أخبرني عمرو(٥) بن سفيان الثقفي ، أخبرني رجل من الأنصار عن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال : يأتي سباخ المدينة وهو محرم عليه أن يدخلها، فتنتفض بأهلها نفضة أو نفضتين وهي الزلزلة فيخرج إليه منها كل منافق ومنافقة ثم يأتي الدجال قبل الشام حتى يأتي بعض جبال الشام فيحاصرهم ، وبقية المسلمين يومئذ معتصمون بذروة جبل فيحاصرهم ناولاً بأصله حتى إذا طال عليهم الحصار قال رجل : حتى متى أنتم هكذا وعدوكم نازل بأصل جبلكم ، هي أنتم إلا بين إحدى الحسنيين بين أن تستشهدوا أو يظهركم ؟ فيتبايعون على القتال بيعة يعلم الله أنها الصدق من أنفسهم ثم تأخذهم ظلمة لا يبصر أحدهم كفه ، فينزل ابن مريم فيحسر عن أبصارهم وبين أظهرهم رجل عليه لامة فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا عبد الله وروحه وكلمته عيسى ، اختاروا إحدى ثلاث : بين أن يبعث الله على الدجال وجنوده عذاباً جسيماً ، أو يخسف بهم الأرض أو يرسل عليهم سلاحكم ويكف سلاحهم فيقولون : هذه يا رسول الله أشفى لصدورنا ، فيومئذ نرى اليهودي العظيم الطويل الأكول الشروب لا تقل يده

---

(١) قول جابر أخرجه الطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن ٥٧/٥ .

(٢) حديث ابن عباس ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٦٠/٢ وعزاه إلى عبد بن حميد وأخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤٨/٥

(٣) الدر المنثور ٢١٣/٢ ح رقم ٨٢٧٢ انفرد بروايته ابن أبي شيبة في الدر المنثور .

(٤) انظر بداية المجتهد ونهاية المقتصد ١٢١/١ .

(٥)عمر بن سفيان بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، أخو الأسود بن سفيان وهو ابن أخي أبي سلمة بن عبدالأسد . كان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، أخرجه أبو عمر مختصراً ، إكمال الكمال ج٣ ، ص٧٦

سيفه من الرعب ، فينزلون إليهم فيسلطون عليهم ، ويذرب الدجال حتى يدركه عيسى فيقتله([1]) . (٤٣٠/٢)

الدراسة :

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك : (وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ) ويعني عيسى قبل موته يعني قبل موت عيسى بوجه ذلك لأن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام الحنيف دين إبراهيم صلى الله عليه وسلم . ومن قال ذلك ابن عباس وقتادة يقول قبل الموت([2])

ويقول ابن مالك ذلك عن نزول عيسى بن مريم لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا يؤمنن به([3]) .

وقال آخرون قبل موت الكتابي يوجه ذلك إلى أنه إذا عاين علم الحق من الباطل لأن كل من نزل به الموت لم تخرج نفسه حتى يتبين له الحق من الباطل في

دينه وهذا قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير لا يموت اليهودي حتى يؤمن بعيسى([4])

وكذلك قال ابن عباس : لا يموت اليهودي حتى يؤمن بعيسى بن مريم قال وإن ضرب السيف يتكلم به قال وإن هوى يتكلم به([5]) .

قال الطبري أولى الأقوال بالصواب والصحة قول من قال تأويل ذلك وأن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيرها من الأقوال لأن الله جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلاة عليه وإلحاق صغار أولادكم بحكم من الملك فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجب أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار أو البالغون من أهل الإسلام إذا كان له ولد صغير أو بالغ مسلم ، وإن

([1]) تخريج النص : أخرجه نعيم ابن حماد في الفتن (٥٧٤/٢) رقم الحديث ١٦٠٢

([2]) الطبري في جامع البيان ٣٨٠/٩ .

([3]) القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٤/٦ .

([4]) زاد المسير ٢٤٧/٢ .

([5]) تفسير القرآن العظيم ٥٧٨/١ .

لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم كان ميراثه مصروفاً حيث يصرف مال المسلم بموته ولا وارث له وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة وعليه غسله وتقبيره([1]) . لأن من مات مؤمناً بمحمد صلى الله عليه وسلم وبجميع الرسل وذلك عيسى بن مريم صلوات الله عليه جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين صلوات الله عليهم فالمصدق بعيسى مؤمناً به مصدق بجميع أنبياء الله ورسله([2]) .

سورة المائدة

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ (الآية:٣٤).(الآيات ٣٣-٣٤)

١/٩٦ عن الزهري في قوله **﴿أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾** قال نفيه أن يطلب فلا يقدر عليه ، كلما سمع به في أرض طلب([1]) . (٤٩٤/٢)

([1]) جامع البيان ٣٨٦/٩ .

([2]) جامع البيان ٣٨٦/٩ .

الدراسة :

هنالك أقوال في معنى النفي :

الأول : نفيه أن يطلب قاله ابن عباس وأنس بن مالك وافقهم الإمام الزهري .

الثاني : نفيه أن يسجن قاله أبو حنيفة وأصحابه([٢]) .

والراجح : في معنى النفي من الأرض من بلد إلى غيره وحبسه في البلد الذي نفى إليه حتى تظهر توبته([٣]) وذلك لأن الله جل ثناؤه إنما جعل جزاء المحارب القتل أو الصلب أو قطع اليد والرجل من خلاف بعد القدرة عليه لا في حال امتناعه فكان معلوماً أن النفي أيضاً إنما هو جزاءه بعد القدرة عليه لا قبلها ولو كان هربه من الطلب نفياً له من الأرض ، لأن قطع يده ورجله من خلاف في حالة امتناعه على وجه القتل بمعنى إقامة الحد عليه بعد القدرة عليه وفي إجماع الجميع أن ذلك لا يقوم مقام نفيه من الأرض هربه من الطلب وإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أنه لم يبقى إلا الوجهان الآخران وهو النفي من بلد إلى غيرها أو السجن فإذا كان ذلك كذلك أنه إذا نفي من بلده إلى غيرها فلم ينفى من الأرض بل إنما نفي من أرض دون أرض وإذا كان ذلك كذلك أو كان الله جل ثناؤه إنما أمر بنفيه من الأرض كان معلوماً أنه لا سبيل إلى نفيه من الأرض إلا بحبسه في بقعة منها عن سائرها فيكون منفياً حينئذ عن جميعها إلا مما لا سبيل إلى نفيه([٤]) .

والراجح في معنى النفي هذا قول الحسن في قوله تعالى (أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ) قال من بلد إلى بلد([٥])([٦]) ووافقه سعيد بن جبير .

([١]) تخريج النص : أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٥٥٨/٤ ح رقم ١١٨٦٩ .

([٢]) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٢٨/٤ .

([٣]) الجامع لأحكام القرآن ١٥٢/٦ .

([٤]) جامع البيان ٥٦٠/٤ .

([٥]) الدر المنثور ٦٩/٣ .

([٦]) تخريج النص : ذكره الصنعاني في تفسيره ١٨٣/٣ .

قوله تعالى : (سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢)(الآية:٤٢) .

٢/٩٧ عن ابن شهاب أن الآية التي في سورة المائدة (فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ) كانت في شأن الرجم([1]) (٥٠٤/٢)

٣/٩٨ عن الزهري في الآية قال : مضت السنة أن يردوا في حقوقهم ومواريثهم إلى أهل دينهم ، إلا أن يأتوا راغبين في حد يحكم بينهم فيه ، فيحكم بينهم بكتاب الله ، وقد قال لرسوله (وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ)([2]) (٥٠٥/٢)

دراسة النص :

قوله تعالى (فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ) هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ) فالإمام غير مخير بين الحكم وتركه إذا جاءوه ليحكم بينهم وهو قول مجاهد وقتادة وعطاء الخرساني وسعيد بن جبير وعكرمة وهو قول عمر بن عبد العزيز([3]) وبه قال الكوفيين وهو أن القول الآخر للشافعي وبه قال ابن عباس وزيد بن أسلم([4]) .

والراجح أن هذه الآية محكمة ، قال الطبري : وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال : إن حكم هذه الآية ثابت لم ينسخ ، لأن النسخ لا يكون في شئ إلا ما كان نفي الحكم غيره بكل معانيه حتى لا يجوز اجتماع الحكم بالأمرين جميعاً على صحته بوجه من الوجوه .

([1]) تخريج النص : أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ٥٧٩/٤ ، سورة المائدة ، الآية ٤٢

([2]) تخريج النص : أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ((٦٢/٦) رقم الحديث ١٠٠٠٧

([3]) نواسخ القرآن لابن الجوزي ١٤٧ .

([4]) تفسير القرآن العظيم ٧٢/٢ ، وجامع البيان ٥٨٥/٤ .

وإذا لم يكن في ظاهر التنزيل دليل على نسخ إحدى الآيتين الآخرين ولا نعني أحد الأمرين حكم الآخر ، ولم يكن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر يصح أن أحدهما ناسخ صاحبه ولا من المسلمين في ذلك إجماع صح ما قلنا من أن كلا الأمرين يؤيد أحدهما صاحبه ويوافق حكمه ، ولا نسخ لأحدهما للآخر(١)

وبإحكام هذه الآية قال أيضاً ابن عطية(٢) ومحمد رشيد رضا(٣) وابن الجوزي(٤).

قوله تعالى : (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾)(الآية:٤٥) .

٤/٩٩ عن ابن شهاب قال : لما نزلت هذه الآية (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ) أقيد الرجل من المرأة ، وفيما تعمده من الجوارح(٥) . (٢/٥١٠)

الدراسة :

قوله تعالى (وكتبنا) أي : فرضنا (عليهم) أي : على اليهود (فيها) أي : في التوراة. قال ابن عباس : وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس فما بالهم يخالفون فيقتلون النفسين بالنفس ، ويفقؤون العينين بالعين ؟ وكان على بني إسرائيل القصاص أو العفو وليس بينهم دية في نفس أو جرح ، فخفف الله عن أمة محمد بالدية .

وقوله تعالى (والجروح قصاص) يقتضي إيجاب القصاص في سائر الجراحات التي يمكن استيفاء المثل فيها .

---

(١) جامع البيان ٤/٥٨٦ .

(٢) انظر المحرر الوجيز ٤/٤٣٥ .

(٣) محمد رشيد رضا عن تصانيفه تفسير المنار سبقت ترجمته . الأعلام ٦/١٢٦ .

(٤) انظر نواسخ القرآن ١٤٨ لجمال الدين أبي الفرج الجوزي ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، ط١ ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

(٥) تخريج النص : أخرجه أبو داود في سننه ٢/٤٢٨ ،رقم ٣٩٧٧ ، الحروف والقراءات . والترمذي في سننه ٥/١٨٦ ، ح رقم ٢٩٢٩ ،كتاب القراءات ، باب ١ في فاتحة الكتاب .

قوله تعالى (**فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ**) يشير إلى القصاص (فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ) في هاء (له) قولان :

الأول : أنها إشارة إلى المجروح ، فإذا تصدق بالقصاص كفر من ذنوبه ، وهو قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص والحسن والشعبي .

والثاني : إشارة إلى الجارح إذا عفا عنه المجروح ، كفر عنه ما جنى ، وهذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل ، وهو محمول على أن الجاني تاب من جنايته ، لأنه إذا كان مصراً فعقوبة الإصرار باقية([1]) .

قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾)(الآية:٥٤) .

٥/١٠٠ من طريق الزهري أن عمر بن الخطاب قال:إن وليت شيئاً من أمر الناس فلا تبال لومة لائم([2]) . (٥١٩/٢)

الدراسة :

قوله تعالى (**مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ**) :

قال الحسن : علم الله أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم عليه السلام ، فأخبرهم أنه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه وفي المراد بهؤلاء القوم على ستة أقوال([3]) :

الأول : أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ، قاله علي بن أبي طالب والحسن وقتادة والضحاك وابن جريج .

([1]) زاد المسير ٢٨٣/٢ .

([2]) تخريج النص : أخرجه البخاري في تاريخه

([3]) زاد المسير ٢٩١/٢ .

الثاني : أبو بكر وعمر وروي عن الحسن .

الثالث : أنهم قوم موسى الأشعري .

الرابع : أنهم أهل اليمن ، قاله مجاهد .

الخامس : أنهم الأنصار قاله السدي .

السادس : المهاجرون والأنصار ذكر أبو سليمان الدمشقي .

قال الطبري([1]) : وقد أنجز الله ما وعد فأتى بقوم في زمن عمر كانوا أحسن موقعاً في الإسلام ممن ارتد .

قوله تعالى : **(أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ)** قال علي بن أبي طالب : أهل رقة على أهل دينهم ، أهل غلظة على من خالفهم في دينهم([2]) .

(يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ) لأن المنافقين يراقبون الكفار ويظاهرونهم ، ويخافون لومهم ، فأعلم الله عز وجل أن الصحيح الإيمان لا يخاف في الله لومة لائم ثم أعلم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه ، فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء يعني : محبتهم لله ، ولين جانبهم للمسلمين وشدتهم على الكافرين([3]) .

قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾)(الآية:٥٨) .

([1]) انظر تفسير جامع البيان ٤٠٢/١٠ .

([2]) زاد المسير ٢٩١/٢-٢٩٢ .

([3]) زاد المسير ٢٩٢/٢ .

٦/١٠١ عن محمد بن شهاب الزهري قال : (قد ذكر الله الآذان في كتابه فقال : **(وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ)**[١] . (٥٢١/٢)

الدراسة :

قوله تعالى **((وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ))** في سبب نزولها قولان :

الأول : أن منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها قالت اليهود : قاموا لا قاموا ، صلوا لا صلوا ، على سبيل الاستهزاء والضحك ، فنزلت هذه الآية قاله ابن السائب[٢][٣] .

والثاني : أن الكفار لما سمعوا الآذان حسدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين على ذلك ، وقالوا : يا محمد لقد أبدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت في هذا الآذان الأنبياء قبلك فما اقبح هذا الصوت ، وأسمج هذا الأمر ، فنزلت هذه الآية .

ذكره بعض المفسرين ، والمناداة هي الآذان ، واتخاذهم إياها هزواً : تضاحكهم وتغامزهم **(ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ)** ما لهم في إجابة الصلاة ، وما عليهم في استهزائهم بها[٤] .

قوله تعالى : **(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**

---

(١) تخريج النص : أخرجه بن أبي حاتم ١٩/٢٣ حديث رقم ٦٥٩٤

(٢) والكلبي هو العلامة الإخباري أبو النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبي المفسر وكان أيضاً رأساً في الأنساب توفى سنة ست وأربعين ومائة . انظر الأعلام ٢٤٨/٦ .

(٣) ذكر السيوطي في الدر المنثور ١٠٧/٣ والبيهقي في دلائل النبوة من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس .

(٤) زاد المسير ٢٩٤/٢ .

﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾)(الآيات : ٨٢-٨٣)

٧/١٠٢ من طريق ابن شهاب قال : أخبرني سعيد بن المسِّيب وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام وعروة بن الزبير قالوا : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري ، وكتب معه كتاباً إلى النجاشي ، فقدم على النجاشي فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه ، وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسسين فجمعهم ، ثم أمر جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليهم القرآن ، فقرأ عليهم سورة مريم ، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع وهم الذين أنزل فيهم (وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً) إلى قوله (مع الشاهدين)([1]) . (٥٣٧/٢)

٨/١٠٣ عن ابن إسحاق قال : سألت الزهري عن هذه الآية (ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون) وقوله (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا)(الفرقان: الآية٦٣) قال : ما زلت أسمع علماءنا يقولون : نزلت في النجاشي وأصحابه([2]) . (٥٤٣/٢)

الدراسة :

قول ابن شهاب وافقه عليه عبد الله بن الزبير وسعيد بن جبير وعروة وقتادة وابن عباس([3]) .

وهناك قول آخر : أنهم قوم من النصارى كانوا متمسكين بشريعة عيسى فلما جاء محمد عليه السلام أسلموا قاله قتادة([1]) .

([1]) تخريج النص : فتح القدير ١٠٠/٢ ، سورة المائدة ، الآية ٨٦ . وتفسير القرطبي ٢٥٥/٦ ، تفسير آية (لتجدن أشد الناس عداوة) .

([2]) تخريج النص : أخرجه ابن جرير (٥/٧)

([3]) زاد المسير ٣٠٩/٢ .

والراجح في ذلك أن يقال : أن الله وصفهم بأنهم نصارى ولا تعيين من عند الله أي نصارى كانوا فكل الأقوال محتملة .

قال الطبري : والصواب في ذلك من القول أن الله تعالى وصف صفة قوم قالوا إنا نصارى وأن النبي صلى الله عليه وسلم يجدهم أقرب الناس وداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله . ولم يسم لنا أسمائهم ويجوز أن يكون أريد بذلك أصحاب النجاشي ويجوز أن يكون أريد به قوم كانوا على شريعة عيسى فأدركهم الإسلام فأسلموا لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق ولم يستكبروا عنه([2]) .

قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾)(الآية:٨٨) .

٩/١٠٤ عن ابن شهاب : (أن عثمان بن مظعون أراد أن يختصي ويسيح في الأرض ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس لك في أسوة ؟ فإني آتي النساء وآكل اللحم ، وأصوم وأفطر ، إن خصاء أمتي الصيام وليس من أمتي من خصى أو اختصى)([3]) . (٥٤٨/٢)

الدراسة :

قول ابن شهاب وافقه عليه عكرمة وقتادة والسدي والنخعي وأبو قلابة([4]) وعبدالله بن عباس وعبد الله بن مسعود([5]) .

وفي سبب نزول الآية قولان آخران :

([1]) المرجع السابق نفسه ٣٠٩/٢ .

([2]) جامع البيان ٦/٥ .

([3]) تخريج النص : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٩٤/٣ ، ومن بين جمع بن عمرو ابن هيعيص .

([4]) أبو قلابة هو : عبدالله بن زيد بن عمرو وأبو عامر الجرمي أبو قلابة ، ثقة فاضل من الطبقة الثالثة ، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة وقيل بعدها . انظر التقريب ٢٤٧ .

([5]) المحرر الوجيز ١١/٥ .

الأول : أن عبد الله بن رواحة ضافه ضيف فانقلب ابن رواحة وضيفه لم يتعشى فقال لزوجته : ما عشيته ؟ قالت : كان الطعام قليل فانتظرتك ، قال : حبستي ضيفي من أجلي ، طعامك علي حرام إن ذقته ، فقالت وهو علي حرام إن ذقته إن لم تذقه وقال الضيف / وهو علي حرام إن ذقته إن لم تذقه ، فلما رأى ذلك ابن رواحة قال : قربي طعامك ، كلوا باسم الله ، فأكلوا جميعاً ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:أحسنت ونزلت هذه الآية قاله ابن زيد(١) .

الثاني : إنما نزلت بسبب رجل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني إذا أصبت من اللحم انتشرت شهوتي فحرمت اللحم فأنزل الله هذه الآية قاله ابن عباس(٢) .

والراجح أن الآية عامة في كل من حرم على نفسه شيئاً مما أحل الله آخذاً بالقاعدة العامة في أسباب النزول والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قوله تعالى : (لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٨٩)(الآية:٨٩) .

١٠/١٠٥عن الزهري قال:(السراويل لا يجزئ والقلنسوة لا تجزي)(٣) . (٥٥٤/٢)

الدراسة :

عن مجاهد (أو كسوتهم) قال أدناه ثوب وأعلاه ما شئت(١) .

---

(١) أحكام القرآن ٦٣٨/٢ والمحرر الوجيز ١٢/٥ وجامع البيان ١٢/٥ .

(٢) جامع البيان ١٢/٥ والمحرر الوجيز ١٣/٥ وأحكام القرآن ٦٣٨/٢ .

(٣) تخريج النص : أخرجه أبو الشيخ

وكذلك قال (القميص أو الرداء أو الإزار) قال : يجزي في كفارة اليمين كل ثوب إلا التبان أو القلنسوة([٢]) .

قول مجاهد وافقه عليه ابن عباس وطاووس وعطاء والشافعي([٣]) وإبراهيم وحماد([٤]) وأبو مالك والحسن .

وفي الكسوة أقوال أخرى :

الأول : ثوبان ، قاله أبو موسى الأشعري([٥]) وابن المسيب والحسن وابن سيرين والضحاك وافقهم الزهري رحمه الله([٦]) .

الثاني : ثوب جامع كالملفحة قاله إبراهيم النخعي .

الثالث : إزار ورداء وقميص قاله ابن عمر([٧]) .

الرابع : كسوة تجزي فيها الصلاة قاله مالك([٨]) .

الخامس : قميص أو رداء أو إزار ويجزي كل ثوب إلا القلنسوة قاله مجاهد([٩])

السادس : يجزي كل ثوب حتى القلنسوة قاله عمران بن الحصين([١٠])([١١]) .

السابع : كل ما كسا فيجزي والآية على عمومها قاله الحسن والحكم بن عيينة([١٢]) .

([١]) الدر المنثور ١٥٤/٣ وأخرجه عبد الرزاق ٥١٣/٨ .

([٢]) الدر المنثور ١٥٤/٣ انفرد به عبد بن حميد .

([٣]) زاد المسير ٣١٣/٢ والنكت والعيون ٦١/٢ .

([٤]) حماد هو ابن زيد بن درهم الأزدي أبو إسماعيل البصري ، ثقة ثبت فقيه ، قيل أنه كان أعمى ولعله طرأ عليه لأنه صح أنه يكتب مات سنة (٩٩هـ) . التقريب ٢١٤ .

([٥]) أبو موسى الأشعري هو : عبد الله بن قيس بن سلم الأشعري أسلم بمكة وهاجر إلى الحبشة وقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ولي الكوفة والبصرة ، قيل توفى بمكة أو الكوفة سنة (١٥٢هـ) . انظر الاستيعاب ٣٢٦/٤ .

([٦]) جامع البيان ٢٣/٥-٢٤ .

([٧]) الدر المنثور ١٥٤/٣ .

([٨]) جامع البيان ٢٥/٥ وزاد المسير ٣١٣/٢ والنكت والعيون ٦٢/٢ لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية .

([٩]) الدر المنثور ١٥٤/٣ .

([١٠]) عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد أسلم عام خيبر وكان فاضلاً ، وقضى بالكوفة ، مات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة ، تقريب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني ، ٨٢/٢

([١١]) الدر المنثور ١٥٤/٣ .

([١٢]) زاد المسير ٣١٣/٢ والنكت والعيون ٦٢/٢ وجامع البيان ٢٦/٥

والراجح : في ذلك القول بأن الكسوة تشمل كل ما كسا وأن الآية على عمومها لأن الله تبارك وتعالى لم يحدد نوع هذه الكسوة ولا صفتها وإنما جاءت الآية مطلقة ولم تحدد أو تقيد هذا الإطلاق ، وقال الطبري : وأولى الأقوال على ذلك وأشبهها على تأويل القرآن من قال عن قوله (أو كسوتهم) ما وقع عليه اسم الكسوة مما يكون ثوباً فصاعداً ، لأن ما دون الثوب لا خلاف بين جميع الحجة أنه ليس داخل في حكم الآية والثوب وما فوق داخل في حكم الآية ، إذ لم يكن من الله وحي ولا من رسوله صلى الله عليه وسلم خبر ولم يكن من الأمة إجماع بأنه غير داخل في حكمها وغير جائز إخراج ما كان ظاهر الآية محتملة من حكم الآية إلا بحجة يجب التسليم بها ولا حجة بذلك([1]) .

وقول الطبري ذهب إليه أبو حيان([2]) ومحمد رشيد رضا([3]) .

قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾)(الآية:٩٢) . (الآيات : ٩٠-٩١-٩٢)

١١/١٠٦عن الزهري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إذا شربوا فاجلدوهم ثم إذا شربوا فاجلدوهم ، ثم إذا شربوا فاقتلوهم ، ثم قال : إن الله قد وضع عنهم القتل ، فإذا شربوا فاجلدوهم ، ثم إذا شربوا فاجلدوهم ذكرها أربع مرات)([4]) . (٥٧٣/٢)

([1]) جامع البيان ٢٦/٤ .

([2]) البحر المحيط ١١/٤ .

([3]) انظر تفسير المنار ٣٧/٧ .

([4]) تخريج النص : أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ، (٢٤٦/٩)

١٢/١٠٧ من طريق ابن شهاب أن سالم بن عبدالله حدثه أنه أول ما حرمت الخمر أن سعد بن أبي وقاص واصحاباً له شربوا فاقتتلوا فكسروا أنف سعد فأنزل الله **(إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ** ..) الآية(١) .(٥٧٧/٢) .

الدراسة :

في سبب نزول الآية أقوال :

الأول : أنها نزلت في عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً قاله أبو ميسرة(٢) .

الثاني : أن أناساً شربوها فقاتل بعضهم بعضاً وتكلموا بما لا يرضاه الله من القول

فنزلت هذه الآية رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس(٣) .

الثالث : أو بسبب ما ناله سعد من الأنصار حين شربوا الخمر وانتشروا فاهوى رجل منهم بلحي جزور فضرب على أنف سعد فقذره فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت الآية(٤) .

والراجح في نزول هذه الآية هو القول بالعموم .

قال الطبري : جائز أن يكون نزولها بسبب دعاء عمر رضي الله عنه في أمر الخمر وجائز أن يكون بسبب ما ناله سعد من الأنصار وجائز غيره من الأسباب وليس عندنا بأي ذلك كان خبر قاطع للعذر غير أنه : أي ذلك كان فقد لزم حكم الآية جميع أهل التكليف وغير ضائرهم الجهل بالسبب الذي له نزلت هذه الآية ، فالخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فرضت على جميع من بلغته الآية من

التكليف واجتناب جميع ذلك كما قال الله تعالى (فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)(١)

---

(١) تخريج النص : تفسير الطبري ٣٣/٥ ، سورة المائدة ، الآية ٩٦

(٢) جامع البيان ٣٤/٥ النكت والعيون ٦٤/٢ ، والمحرر الوجيز ٢٧/٥ .

(٣) زاد المسير ٣١٥/٢ وأسباب النزول للسيوطي ٩٨ ، دار إحياء العلوم – بيروت – لبنان ط٦ ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .

(٤) الدر المنثور ١٥٨/٣ .

قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴿٩٥﴾)(الآية:٩٥) .

١٣/١٠٨ عن الزهري قال : نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ ، يعني في المحرِم يصيب الصيد(٢) . (٥٧٨/٢)

١٤/١٠٩ عن الزهري قال : (يحكم عليه في العمد ومن الخطأ منه)(٣) . (٥٧٨/٢)

الدراسة :

قول الزهري وافقه عليه ابن عباس وعمر والحسن وإبراهيم النخعي وسعيد ابن جبير وفي متى يحكم على قاتل الصيد المحرم اختلف الناس على أقوال :

الأول : أن يحكم عليه في العمد والخطأ والنسيان ، وهو قول ابن عباس وروي عن عمر والحسن وإبراهيم النخعي والزهري(٤) وسعيد بن جبير(٥) .

الثاني : لا شئ على المخطئ والناسي قاله ابن عباس وسعيد بن جبير وبه قال طاووس وأبو ثور وهو قول أبو داود(٦) .

الثالث : أن يتعمد قتله ذاكراً لإحرامه قاله ابن عباس في قول آخر وعطاء(٧) وسعيد ابن جبير(١) .

---

(١) جامع البيان ٣٦/٥ .

(٢) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره (٤٢/٧)

(٣) تخريج النص : أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ١٩٥/١ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/٦ .

(٥) الدر المنثور ١٨٨/٣ .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ٣٠٧/٦ زاد المسير ٣١٠/٢ .

(٧) جامع البيان ٤٢/٥ ، زاد المسير ٣١٣/٢ .

والراجح هو القول بالعموم وأن الله حرم كل متعمد القتل دون تخصيصه بأي صفة أخرى وقال الطبري : والثواب من القول أن يقال أن الله حرم قتل صيد البر على كل محرم في حال إحرامه متعمداً لقتله ولم يخصص به المتعمد قتله في حال نسيان إحرامه ولا المخطئ في قتله في حال ذكره إحرامه بل عم في التنزيل بإيجاب الجزاء على كل قاتل صيد في حال إحرامه متعمداً وغير جائزاً إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن التأويل إلا بدليل به عليه من كتاب أو خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو إجماع الأمة([2]) .

قوله تعالى : ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ (الآية:٩٧) .

١٥/١١٠ عن ابن شهاب قال : جعل الله البيت الحرام والشهر الحرام قياماً للناس يأمنون به في الجاهلية الأولى ، لا يخاف بعضهم بعضاً حين يلقونهم عند البيت ، أو في الحرم أو في الشهر الحرام([3]) . (٥٨٩/٢)

الدراسة :

قول ابن شهاب وافقه عليه مجاهد وابن عباس والسدي ومقاتل وزيد بن أسلم وعبد الله بن أسلم وسعيد بن جبير وأقوال هؤلاء وأن اختلفت في ألفاظها فإن معانيها آيلة إلى أن القوام للشئ هو الذي به صلاحه كالمالك قوام رعيته ومن في سلطانه فإنه مدير أمرهم وحاجز ظالمهم عن مظلومهم والرافع عنهم مكروه من عاداهم وكذلك كانت الكعبة والشهر الحرام والهدي والقلائد قوام أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية وهي في الإسلام لأهله معالم حجهم ومناسكهم ومتوجههم لصلاتهم وقبلتهم التي باستقبالها يتم فرضهم([4]) . وبهذا المعنى قال قتادة وابن زيد وابن عباس([1]) وكثير

([1]) جامع البيان ٤٣/٥ الدر المنثور .

([2]) جامع البيان ٤٣/٥ .

([3]) تخريج النص : فتح القدير ١١٦/٢ ، سورة المائدة الآية (٩٩) .

([4]) جامع البيان ٢١٧/٥ .

من المفسرين([٢]) . وأصل القوامة اسم لما يقام به الشئ كالعماد والسناد لما يعمد ويسند به([٣]) .

قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ (الآية ١٠٦)

١٦/١١١ من طريق ابن عقيل قال : سألت ابن شهاب عن هذه الآية قلت : أرايت الاثنين الذين ذكر الله من غير أهل المرء الموصي أم هما في غير المسلمين ؟ قال ابن شهاب : لم نسمع في هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أئمة العامة سنة أذكرها ، وقد كنا نتذاكرها أناساً من علمائنا أحياناً فلا يذكرون فيها سنة معلومة ولا قضاء من إمام عادل ولكنه مختلف فيها رأيهم ، وكان أعجبهم فيها رأياً إلينا الذين كانوا يقولون : هي فيما بين أهل الميراث من المسلمين يشهد بعضهم الميت الذي يرثونه ويغيب عنهم بعضهم ويشهد من شهده على ما أوصى به لذوي القربى ، فيخبرون من غاب عنه منهم بما حضروا من وصية فإن سلموا جازت وصيته ، وإن ارتابوا أن يكونوا بدلوا قول الميت وآثروا بالوصية من أرادوا ممن لم يوصي لهم وهي أن المسلمين (يقسمان بالله أن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين استحقا اثماً في شيء من ذلك . قام آخران مقامهما من أهل الميراث من الخصم الذين ينكرون ما يشهد عليه الأولان المتسحلفان أول مرة فيقسمان بالله لشهادتنا على تكذيبهما أو إبطال ما شهدتما به ، وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين) ٢/١٦٠٥ .

([١]) المرجع السابق نفسه ٥/٢١٧ .

([٢]) انظر القرطبي ٦/٣٢٥ والألوسي ٧/٣٥ .

([٣]) المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ٤١٦.

دراسة النص :

قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا) الآية

يخبر الله تعالى خبراً متضمناً للأمر باشهاد اثين على الوصية إذا حضر الإنسان مقدمات الموت وعلاماته فينبغي له أن يكتب وصيته ويشهد عليها اثنين من ذوي عدل ممن تعتبر شهادتهما .

(أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ) (أي من غير أهل دينكم من اليهود والنصارى أو غيرهم وذلك عند الحاجة والضرورة وعدم غيرهما من المسلمين([1])

قوله تعالى : (إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ) أي سافرتم فيها . (فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ) أي فأشهدوهما

(مِنْ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ) التي تعصمونها .

(فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ) أنهما صدقا وما غيرا ولا بدلا .

(إِنِ ٱرْتَبْتُمْ) في شهادتهما فإن صدقتموهما فلا حاجة للقسم .

(ويقولان) لا نشتري به أي بأيماننا (ثمناً) بأن نكذب فيها لأجل غرض من الدنيا

(وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) فلا نراعيه لأجل قربه منا .

(وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ) بل نؤديها على ما سمعناها .

(إنا إذاً) أي إن كتمناها (لمن الآثمين)([2])

قوله تعالى : (فإن عثر على أنهما استحقا اثماً)

([1]) تفسير القرآن العظيم ٦/٣ ص ١٠٤

([2]) تفسير القرآن العظيم ٦/٣ / ١٠٦

فن لم يصدوقوهما ووجدوا قرينة تدل على كذب الشاهدين فإن شاء أولياء الميت فليقم منهم اثنان . فيقسمان بالله لشهادتهما أحق من شهادة الشاهدين الأولين .إنهما خانا وكذبا فيستحقون منهما ما يدعون .

ويستدل على الآيات الكريمات على عدة أحكام منها على سبيل المثال :

- أن الوصية مشروعة لمن حضره الموت .
- وإنها معتبرة
- وإن شهادة الكافرين في هذه الوصية مقبولة
- ومنها جواز السفر للتجارة وغيرها([1])

سورة الأعراف

قوله تعالى : (وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾) (الآيات : ٨-٩)

١/١١٢ عن الزهري قال:إنما كره المنديل بعد الوضوء لأن كل قطرة توزن([2]) . (١٣٣/٣)

الدراسة :

قوله تعالى (وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ) إلى قوله (بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ) أي والوزن يوم القيامة يكون بالعدل والقسط الذي لا جور فيه ولا ظلم يوجه (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ) بأن رجحت كفة حسناته على سيئاته (فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) أي الناجون من المكروه المدركون للمحبوب الذين حصل لهم الربح

([1]) تفسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للعلامة عبدالرحمن السعدي /١٣٠٧هـ - ١٩٧٦م ، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق ، ط٣ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م، ص٢٤٦

([2]) تخريج النص : أخرجه الترمذي في سننه ٧٦/١ ، رقم الحديث ٥٤

العظيم والسعادة الدائمة (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ) بأن رجحت سيئاته وصار الحكم لها (فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم) إذ فاتهم النعيم المقيم وحصل لهم العذاب الأليم (بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ) فلم ينقادوا لها كما يجب عليهم ذلك(١) .

قوله تعالى : (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾)(الآية :٣٤)

٢/١١٣ من طريق الزهري عن ابن المسيب قال : لما طعن عمر قال كعب : لو دعا الله عمر لأخر في أجله ، فقيل له : أليس قد قال الله (فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) ؟ فقال كعب : وقد قال الله (وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ)(فاطر: من الآية١١) قال الزهري : وليس أحد إلا له عمر مكتوب ، فرأى أنه ما لم يحضر أجله فإن الله يؤخر ما شاء وينقص ((فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)(٢) . (١٥٢/٣)

الدراسة :

قوله تعالى ((وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) مدة وأكل وشرب وقال ابن عباس وعطاء والحسن : وقتاً لنزول العذاب بهم ((فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ) وانقطع أكلهم (لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) أي ولا يتقدمون وذلك حين سألوا العذاب فأنزل الله هذه الآية(٣) .

---

(١) تفسير كلام المنان ٩٧/٢ السعدي

(٢) تخريج النص : أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٩٦/١٠

(٣) معالم التنزيل للبغوي ٢٢٦/٨ ، التفسير الكبير الرازي ٥٦/١٤ .

وهي تتضمن الوعيد والتهديد([1]) .

قوله تعالى : (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون) الآية ٥٨

عن ابن شهاب قال : اللوطي يرجم أم لم يحصن سنة ماضية (٢٨٧/٣) ([2]) .

ويوضح النص : أن تقوى الله ومخافته وصلة الرحم تكون بالإحسان إلى الأقارب ويدفع الضرر عنهم والمعنى الجامع لها إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة وهذه الأمور يكون لها الأثر الطيب في حياة الفرد المسلم([3])

قوله تعالى : (وَٱكۡتُبۡ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِنَّا هُدۡنَآ إِلَيۡكَۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧) (الآية ١٥٦-١٥٧) .

([1]) المحرر الوجيز ابن عطية ٤٩٠/٥ ،عبد الحق الأندلسي، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري ،ط١٤٠١هـ-١٩٨١م

([2])تخريج النص : مجلس في رؤية الله (أبي عبدالله الدقاق محمد بن عبدالواحد بن محمد الأصبهاني تحقيق الشريف حاتم بن عارف العوني ، ط١ ، الرياض ، مكتبة الرشيد ١٩٩٧م ، ١١٢/١ ، المجلس الخمسون والستمائة في شعبان . شعب الإيمان ٣٥٧/٤ ، ح رقم ٥٣٩٠ ، السابع والثلاثون من شعب الإيمان ، باب تحريم الفروج وما يجب من التغوض عنه . الترغيب والترهيب للمنذري ١٩٧/٣ ،كتاب الحدود وغيرها ، شرح الحديث ٣٦٥٧ .

([3])تحفة الأحوذي،المباركفوري ٣٥/٦ ، أشرف على مراجعة أصوله وتصحيحه عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر ، (د ط) (د ت) .

٣/١١٤ عن الزهري : أن يهودياً قال : ما كان بقى شئ من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة إلا رأيته إلا الحلم ، وإني أسلفته ثلاثين ديناراً في ثمر إلى أجل معلوم ، فتركته حتى إذا بقى من الأجل يوم أتيته فقلت : يا محمد أقضني حقي فإنكم معاشر بني عبد المطلب مطل ، فقال عمر : يا يهودي الخبيث ، أما والله لولا مكانه لضربت الذي فيه عيناك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (غفر الله لك يا أبا حفص ، نحن كنا إلى غير هذا منك أحوج إلى أن تكون أمرتني بقضاء ما علي ، وهو إلى أن تكون أعنته على قضاء حقه أحوج فلم يزده جهلي عليه إلا حلماً ، قال : يا يهودي ، إنما يحل حقك غداً ، ثم قال : يا أبا حفص اذهب به إلى الحائط الذي كان سأل أول يوم فإن رضيه فأعطه كذا وكذا صاعاً وزده لما قلت له كذا وكذا صاعاً وزده ، فإن لم يرض فأعط ذلك من حائط كذا وكذا ، فأتى بي الحائط فرضي تمره فأعطاه ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه والله ما حملني على ما رأيتني صنعت يا عمر إلا أني قد كنت رأيت رسول الله صفته في التوراة كلها إلا الحلم ، فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف في التوراة ، وأني أشهدك أن هذا التمر وشطر مالي في فقراء المسلمين ، فقال عمر : فقلت : أو بعضهم ؟ فقال : أو بعضهم ، قال : وأسلم أهل بيت اليهودي كلهم إلا شيخ كان ابن مائة سنة فعسا على الكفر(١) . (٣/٢٤٤-٢٤٥)

الدراسة :

(ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ) محمد صلى الله عليه وسلم يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل باسمه وصفته(٢) .

وقوله تعالى (الأمي) هو المنسوب الأمة الأمية التي هي على أصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها قاله ابن عباس وابن عمر قال كان نبيكم أمياً لا يكتب ولا يقرأ

(١) تخريج النص : أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/٣٦١

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٣٣

ولا يحسب قال تعالى(وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ)([1]) .وعن عمر قال (إنّا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب)([2]) .

وفي قوله تعالى (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) اختلف أهل التأويل في تأويله قال بعضهم (الإصر) العهد والميثاق الذي كان أخذه على بني إسرائيل بالعمل بما في التوراة منهم :

الأول : هو عهدهم قاله الحسن([3]) .

الثاني : هو العهد قول الحسن([4]) .

الثالث : مواثيقهم قاله السدي([5]) .

وقال بعضهم عن ذلك أنه يضع عني اتباع نبي الله صلى الله عليه وسلم التشديد الذي كان على بني إسرائيل في دينهم منهم قول قتادة .

قال الطبري الأولى بالصواب أن يقال أن (الإصر) هو العهد وأن الكلام ويضع النبي صلى الله عليه وسلم الأمي العهد الذي كان الله أخذه على بني إسرائيل من إقامة التوراة والعمل بما فيها من الأعمال الشديدة كقطع الجلد من البول وتحريم الغنائم ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضة فنسخها حكم القرآن([6]) .

قوله تعالى : (وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾)(الآية :١٦٣) .

([1]) سورة العنكبوت الآية ٤٨ .

([2]) الدر المنثور ٥٧٤/٣

([3]) جامع البيان ١٦٦/١٣

([4]) المحرر الوجيز ١٠٥/٦

([5]) المرجع السابق نفسه .

([6]) جامع البيان ١٦٨/١٣

٤/١١٥ عن ابن شهاب : (وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ) قال : هي طبرية(١) . (٣/٢٥١)

الدراسة :

هناك أقوال أخرى في القرية من قوله ((وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ) قيل هي مدين قاله سعيد بن جبير(٢) ووافقه عليه ابن عباس(٣) .

وقيل أنها أيلة قاله عكرمة والسدي عن ابن عباس أيضاً(٤) وقيل أنها مقناة بين مدين وعينونا قاله ابن زيد(٥)(٦) .

قال الطبري : والصواب من القول أن يقال : هي قرية حاضرة البحر وجائز أن تكون أيلة وجائز أن تكون مدين وجائز أن تكون مقناة لأن كل ذلك حاضر البحر ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأن ذلك من أي ، والاختلاف فيه على ما وصفت ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمعنى معالم نعاينه إلا بخبر يوجب العلم ولا خبر كذلك في ذلك(٧) .

قوله تعالى (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۚ

---

(١) تخريج النص : فتح القدير ٢/٣٥٧ ، الأعراف الآية ١٦٣ ، تفسير آية (وأسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر) معاني القرآن للنحاس ، تحقيق محمد علي الصابوني ، ط١ ، مكة ، جامعة أم القرى ١٤٠٩هـ ، ٣/٩٣ .

(٢) قول سعيد انفرد به عبد بن حميد وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣/٥٨٧ .

(٣) جامع البيان ١٣/١٨٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٧/٣٠٥

(٥) وهو أسامة بن زيد بن حارثة من كنانة يعرف أبو محمد صحابي جليل ولد بمكة وكان موفقاً ومظفرا ، مات في آخر خلافة معاوية بالحرة سنة ٥٤هـ . انظر الأعلام ٤/١٣٧

(٦) روح المعاني ٥/٩٠ .

(٧) جامع البيان للطبري ١٣/١٨٢

فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلاً ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾(الآيتان :١٧٥-١٧٧)

٥/١١٦ عن ابن شهاب قال : قال أمية بن الصلت :

أتى رسول لنا منا يخبرنا ما بعد غايتنا من رأس نجرانا

قال : ثم خرج أمية إلى البحرين وتنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام أمية بالبحرين ثماني سنين ، ثم قدم فلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه ، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وقرأ عليه بسم الله الرحمن الرحيم (يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ)(يّس:١-٢) حتى فرغ منها ووثب أمية يجر رجليه ، فتبعته قريش تقول : ما تقول يا أمية ؟ قال : أشهد أنه على الحق . قالوا : فهل تتبعه؟ قال : حتى انظر في أمره ، ثم خرج أمية إلى الشام وقدم بعد وقعة بدر يريد أن يسلم، فلما أخبر بقتلى بدر ترك الإسلام ورجع إلى الطائف فمات بها ، قال : ففيه أنزل الله (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا)(١) . (٢٦٧/٣)

الدراسة :

اختلف العلماء في الذي نزلت فيه هذه الآية (وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَـٰهُ ءَايَـٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا) :

الأول : أنه بلعم بن باعوراء قاله مجاهد وابن مسعود وعكرمة(٢) .

الثاني:هو أمية بن أبي الصلت الثقفي قاله عبد الله بن عمرو بن العاص وزيد بن أسلم(٣) والكلبي(٤) وافقهم الإمام الزهري .

---

(١) تخريج النص : فيض القدير ٥٧/١ . البداية والنهاية لابن كثير ٢٢٦/٢ . سيرة ابن كثير ١٣٣/١ ، أمية يريد الإسلام ثم يحجم ، ذكر شيء من أخبار أمية بن الصلت الثقفي .

(٢) جامع البيان ٢٥٤/١٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣١٩/٧

(٣) زيد بن أسلم هو الإمام الحجة العدوي أبو عبد الله العدوي العمري المدني الفقيه حدث عن والده أسلم وروى عن عمر بن عبد الله بن عمر كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم له تفسير رواه عنه ابنه عبد الرحمن وله في المسند أكثر من مائتي حديث مات في ذي الحجة سنة ١٣٠هـ . سير أعلام النبلاء ٣١٦/٥

(٤) جامع البيان ٣٥٦/١٣ والجامع ٣١٩/٧ للقرطبي

الثالث : أنها نزلت في قريش قاله عبادة بن الصامت([1]) .

قال الطبري : والصواب من القول في ذلك أن يقال إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبر رجل كان آتاه الله حججه وأدلته وهي الآيات وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه (بلعم) وجائز أن يكون أمية([2]) .

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾(الآية : ٢٠٤) .

٦/١١٧ عن الزهري قال : نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئاً قرأه،فنزلت ((وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ))([3]) . (٢٨٦/٣)

الدراسة :

يقول الله تعالى ذكره للمؤمنين به المصدقين بكتابه (وَإِذَا قُرِئَ) عليكم أيها المؤمنون (القرآن) (فاستمعوا له) يقول : اصغوا له سمعكم لتفهموا آياته وتعتبروا بمواعظه (وانصتوا) إليه لتعقلوه وتتدبروه .

ثم اختلف أهل التأويل في الحال التي أمر الله بالاستماع لقارئ القرآن إذا قرأ وانصت له .

قال القرطبي : إن هذه الآية نزلت في الصلاة ، روى هذا القول عن ابن مسعود([4]) وأبي هريرة وجابر والزهري وعطاء وابن أبي رباح وابن المسيب ، وقيل أنه

([1]) الجامع لأحكام القرآن ٣٢١/٧ عبادة بن الصامت هو

([2]) جامع البيان ٢٥٩/١٣

([3]) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره ١٦٣/٩

([4]) أخرجه الطبري في جامع البيان ٣٤٦/٣ وابن أبي حاتم ١٧٤٩/٥ ح رقم ٨٦٥٧ .

نزلت في الخطبة قاله سعيد بن جبير ومجاهد([1]) وعطاء وعمرو بن دينار وزيد ابن أسلم([2]) .

نأخذ هذه الآية على العموم ففي أي موضع قرأ الإنسان القرآن وجب على كل أحد استماعه والسكوت فعلى هذا القول يجب الإنصات والسماع للقرآن في الصلاة وغيرها .

قال الطبري : وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : أمروا بالاستماع للقرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام وكان من خلفه مم يأتم به يسمعه وفي الخطبة وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : إذا قرأ الإمام فانصتوا([3]) .

وإجماع الجميع على أن على من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة الاستماع والإنصات لها مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم([4]) .

سورة الأنفال

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨﴾الآيات ٧-٨

١/١١٨ من طريق الزهري قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك

([1]) قول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٦٤٨/٥ ح رقم ٨٦٥٦ .

([2]) انظر الجامع لأحكام القرآن ٣٥٣/٧ وجامع البيان ٣٤٦/١٣ والدر المنثور ٦٣٥/٣

([3])السنن الكبرى ١٥٥/٢-١٥٦ دار الكتب العلمية لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، بيروت – لبنان ، ط١ ١٤١١هـ-١٩٩١م

([4]) جامع البيان للطبري ٣٥٢/٣

قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزاة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان.

قال كعب رضي الله عنه : فقل رجل يريد أن يتغيب إلى ظن أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين طابت الثمار والظل وآن لها أن تصغر فتجهز إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولا أقضي شيئا فأقول لنفسي : أنا قادر على ذلك إن أردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا وفلت الجهاز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه فغدوت بعد ما فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى انتهوا وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم – وليت أني أفعل – ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت إذ خرجت في الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه من النفاق أو رجلا ممن عذره الله ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك « ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : حبسه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل : بئسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم » قال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني همي فطفقت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما راح عني الباطل وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبدا فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي « تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال : ما خلفك ألم تكن قد اشتريت ظهرك ؟ فقلت : يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكنه – والله – لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عني به ليوشكن الله يسخطك علي ولئن حدثتك الصدق وتجد علي فيه أني لأرجو قرب عتبي من الله والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك » فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فلقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحدا ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان قالا ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة حسنة فمضيت حين ذكروهما لي قال : ونهى رسول الله الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض التي كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد

الصلاة فأسلم وأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد السلام علي فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك الله تعالى هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت قال : فعدت فنشدته فسكت فعدت فنشدته قال : الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار وبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاء فدفع إلي كتابا من ملك غسان – وكنت كاتبا – فإذا فيه : أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت حين قرأتها : وهذا أيضا من البلاء فيممت بها التنور فسجرته فيها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل إمرأتك فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ ! قال : بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك . فقلت لإمرأتي : الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هلالا شيخ ضائع وليس له خادم فهل تكره أن أخدمه؟ قال : لا ولكن لا يقربنك . فقالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي من لدن إن كان من أمرك ما كان إلى يومه هذا فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه فقلت : والله لا استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يقول إذا استأذنته وأنا رجل شاب قال : فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا . قال : ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عنا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صارخا أوفى جبل سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي

رجل فرسا وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته – والله ما أملك غيرهما يومئذ – فاستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا بعد فوج يهنئونني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب رضي الله عنه لا ينساها لطلحة . قال كعب رضي الله عنه : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك . قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر . فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم قال : أمسك بعض مالك فهو خير لك . قلت : إني أمسك سهمي الذي بخيبر وقلت : يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت . قال : فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى والله ما تعمدت منذ قلت ذلك إلى يومي هذا كذبا وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي وأنزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار التوبة الآية ١١٧ إلى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس التوبة الآية ٩٥ إلى قوله الفاسقين قال : وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خلفوا فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه

أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخلفنا عن الغزو وإنما هو حلف له واعتذر إليه فقبل منه » (٥/٣٠٠-٣٠٦) ([1])

الدراسة :

قوله تعالى : (وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ) قال أهل التفسير أقبل أبوسفيان من الشام في عير لقريش ، حتى إذا دنا من بدر نزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فخرج في جماعة من أصحابه يريدهم ، فبلغهم ذلك فبعثوا عمرو بن ضمضم الغفاري إلى مكة مستغيثاً ، فخرجت قريش للمنع عنها ، ولحق أبو سيفان ساحل البحر ففات رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزل جبريل بهذه الآية([2]) (وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ) المعنى : اذكروا إذ يعدكم الله إحدى الطائفتين ، والطائفتان : أبو سفيان وما معه من المال وأبو جهل ومن معه من قريش.

فلما سبق أبو سفيان بما معه ، كتب إلى قريش : إن كنتم خرجتم لتعززوا ركبانكم ، فقد أحرزتها لكم ، فقال أبو جهل والله لا نرجع ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد القوم ، فكره أصحابه ذلك وودوا أن لو نالوا الطائفة التي فيها الغنيمة دون القتال فذلك قوله (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ)([3]) أي : ذات السلاح يقال : فلان شاكي السلاح بالتخفيف وشاك في السلاح بالتشديد وشائك يقال : ما اشد شوكة بن فلان يعني أي حدهم . قوله تعالى (وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ) في المراد بالحق قولان

لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ

أحدهما : أنه الإسلام قاله ابن عباس في آخرين .

([1]) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٠٠-٣٠٦

([2]) زاد المسير ٣/٢٢٠

([3]) جامع البيان عن ابن عباس ٦/١٨٧

والثاني : أنه القرآن والمعنى : يحق ما أنزل اليك من القرآن([1])

قوله (وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ) أي يستأصلهم بالهلاك

قوله (لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ) أي يظهر دين الإسلام ويعزه (وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ) أي الكفر وإبطاله إعدامه كما إن الحق إظهاره (وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ)([2]) .

قوله تعالى : (إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾)الآية١١

٢/١١٩ عن ابن شهاب رضي الله عنه في قوله (إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ) قال : بلغنا أن هذه الآية نزلت في المؤمنين يوم بدر فيما أغشاهم الله من النعاس أمنة منه([3]) ٣/٣١٠

الدراسة :

(إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ) النوم (أمنة) أمناً لكم إذ أنه من المعلوم أن الخائف لا ينام ولكن الله تعالى ربط على قلوبهم فأمنوا في موطن الخوف وخاف الكافرون في موضع الأمن .

قول ابن شهاب وافقه عليه مجاهد([4]) ابن زيد([5]) ولا مخالف لهم

قوله تعالى : (وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ) الربط : الشد و(على) في قول بعضهم صلة في المعنى ليربط قلوبكم وفي الذي ربط به قلوبهم وقواها ثلاثة أقوال([1]) :

([1]) زاد المسير ٣/٢٢٠

([2]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/٣٧٠

([3]) تخريج النص : الدر المنثور للسيوطي ٣/٣١٠

([4]) الدر المنثور ٤م٣٠ قول مجاهد أخرجه ابن جريج في جامع البيان ١٣/٤٢٠

([5]) جامع البيان للطبري ١٣/٤٢٠

أحدها : أنه الصبر قاله أبو صالح عن ابن عباس

الثاني : أنه الإيمان قاله مقاتل

الثالث : أنه المطر الذي أرسله ليثبت به قلوهم بعد اضطرابها بالوسوسة

قوله تعالى (وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ)

أورد القرطبي أن تثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في موطن الحرب([2]).

قوله تعالى : (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾) الآيات ١٧-١٨

٣/١٢٠ عن سعيد بن المسيب والزهري رضي الله عنهما قالا : أنزلت في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبي بن خلف بالحربة وهو في لامته ، فخدشه في ترقوته فجعل يتدأدأ عن فرسه مراراً حتى كانت وفاته بها بعد ايام ، قاسى فيها العذاب الأليم موصولاً بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة)([3]).(٣١٧/٣)

٤/١٢١ عن الزهري رضي الله عنه في قوله (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ) قال : حيث رمى أبي بن خلف يوم أحد بحربته فقيل له : إن بك الاجحش قال : اليس قال: انا اقتلك ؟ والله لو قالها لجميع الخلق لماتوا)([4]) .(٣١٧/٣-٣١٨)

الدراسة :

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالشجاعة والإيمان والقوة في أمره والسعي في جلب الأسباب المقومة للقلوب والأبدان ، ونهاهم عن الفرار إذا التقى الزحفان ، فقال : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلا تُوَلُّوهُمْ الأَدْبَارَ) أي وصف القتال

([1]) زاد المسير ٢٢٣/٣

([2])الجامع لأحكام القرآن ٣٧٧/٧

([3]) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٢٩٧/٢

([4]) تخريج النص : ذكره الطبري في تفسيره ٤٤٧/١٣

وتزحف الرجال ، واقترب بعضهم من بعض (فَلا تُوَلُّوهُمْ الأَدْبَارَ) بل اتبعوا لقتالهم واصبروا على جلادهم فإن في ذلك نصرة لدين الله وقوة لقلوب المؤمنين وإرهاباً للكافرين (وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إلا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ) أي رجع (بِغَضَبٍ) وماواه (جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)([1])

وفي معنى قوله (فلم تقتلوهم) قال : لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حيث قال هذا قتلت وهذا قتلت (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ) قال : لمحمد صلى الله عليه وسلم حيث حصب الكفار روى عن مجاهد رضي الله عنه([2]) وقال به جمهور المفسرين([3]) .

قوله تعالى : (إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ ۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾) الآيتان (١٩-٢٠)

٥/١٢٢ عن ابن شهاب عن عبدالله بن ثعلبة بن صغير أن أبا جهل قال حين التقى القوم قال : اللهم أقطعنا للرحم وأتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة فكان ذلك استفتاحاً منه فنزلت ((إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ) الآية (٤٢/٤) ([4]) .

الدراسة :

يقول تعالى للكفار ((إِن تَسْتَفْتِحُواْ) أي تستنصروا وتستغضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين فقد جاءكم ما سألتم .

([1]) تفسير كلام المنان ١٩٣/٢

([2]) قول مجاهد أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٤٤٢/١٣ وعزاه للسيوطي في الدر المنثور ٣٩/٤ لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ

([3]) الطبري ٤٤١/١٣ وابن عطية ٢٤٥/٦ والقرطبي ٣٨٥/٧ وابن كثير ٣٤٤/٢ والالوسي ١٨٤/٢ ومحمد رشيد ٦٢٠/٩

([4]) تخريج النص : تفسير ابن كثير ٧٢/٩/٢

وكان المشركين حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله فقالوا : اللهم أنصر أعلى الجنديين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال الله تعالى : (إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ) ذكره السيوطي([1])

من كان الله معه فهوالمنصور وإن كان ضعيفاً قليلاً عدده وهذه المعية التي أخبر الله أنه يؤيد بها المؤمنين تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان([2])

قوله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾)الآية ٢٧

٦/١٢٣ عن الزهري رضي الله عنه في قوله (لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ٠٠٠) الآية

قال (نزلت في أبي لبابة([3]) رضي الله عنه ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار إلى حلقه أنه الذبح ، فقال أبو لبابة رضي الله عنه : لا والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب علي ، فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خر مغشياً عليه ، ثم تاب عليه فقيل له : يا أبا لبابة قد تيب عليك ، قال :لا والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني ، فجاء فحله بيده)([4]) ..(٣٢٣/٣)

الدراسة :

اختلف المفسرون في سبب نزول الآية إلى أقوال :

الأول : أنها نزلت في منافق كتب إلى أبي سفيان يطلعه على شر المسلمين قاله جابر ابن عبد الله([5]) .

الثاني : أنها نزلت في قتل عثمان رحمه الله([1])

([1]) تفسير القرآن العظيم ٢/ ٢٧٢

([2]) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص٢١٨

([3]) أبو لبابة الأنصاري المدني اسمه بشير وقيل رفاعة بن المنذر صحابي مشهور وكان أحد النقباء وعاش إلى خلافة علي ووهم من سماه مروان –تقريب التهذيب ٦٦٩

([4]) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٤٠٦/٥ رقم الحديث ٩٧٤٥

([5]) جامع البيان للطبري ٤٨٠/١٣ والتفسير الكبير ١٥-١٦ وروح المعاني ١٩٦/٥

الثالث : أنها نزلت في حاطب بن بلتعة حين كتب إلى أهل مكة لما هم النبي صلى الله عليه وسلم بالخروج إليها قاله الزهري([2]) .

وقال الطبري : وأولى الأقوال بالصواب أني أقول أن الله نهى المؤمنين عن خيانته وخيانة رسوله ، وخيانة أمانته ، وجائز أن تكون نزلت في أبي لبابة وجائز أن تكون نزلت في غيره ولا خبر عندنا باي ذلك يجب التسليم بصحته)([3]).

قوله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧)الآيات ٣٦-٣٧

٧/١٢٤ حدثني الزهري ، ومحمد بن يحيي بن حيان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمر قالوا : لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع ابو سفيان بعيره ، مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن ابي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش إلى من كان معه تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش إن محمد قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه فلنا أن ندرك منه ثارا ففعلوا ففيهم كما ذكرت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنزل الله (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) إلى قوله (وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ)([4])(٣٣٣/٣)

([1]) جامع البيان للطبري ٤٨٢/١٣

([2]) التفسير الكبير للرازي ١٢-١٢٢/١٦

([3]) جامع البيان للطبري ٤٨٣/١٣

([4]) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٣٠٨/٢

الدراسة :

قوله تعالى ((إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)

اختلفوا في نزولها إلى ثلاثة أقوال :

الأول أنها نزلت في المطعمين ببدر وكانوا اثني عشر رجلاً يطعمون الناس الطعام كل رجل يطعم يوماً وهم عتبة وشيبة ومنبه وبنيه ابنا الحجاج وأبو البحتري والنضر بن الحارث وأبو جهل وأخوه الحارث وحكيم بن حزام وأبي بن خلف وزمعة بن الأسود والحارث بن عامر بن نوفل،هذا قول أبي صالح عن ابن عباس(١) .

والثاني : أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد الفين من الاحابيش لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب قاله سعيد ابن جبير(٢) وقال مجاهد:نزلت في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد وافقه الإمام الزهري

والثالث : أنها نزلت في أهل بدر وبه قال الضحاك

فأما سبيل الله : فهو دين الله(٣)

قوله تعالى (ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةً) أي تكون عاقبة نفقتهم ندامة لأنهم لم يظفروا(٤).

قوله تعالى : (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾)الآية ٤١

٨/١٢٥ عن الزهري وعبد الله(١) بن أبي بكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم

---

(١) انظر أسباب النزول للواحدي ١٣٥

(٢) انظر أسباب النزول للواحدي ١٣٥ ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ٨٩

(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ١٣٦

(٤) زاد المسير ٢٤١/٣

سهم ذي القربي على بني هاشم وبني المطلب[٢] .(٣٣٨/٣)

الدراسة :

قال الطبري : هذا تعليم الله عز وجل المؤمنين قسم غنائمهم إذا غنموها[٣] واختلف أهل العلم في معنى الغنيمة والفئ فقالوا : أن الغنيمة من الأموال المنقولة والفئ الارضون ، قاله مجاهد وقيل ان الغنيمة ما أخذ عنوة والفئ ما أخذ على صلح قاله الشافعي وسفيان الثوري .

وقيل الغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بايجاف الخيل والفئ ما أخذ منهم بغير ذلك كالجزية والخراج ونحو ذلك

وقيل الفئ والغنيمة بمعنى واحد وهما : كل ما نيل من المشركين قاله قتادة[٤]

قال الرازي: هذه الآية تقتضي أن يؤخذ خمسها وفي كيفية قسمة ذلك الخمس قولان:

الأول : وهو المشهور أن ذلك لخمس يخمس فسهم لرسول الله وسهم لذوي قرباه من بني هاشم[٥] وبني عبد المطلب[٦] وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل . وبه قال الجمهور .

وأما بعد وفاة الرسول صلى اله عليه وسلم فعند الشافعي رحمه الله أنه يقسم على خمسة اسهم : سهم لرسول الله يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين ، كعدة الغزاة من الكراع والسلاح وسهم لذوى القربي والباقي للفرق الثلاثة وهم : اليتامى والمساكين ابن السبيل

وقال أبو حنيفة : أن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم سهمه ساقط بسبب موته صلى الله عليه وسلم كذلك سهم ذوى القربي وإنما يعطون لفقرهم ، وقال مالك : الأمر في الخمس مفوض إلى رأي الإمام

---

(١) عبد الله بن أبي بكر بن عبدالله بن أبي قحافة وهو شقيق أسماء بنت أبي بكر ومات قبل أبيه وقيل بعد رسول الله بأربعين ليلة يعد من شهداء الطائف ، الإصابة ٢٤/٤ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٣٤١/٦ رقم الحديث ١٢٧٣٣

(٣) جامع البيان ١٠/١

(٤) أحكام القرآن ، ابن العرب ٨٥٥/٢ ، تفسير القرآن العظيم ٣١٠/٢

(٥) بنو هاشم من العدنانية وهاشم اسمه عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب –معجم القبائل عمر رضا كحالة١٢٠٧

(٦) بنو عبد المطلب بطن من هاشم بن عبد مناف من العدنانية –قبائل العرب- محمد رضا كحالة ٧٣٤/٢

القول الثاني : وهو قول أبو العالية : ان خمس الغنيمة يقسم على ستة أقسام : فواحد منها لله وواحد لرسول الله والثالث لذوى القربي والثلاثة الباقية لليتامى والمساكين وابن السبيل([1]) .

وأورد ابن الجوزي قول ثالث أنه يقسم على أربعة اسهم : فسهم لله عز وجل وسهم لرسوله عائد على ذوى القربي لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يأخذ منه شيئاً قاله ابن عباس

أما ذوى القربي ففيهم ثلاثة أقوال :

الأول : أنهم جميع قريش

الثاني : بنو هاشم وبنو عبد المطلب وبه قال أحمد والشافعي([2]) ومجاهد وقتادة ووافقهم الإمام الزهري ورجحه الشوكاني([3]) لقوله صلى الله عليه وسلم : إنما بنو هاشم وبنو عبد المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه)([4]) .

الثالث : أنهم بنو هاشم فقط ، قاله أبو حنيفة ومالك وبماذا يستحقون فيه قولان : أحدهما بالقرابة وبه قال أحمد والشافعي

الثاني : بالفقر وبه قال أبو حنيفة([5])

أما قوله تعالى (واليتامى) أي أيتام المسلمين (والمساكين) هم المحاويج الذين لا يجدون ما يسد خلتهم وسكنتهم (وابن السبيل) هو المسافر وليس له ما ينفقه في سفره ذلك([6]) .

قوله تعالى : (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾)الآية ٥٨

([1]) التفسير الكبير للرازي ١٣٢/١٥-١٣٣

([2]) زاد المسير لابن الجوزي ٢٤٥/٣

([3]) فتح القدير ٢٣٢/٢

([4]) أخرجه النسائي في السنن ٤٨ كتاب قسم الفئ ٥ باب أخبرنا محمد بن المثنى ٧م١٣٠ ح رقم ٤١٣٧

([5]) زاد المسير ٢٤٥/٣

([6]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١/٨

٩/١٢٦ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : دخل جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : وضعت السلاح وما زلنا في طلب القوم فاخرج فإن الله قد اذن لك في بني قريظة وأنزل فيهم (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً)(١) الآية (٣٤٧/٣)

الدراسة :

قوله تعالى (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً) قال المفسرون الخوف هاهنا بمعنى العلم والمعنى : أن علمت من قوم قد عاهدتهم خيانة وهي نقض عهد ، وقال مجاهد : نزلت في بني قريظة(٢)

وفي قوله تعالى (فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ) أربعة أقوال :

أحدها : خاف إليهم نقضك العهد لتكون وإياهم في العلم بالنقض سواء ، وهذا قول الاكثرين واختاره الفراء وابن قتيبة وأبو عبيدة

والثاني : فانبذ إليهم جهراً غير سر ذكره الفراء ايضاً وآخرين

والثالث : فانبذ إليهم على مهل قاله الوليد بن مسلم

الرابع : فانبذ إليهم على عدل من غير حيف

ذكره أبو سليمان الدمشقي(٣)

قال ابن عطية : والذي يظهر من ألفاظ القرآن أن بين قريظة (نقض) عند قوله (فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ)(٤) ثم ابتدأ تبارك وتعالى في هذه الآية بأمره فيما يصنعه في المستقبل مع من يخاف من خيانة فتترتب فيهم هذه الآية وبنو قريظة لم يكونوا في حد من تخاف خيانته وإنما كانت خيانتهم ظاهرة مشهورة(٥) .

---

(١) تخريج النص : تفسير الطبري ٢٨٣/١٠ ، الأحزاب الآية ٢٦ . تاريخ الطبري ٩٨/٢ ، غزوة بني قريظة .سيرة ابن هشام ١٩٢/٤ ، غزوة الخندق ، أمر الله لرسوله على لسان جبريل بحرب بني قريظة .

(٢) بنو قريظة : قبيلة من يهود خيبر إخوة النضير دخلوا في العرب على نسبهم إلى هارون أخو موسى عليهما السلام يقطنون المدينة . انظر لسان العرب ٧٥/١٢ .

(٣) زاد المسير ٣٥٤/٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٣/٨

(٤) سورة الأنفال الآية ٥٧

(٥) الجامع لحكام القرآن للقرطبي ٣١/١٠

سورة التوبة

قوله تعالى : (فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٢)(الآية :٢) .

١/١٢٧ عن الزهري رضي الله عنه في قوله ((فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ) قال : نزلت في شوال فهي الأربعة أشهر شوال ، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم([1]) . (٣٨٠/٣)

الدراسة :

هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما لم يبسمل في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا البسملة في أولها في المصحف الإمام بل اقتدوا في ذلك بأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك([2]) . وهم بالحج ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عاداتهم في ذلك ، وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم ، وبعث أبا بكر الصديق أميراً على الحج تلك السنة ليقيم للناس مناسكهم ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا وأن ينادي في الناس (براءة من الله ورسوله) فلما قفل اتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه عصبة([3]) له([4]) .

قوله تعالى : (أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٩ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

([1]) تخريج النص : ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٠/٧ ، وفتح القدير ٤٨٤/٢ .

([2]) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام كانت في سنة تسع للهجرة . معجم البلدان للحموي ١٤/٢ .

([3]) العصبة : الأقارب من جهة الأب ، النهاية لابن الأثير ٢٤٥/٣

([4]) تفسير القرآن العظيم ٥٢٠/٢

بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾(الآية :١٩-٢٠) .

٢/١٢٨ عن الزهري رضي الله عنه قال : أول ما ذكر من عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن قريشاً خرجت من الحرم فارّة من أصحاب الفيل وهو غلام شاب فقال : والله لا أخرج من حرم الله أبتغي العز في غيره . فجلس عند البيت وأجلت عنه قريش فقال : اللهم إن المرء يمنع رحله فامنع رحالك ... لا يغلبن صليبهم وضلالهم عدواً محالك . فلم يزل ثابتاً في الحرم حتى أهلك الله الفيل وأصحابه ، فرجعت قريش وقد عظم فيها لصبره وتعظيمه محارم الله ، فبينما هو في ذلك وقد ولد له أكبر بنيه ، فأدرك – وهو الحارث بن عبد المطلب – فأتي عبد المطلب في المنام فقيل له : احفر زمزم خبيئة الشيخ الأعظم ، فاستيقظ فقال : اللهمَّ بيِّن لي . فأتي في النام مرة أخرى فقيل : احفرتكم بين الفرث والدم في مبحث الغراب في قرية النمل مستقبل الأنصاب الحمر . فقام عبد المطلب فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما سمي له من الآيات ، فنحرت بقرة بالجزورة فانفلتت من جازرها تحمي نفسها حتى غلب عليها الموت في المسجد في موضع زمزم ، فجزرت تلك البقرة من مكانها حتى احتمل لحمها فأقبل غراب يهوي حتى وقع في الفرث ، فبحث عن قرية النمل فقام عبد المطلب فحفر هناك ، فجاءته قريش فقالت لعبد المطلب : ما هذا الصنيع إنما لم نكن نرميك بالجهل لم تحفر في مسجدنا؟! فقال عبد المطلب : إني لحافر هذا البئر ومجاهد من صدني عنها . فطفق هو وولده الحارث وليس له ولد يومئذ غيره ، فسفه عليهما يومئذ ناس من قريش فنازعوها وقاتلوهما ، وتناهى عنه ناس من قريش لما يعلمون من عتق نسبه وصدقه واجتهاده في دينهم .

حتى إذا أمكن الحفر واشتد عليه الأذى ، نذر أن وفي له عشرة من الولدان ينحر أحدهم ، ثم حفر حتى أدرك سيوفاً دفنت في زمزم حين دفنت ، فلما رأت قريش أنه قد أدرك السيوف قالوا : يا عبد المطلب أجدنا مما وجدت . فقال عبد المطلب : هذه السيوف لبيت الله . فحفر حتى انبط الماء في التراب وفجرها حتى لا تنزف وبنى

عليها حوضاً ، فطفق هو وابنه ينزعان فيملآن ذلك الحوض فيشربه الحاج ، فيكسره أناس حسدة من قريش فيصلحه عبد المطلب حين يصبح .

فلما أكثروا فساده دعا عبد المطلب ربه ، فأريَ في المنام فقيل له : قل اللهمَّ لا أحلها المغتسل ولكن هي للشاربين حل وبل ثم كفيتهم . فقام عبد المطلب حين اختلفت قريش في المسجد ، فنادى بالذي أرى ثم انصرف فلم يكن يفسد حوضه ذلك عليه أحد من قريش إلا رمى في جسده بداء حتى تركوا حوضه وسقايته ، ثم تزوّج عبد المطلب النساء فولد له عشرة رهط (٣٩٧/٣)([1]) .

الدراسة :

السقاية والعمارة ، قال الإمام الطبري رحمه الله هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت ، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله لا في الذي افتخروا فيه من السدانة والسقاية([2])

وجاء في أسباب النزول : أن الآية نزلت في علي والعباس وطلحة بن شيبة وذلك أنهم افتخروا فقال طلحة : أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، وقال علي : ما أدري ما تقولان لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنزل الله تعالى هذه الآية([3]).

وفي رواية أخرى : قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر لئن كنتم سبقتموني بالإسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني ، فأنزل الله تعالى الآية([4]) .

والمراد من الآية أنه لا ينبغي أن يجعلوا أهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله ، فإن أصحاب العمارة والسقاية لا يدانون أهل الإيمان والجهاد في علو المرتبة وشرف المقدار وقد صرح بهذا في قوله تعالى (لا يستوون عند الله)

([1]) تخريج النص : ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٩٧/٣

([2]) جامع البيان ٣٣٥/١٠/٦

([3]) الإعجاز الطبي في القرآن ، د. السيد الجميلي ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ط ١٩٩٢م ، ص١٤٨-١٤٩ .

([4]) أسباب النزول للواحدي ١٦٣-١٦٤

وهذه الآيات تبين أن عمارة المسجد الحرام للمسلمين دون المشركين وإن إسلامهم أفضل مما كان يفخر به المشركون من عمارة المسجد([1]) الحرام قال تعالى : (أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ)([2]) .

ومما ورد عن ماء زمزم :

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ماء زمزم لما شرب له)([3]) .

أفاد بعض المجربين أن ماء زمزم يشفي بعض أورام الجلد الحميدة والخبيثة الناتجة عن داء السرطان في ذلك سبق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقال (ماء زمزم لما شرب له)([4]) .

قوله تعالى : (قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾)(الآية:٢٩) .

٣/١٢٩ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : أنزلت في كفار قريش والعرب (وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ)(البقرة: من الآية١٩٣) وأنزلت في أهل الكتاب (قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ) إلى قوله (حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ) فكان أول من أعطى الجزية أهل نجران([5]) . (٤١٠/٣)

([1]) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي ، ط٣ ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م ، ٧٧/١٠ .

([2]) سورة التوبة الآية ٢٠

([3]) أخرجه ابن ماجة في سننه ٢٥ كتاب المناسك ، ٧٨ باب الشرب من زمزم ٧٦/٣ ح رقم ٣٠٦٢ والحاكم في المستدرك مطولاً ، كتاب المناسك ٤٧٣/١ .

([4]) الإعجاز الطبي في القرآن ١٤٨-١٤٩ .

([5]) تخريج النص : فتح القدير ٥٠٩/٢ ، التوبة ، الآية ٢٩

٤/١٣٠ عن الزهري رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزية من مجوس أهل هجر ،ومن يهود اليمن ونصاراهم من كل حامل دينار([١])(٤١٢/٣)

الدراسة :

الجزية ما يؤخذ من أهل الذمة وتسميتها بذلك للاجتزاء بها في حقن دمهم قال الله تعالى (حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ) .

عن يد : عن ذل وقيل عن قهر وذل وقيل عن يد أي عن إنعام عليهم بذلك لأن قبول الجزية منهم وترك أنفسهم نعمة عليهم ويد من المعروف جزيلة .

قال الزجاج : أمر الله تعالى بقتل الكافرين كآفة إلا أن يعطوا الجزية عن يد ، وفرض قبول الجزية من أهل الكتاب وهم النصارى واليهود ، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المجوس([٢]) والصابئين([٣]) أن يجروا مجرى أهل الكتاب من قبول الجزية أما عبدة الأوثان من العرب فليس فيهم إلا القتل وكذلك غيرهم([٤])

تؤخذ الجزية من :

١/ أهل الكتاب أو من أشبههم كالمجوس كما صح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وهذا مذهب الشافعي وأحمد في المشهور عنه .

٢/ تؤخذ من جميع الأعاجم سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المشركين ولا تؤخذ من العرب إلا من أهل الكتاب وهذا مذهب أبو حنيفة .

٣/ تؤخذ من جميع الكفار من كتابي ومجوسي ووثني وغير ذلك وهذا مذهب الإمام مالك في قوله تعالى (وهم صاغرون) .

([١]) تخريج النص : الأموال لابن زنجويه ١٢٠/١ حديث رقم ١١٠ باب أخذ الجزية

([٢]) المجوس : هم عبدة النيران القائلون أن للعالم أصلين نور وظلمة وأصلهم من بلاد فارس وقد نبغوا في علم النجوم ، وقيل المجوس في الأصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات .

([٣]) الصابئة : جمع صابئ وهو كل خارج من دين كان عليه إلى آخر سمي في اللغة صابئاً ، فمعنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له إلى دين والدين الذي فارقوهم هو تركهم التوحيد إلى عبادة النجوم وتعظيمها . انظر الملل والنحل ، الشهرستاني ٢٥٧/٢-٢٥٨ .

([٤]) معاني القرآن ، الزجاج ٤٤١/٢-٤٤٢ .

قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ (الآية :٣٠) .

٥/١٣١ عن الزهري رضي الله عنه قال : كان عزير يقرأ التوراة ظاهراً وكان قد أعطي من القوة ما أن كان ينظر في شرف السحاب ، فعند ذلك قالت اليهود : عزير ابن الله(١) . (٤١٤/٣)

الدراسة :

قوله تعالى ((وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ) :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن أوفى وأبو أنس وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا : كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وأنت تزعم أن عزيراً ابن الله وإنما قالوا : هو ابن الله من أجل أن عزيراً كان في أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم يعملون بها ما شاء الله تعالى أن يعملوا ثم أضاعوا وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله قال أنهم قد أضاعوا التوراة وعملوا بالأهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم وأرسل عليهم مرضاً فاسطلقت بطونهم منهم حتى جعل الرجل يمشي كبده حتى نسوا التوراة ونسخت من صدورهم وفيهم عزير كان من علمائهم فدعا عزيراً الله عز وجل وابتهل إليه أن يرد إليه الذي نسخ من صدره فبينما هو يصلي مبتهلاً إلى الله تعالى نزل نول من الله فدخل جوفه ، فعاد إليه الذي كان ذهب من جوفه من التوراة فأذن في قومه فقال يا قوم قد آتاني الله التوراة ردها إلي يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم ثم أنى التابوت نزل عليهم بعد ذلك وبعد ذهابه منهم ، فلما رأوا التابوت عرضوا ما كانوا فيه على الذي كان عزير يعلمهم فوجدوه مثله فقالوا: والله ما أوتي عزير هذا إلا أنه ابن الله(٢) وفي الذين قالوا هذا عن عزير ثلاثة أقوال :

---

(١) تخريج النص : ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤١٤/٣

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١١/٦ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١٧٠/٤ لابن أبي حاتم وابن مردويه في التفسير .

الأول : أنهم جمع من بني إسرائيل قاله ابن عباس([1]) .

الثاني : من سلفهم قاله الماوردي([2]) .

الثالث : جماعة كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم قولين :

الأول : فنحاص وحده قاله ابن عمر وابن جريج([3]) .

الثاني : الذين ذكرناهم في أول الآية قاله ابن عباس([4]) .

قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾(الآية:٤٠) .

٦/١٣٢ عن ابن شهاب رضي الله عنه وعروة رضي الله عنه أنهم ركبوا في كل وجه يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم وبعثوا إلى أهل المياه يأمرونهم ويجعلون لهم الجعل العظيم ، وأتوا على ثور الجبل الذي فيه الغار الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم حتى طلعوا فوقه وسمع أبو بكر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم أصواتهم ، وأشفق أبو بكر وأقبل عليه الهم والخوف فعند ذلك يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا) ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه سكينة من الله (فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ

([1]) جامع البيان ٢٠٢/١٤ حديث رقم ١٦٦٢٠ والكشاف ٣٦٣/٢ .

([2]) هو علي بن محمد بن حبيب أبو الحسين الماوردي له تصانيف مفيدة سمي الماوردي لأنه كان يبيع ماء الورد وكان يميل إلى الاعتدال ولد بالبصرة ٣٦٤هـ وتوفى ببغداد سنة ٤٥٠هـ . انظر الأعلام للزركلي ٣٢٧/٤ .

([3]) الكشاف (٢٦٣/٢) عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، ط٣ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

([4]) زاد المسير ٤٢٤/٣ والدر المنثور ١٧٠/٤-١٧١ .

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)(١) . (٤٣٣/٣)

٧/١٣٣ من طريق الزهري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان(٢) رضي الله عنه : هل قلت في أبي بكر شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : قل وأنا اسمع ، فقال :

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صاعد الجبلا

وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قال : صدقت يا حسان ، هو كما قلت(٣) . (٤٣٣/٣)

٨/١٣٤ عن الزهري رضي الله عنه في قوله (إذ هما في الغار) قال : الغار الذي في الجبل الذي يسمى ثوراً(٤) . (٤٣٦/٣)

٩/١٣٥ من طريق الزهري « عن عروة عن عائشة قالت : لم أعقل أبويَّ قط إلا وهما يدينان الدين ، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية ، ولما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً قبل أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال ابن الدغنة : أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر رضي الله عنه : أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي . قال ابن الدغنة : فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج ، إنك تكسب المعدوم ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فأنا لك جار . فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة : مر أبا بكر فليعبد ربه في داره ، وليصل فيها ما شاء ، وليقرأ ما شاء ، ولا يؤذينا ولا يشتغلن بالصلاة والقراءة في غير داره . ففعل ثم بدا لأبي بكر رضي الله عنه فابتنى

---

(١) تخريج النص : فتح القدير ٥٢٨/٢ ، التوبة ، الآية ٤٢

(٢) حسان هو بن ثابت بن المنذر الأنصاري ويكنى أبا الوليد مات في خلافة معاوية ، انظر الشعر والشعراء ٣٠٥/١ لابن قتيبة ترجم له .

(٣) تخريج النص : أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٧٥٣/١٢ ، حديث رقم ٣٥٦٧٣

(٤) تخريج النص : أخرجه الطبري في تفسيره ١٣٦/١٠

مسجداً بفناء داره ، فكان يصلي فيه ويقرأ فيتقصف عليه نساء المشركين وأبناؤهم يعجبون منه وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رضي الله رجلاً بكاء لا يملك دمعه حين يقرأ القرآن ، فأفزع ذلك أشراف قريش فأرسلوا إلى ابن الدغنة ، فقدم عليهم فقالوا : إنَّا أجرنا أبا بكر على أن يعبد ربه في داره ، وإنه جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره وأعلن الصلاة والقراءة ، وإنا خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا ، فإن أحب أن يقتصر أن يعبد ربه في داره فعل وإن أبى إلا أن يعلن ذلك فسله أن يرد إليك ذمتك ، فإنَّا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرين لأبي بكر الاستعلان .

فأتى ابن الدغنة أبا بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر قد علمت الذي عقدت لك عليه ، فأما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترد إلي ذمتي فإني لا أحب أن تسمع العرب إني أخفرت في عقد رجل عقدت له . فقال أبو بكر رضي الله عنه : فإني أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله ورسوله صلى الله عليه وسلم – ورسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة – قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين » قد أريت دار هجرتكم ، رأيت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما حرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة حين ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى المدينة بعض من كان هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين ، وتجهز أبو بكر رضي الله عنه مهاجراً فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : على رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي . فقال أبو بكر رضي الله عنه : وترجو ذلك بأبي أنت؟! قال:نعم «فحبس أبو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحبته ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر أربعة أشهر»..([1]) . (٤٣٦/٣)

الدراسة :

قال ابن كثير رحمه الله : يقول تعالى (إِلَّا تَنصُرُوهُ) أي تنصروا رسوله فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره (إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ

([1]) أخرجه البخاري في الصحيح ٨٠٣/٢ رقم ٢١٧٥

ٱثۡنَيۡنِ) أي عام الهجرة لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه فخرج منهم قاصداً المدينة صحبه صديقه وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا في آثارهم ثم يسيروا نحو المدينة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم فيخلص إلى الرسول صلى الله عليه وسلم منهم أذى فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسكنه ويثبته ويقول (يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما)(١) ومعناه ثالثهما بالنصر والتأييد والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله تعالى (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ)(٢)(٣) .

وهذا النص يدل على فضل الصديق رضي الله عنه على جميع الأمة وإلى هذا المعنى ذهب أهل العلم(٤) .

وللمفسرين في قوله (وأنزل الله سكينته عليه) ثلاثة أقوال :

الأول : الرحمة قاله ابن عباس .

الثاني : الوقار قاله قتادة(٥) .

الثالث : السكون والطمأنينة ذكره ابن قتيبة(٦) .

وقيل هو ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه وقيل السكينة والسكن واحد وهو زوال الرعب(٧) .

جمع ابن كثير هذه الأقوال حيث قال : (السكينة أي تأييده ونصره) فلم يبتعد عن هذه المعاني لأنها من أسباب التأييد والنصر(٨) .

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح ٦٥ كتاب التفسير ، ٩ باب ثاني اثنين إذ هما ٢٠٢/٣ ح رقم ٤٦٦٣ ومسلم ٤٤ كتاب فضائل الصحابة ، ١ باب فضائل أبي بكر رضي الله عنه ١٨٥٤/٤ ح رقم ٢٢٨١ وذكره ابن كثير في تفسيره ٣٤/٤/٢ .

(٢) سورة النحل الآية ١٢٨

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣٢٧/٢

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣٢٧/٢ الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٩٤/٨ .

(٥) زاد المسير ٤٤٠/٣ ونزهة القلوب للسختياني ١٤٣ .

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٨٦ .

(٧) المفردات للراغب الأصفهاني ٢٤٧ .

(٨) تفسير القرآن العظيم ١١٤/٣

وفي هاء (عليه) ثلاثة أقوال :

الأول : أنها ترجع إلى أبي بكر وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس وحبيب بن أبي ثابت(١) واحتج من نصر هذا القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان مطمئناً وإلى هذا ذهب جمهور المفسرين(٢) .

الثاني : أنها ترجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قاله مقاتل .

الثالث : أن الهاء هاهنا في معنى تثنية والتقدير فأنزل الله سكينته عليهما فاكتفى بإعادة الذكر على أحدهما من إعادته عليهما كقوله (وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ)(٣)(٤) .

وفي قوله تعالى (كلمة الله هي العليا) قال : لا إله إلا الله (وكلمة الذين كفروا السفلى) قال : الشرك قاله الضحاك(٥) وابن عباس(٦) .

(وجعل الله كلمة الذين كفروا السفلى) قول آخر أن كلمة الكافرين ما قدروا بينهم في كيد به ليقتلوه وكلمة الله أنه ناصره قاله ابن عباس(٧) .

قوله تعالى : (لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾) (الآية ٤٢) .

---

(١) حبيب بن أبي ثابت واسمه قيس بن دينار يقال : هند الأسدي أبو يحيى الكوفي مولى بني أسد ، قال البخاري مات حبيب سنة تسع عشرة ومائة . تذكرة الحفاظ ١١٦/١ ، الأعلام ٢٩١/٢٨٨/٥ .

(٢) زاد المسير ٤٤٠/٣ والجامع لأحكام القرآن ٩٥/٨ وتفسير القرآن العظيم ١١٤/٣ والبحر المحيط ٤٣/٥ وغيرها

(٣) سورة التوبة الآية ٦٢

(٤) زاد المسير ٤٤٠/٣-٤٤١

(٥) الدر المنثور ٢٠٧/٤

(٦) جامع البيان ٢٦١/١٤ ح رقم ١٦٧٣٣ وتفسير القرآن العظيم ١١٤/٣ والبحر المحيط ٤٤/٥

(٧) زاد المسير ٤٤١/٣

١٠/١٣٦ قال ابن شهاب : ولم يبلغني في الأحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت من الشعر تاماً ، غير هؤلاء الأبيات ولكن يرجزهم لبناء المسجد (٢٠٦/٤)([1]) .

قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾(الآية:٦٠)

١١/١٣٧ عن الزهري : أنه سئل عن هذه الآية فقال : الفقراء الذين في بيوتهم ولا يسألون والمساكين الذين يخرجون فيسألون([2]) . (٤٥٠/٣)

١٢/١٣٨ عن الزهري : أنه سئل عن الغارمين قال : أصحاب الدين وابن السبيل وإن كان غنياً([3]) . (٤٥٢/٣)

الدراسة :

للزكاة مصارف هم الفقراء والمساكين والعاملون عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمون وفي سبيل الله وابن السبيل .

دلت الآية على أن الزكاة ركن من أركان الإسلام لقوله تعالى (فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ) فهي أمر الله وفريضته وقسمته وليست أمر من الرسول صلى الله عليه وسلم وما الرسول صلى الله عليه وسلم فيها إلا منفذ للفريضة المقسومة من رب العالمين وهذه الزكاة تؤخذ من الأغنياء على أنها فريضة من الله وترد على الفقراء وهي محصورة في الطوائف الثمانية التي عينها القرآن الكريم .

([1])تخريج النص : تفسير البغوي ٤٩/١ ، التوبة ، الآية ٤٠ . فضائل الصحابة أحمد بن حنبل ، تحقيق ، وصى محمد عباس ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ، ٨٠٢/٢ . فضائل الأنصار ح رقم ١٤٤١ .تاريخ الإسلام ١٦٤/١-١٦٦ ، السنة الأولى من الهجرة ..

([2]) تخريج النص : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٤١٨/٢ ح رقم ١٥٩٤ بتصحيح محمد عبد السلام شاهين ، ط٢ بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م .

([3]) تخريج النص : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٤٠٦/٢

قال الإمام ابن العربي : هذه الآية من أمهات الآيات أن الله بحكمته البالغة وأحكامه الماضية خص الناس بالأموال دون البعض نعمة منه عليهم ، وجعل شكر ذلك منهم إخراج سهم يؤدونه نيابة عنه سبحانه وتعالى فيما خصه بفضله لهم في قوله تعالى (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)([1])([2]) .

والصدقة متى أطلقت في القرآن فهي صدقة الفرض وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم)([3]) .

ومن مصارف الزكاة :

١/ الفقير : اختلف أهل التأويل في صفة الفقير والمسكين على أقوال منها :

١/ أن الفقير المحتاج المستضعف والمسكين الفقير السائل وبه قال الإمام مالك .

٢/ الفقير هو المحتاج المزمن المسكين هو المحتاج الصحيح قاله قتادة .

٣/ أن الفقير المحتاج والمساكين سائر الناس قاله إبراهيم وغيره .

٤/ الفقير الذي لا شئ له والمسكين الذي له شئ قاله الإمام الشافعي .

٥/ المسكين الذي لا شئ له والفقير الذي له شئ قاله أبو حنيفة .

٢/ قوله تعالى (والمساكين) :

عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان والأكلة والأكلتان) قالوا : فمن المسكين يا رسول الله ؟ قال : (الذي لا يعلم الناس بحاجته فيتصدق عليه) قال الزهري وذلك هو المحروم([4]) .

([1]) سورة هود الآية ٦

([2]) أحكام القرآن ابن العربي ٩٦١/٢

([3]) أخرجه البخاري مطولا ٢٤ كتاب الزكاة ، ٦٥ باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد على الفقراء ٣٦٨/١ ح رقم ١٤٩٦

([4]) أخرجه البخاري ٢٤ كتاب الزكاة ، ٥٥ باب قول الله تعالى لا يسألون الناس إلحافا ١٤٧٦/٣٦٣/١ ومسلم ١٢ كتاب الزكاة ، ٣٤ باب المسكين لا يجد غنى ١٠٣٩/٧٩/٢ وذكره ابن كثير في تفسيره ٤١/٤ وأحمد في مسنده ٢٦٠/٢ .

قال الإمام الطبري : أول الأقوال بالصواب قول من قال الفقير ذو الفقر والحاجة ومع حاجته يتعفف من مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع والمسكين هو المحتاج المتذلل للناس بمسألته([1]) .

والصحيح أن المسكين والفقير صنفان إلا أن أحد الصنفين أشد حاجة من الآخر([2]).

قوله تعالى (والغارمين) :

قال الفراء : وهم أصحاب الدين الذين ركبهم في غير إفساد([3]) .

قال القرطبي : قوله تعالى (والغارمين) هم الذين ركبهم الدين ولا وفاء عندهم به ولا خلاف فيه ، إلا من أدان في سفاهة فإنه لا يعطى منها ولا من غيرها إلا أن يتوب ، ويعطى منها من له مال وعليه دين فهو فقير وغارم فيعطى بالوصفين والأحاديث تشهد بذلك ، قوله صلى الله عليه وسلم : (إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل يحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصل قواماً من عيش أو سداداً من عيش ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصل قواما من عيش أو سداداً من عيش ورجل أصابته فاقة حتى يشهد له ثلاثة من ذوي الحجى من قومه فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحت)([4]) .

قوله تعالى : (والمؤلفة قلوبهم) عن الحسن رضي الله عنه قال : الذين يدخلون في الإسلام إلى يوم القيامة([5]) قول الحسن وافقه ابن عباس([6]) والزهري([7])

قوله تعالى : (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾)(الآية:٩٢) .

١٣/١٣٩ عن الزهري ويزيد([1]) بن سنان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمرو

([1]) جامع البيان ٣٢٦/١٠/٦

([2]) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٧٠/٨/٤

([3]) معاني القرآن الفراء ٢٤٣/١

([4]) الجامع لأحكام القرآن ١٨٣/٨/٤-١٨٤

([5]) الدر المنثور ٢٢٣/٤

([6]) جامع البيان ٣١٣/٤ ح رقم ١٦٨٤٥

([7]) الجامع لأحكام القرآن ١١٣/٨ وتفسير القرآن العظيم ١٢٣/٣

ابن قتادة وغيرهم أن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاؤون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف سالم(٢) بن عمير ، ومن بني حارثة عتبة بن زيد ومن بني مازن ابن النجار أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ، ومن بني سلمة عمرو بن عمرو بن جهام بن الجموح ، ومن بني واقف هرمى بن عمرو ومن بني مزينة عبد الله بن معقل(٣) ، ومن بني فزارة عرباض بن سارية فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أهل حاجة قال : لا أجد ما أحملكم عليه)(٤) . (٤٨٠/٣)

الدراسة :

عن سبب نزول هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن ينبعثوا غازين معه فجاء عصبة من أصحابه وكانوا سبعة : معقل بن يسار(٥) وصخر بن خنيس(٦) وعبد الله بن كعب(٧) الأنصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن عنزة(٨) وعبد الله بن مغفل فقالوا : يا رسول الله أحملنا فقال

---

(١) يزيد بن سنان هو أبو فروة الرهاوي روى عن ميمون بن مهران وآخرون وروى عنه شعبة بن الحجاج وآخرون (انظر الجرح والتعديل ٢٦٦/٩) .

(٢) سالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، توفى في خلافة معاوية رضي الله عنه.انظر أسد الغابة لابن الجزري ٣١١/٢/ت١٩٠٠ .

(٣) عبد الله بن معقل : بن عبد لهم بن عتيق المزني ، صحابي جليل من أهل بيعة الرضوان حدث عنه الحسن البصري توفى سنة ستين . انظر الاستيعاب ١٠٥/٣/ت١٩ .

(٤) تخريج النص : قول الزهري ويزيد بن سنان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨٠/٣ لابن المنذر في التفسير .

(٥) معقل بن يسار المزني البصري رضي الله عنه من أهل بيعة الرضوان حدث عن عمران بن حصين مات بالبصرة في آخر خلافة معاوية . انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢٤/٥٧٦/٢ .

(٦) صخر بن خنيس هو عبد الله بن خنيس ويقال عبد الرحمن وهو أصح روى عنه أبو التياح ويعد من البصريين . انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٤١/٣٠/٣ .

(٧) عبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف بن مازن النجار الأنصاري المازني شهد بدراً وكان على غنائم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر كانت وفاته سنة ثلاثين . انظر الاستيعاب ١٦٦٦/١٠٥/٣ .

(٨) ثعلبة بن عنزة هو ثعلبة بن زيد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد البكاءين الذين أنزل الله تعالى فيهم (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) انظر المرجع السابق ٩٧/٢٨٦/١ .

: لا أجد ما أحملكم عليه فولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً لأنهم لم يجدوا ما ينفقون ويحملون به إلى الجهاد([1]) ابن عباس وافقه الزهري مع اختلاف في بعض أسماء السبعة .

وقال محمد بن إسحاق : في سياق غزوة تبوك ثم أن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم البكاءون وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف وكانوا أهل حاجة فقال : (لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تفيض حزناً على عدم ذهابهم معه لجهاد أعداء الله)([2]) .

أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل([3]) عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد خلفتم بالمدينة رجالاً ما قطعتم وادياً ولا سلكتم طريقاً إلا شركوكم في الأجر حبسهم العذر)([4]) .

وقال جمهور المفسرين : نزلت في بني مقرن وكانوا ستة أخوة صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وليس في الصحابة ستة أخوة غيرهم([5]) .

وكل هذه الأقوال السالفة الذكر صحيحة يمكن الأخذ بها جميعاً لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

قوله تعالى : (وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨)(الآية :١١٨) .

([1]) أسباب النزول الواحدي ص١٧٤ ، لباب النقول السيوطي ١٢٣ .

([2]) تفسير القرآن العظيم ٦١/٤/٢ .

([3]) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٥٨/١٦-٥٩

([4]) أخرجه مسلم في صحيحه بنحوه ٣٣ كتاب الإمارة ، ٤٨ باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ١٥١٨/٣ ح رقم ١٩١١ وأورده ابن كثير في تفسيره ٦١/٤ .

([5]) البحر المحيط ٨٥/٥ زاد المسير ٤٨٦/٣ وتفسير القرآن العظيم ١٤٧/٣ والجامع لأحكام القرآن ١٤٥/٨ وجامع البيان ٤٢٢/١٤ ح رقم ١٧٠٨٣ . قول مجاهد : أنها نزلت في بني مقرن وهم سبعة وقد ذكرهم محمد بن سعد فقال : النعمان بن عمر بن مقرن وقال أبو خيثمة هو النعمان بن مقرن وسويد بن مقرن وعبد الرحمن بن مقرن وعبد الرحمن بن مقرن وعقيل بن مقرن ومعقل بن مقرن وسنان بن مقرن وعقيل بن مقرن . زاد المسير ٤٨٦/٣ .

١٤/١٤٠ عن ابن شهاب قال : إن الثلاثة الذين خلفوا كعب([١]) بن مالك من بني سلمة
وهلال([٢]) بن أمية من بني واقف ومرارة([٣]) بن ربيع من بني عمرو بن عوف([٤]). (٥٢٢/٣)

من طريق الزهري قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال : سمعت كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحدا تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وأشهر . وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزاة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزاة إلا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة عدوهم فأخبرهم وجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان . قال كعب رضي الله عنه : فقل رجل يريد أن يتغيب إلى ظن أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله عز وجل وغزا رسول الله

([١]) كعب بن مالك : بن أبي كعب أبو عبد الله ويقال أبو عبد الرحمن وأبو محمد ويقال أبو بشير الملك وهو أحد الثلاثة واختلفوا في وفاته قيل سنة ٥٠ أو ٥١ أو قيل الأربعين . انظر التهذيب ٤٤٠/٢٨ .

([٢]) هلال بن أمية : بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واسق الأوسي الأنصاري الواقفي وكان قديم الإسلام شهد بدراً وأحد ، أحد الثلاثة . أسد الغابة لابن الأثير ٤٠٦/٥-٤٠٧/٥٣٨١ .

([٣]) مرارة بن الربيع : العامري ويقال ابن ربيع العمري الأنصاري من بني عمرو بن عوف شهد بدراً وهو أحد الثلاثة ونزل القرآن في شأنهم . انظر الاستيعاب لابن عبد البر ٤٣٩/٣/ت ٢٣٩٠ .

([٤]) أخرجه البخاري في الصحيح ١٧١٨/٤ رقم ٤٣٩٩

صلى الله عليه وسلم تلك الغزاة حين طابت الثمار والظل وآن لها أن تصغر فتجهز إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولا أقضي شيئا فأقول لنفسي : أنا قادر على ذلك إن أردت فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا وفلت الجهاز بعد يوم أو يومين ثم ألحقه فغدوت بعد ما فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض من جهازي شيئا ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى انتهوا وتفارط الغزو فهممت أن أرتحل فأدركهم – وليت أني أفعل – ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت إذ خرجت في الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه من النفاق أو رجلا ممن عذره الله . ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك « ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بني سلمة : حبسه يا رسول الله برداه والنظر في عطفيه . فقال له معاذ بن جبل : بئسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم » قال كعب بن مالك : فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني همي فطفقت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما راح عني الباطل وعرفت أني لم أنج منه بشيء أبدا فأجمعت صدقه وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المتخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم علانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله حتى جئت فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال لي « تعال فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال : ما خلفك ألم تكن قد اشتريت ظهرك ؟ فقلت : يا رسول الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكنه – والله – لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى عني به ليوشكن الله يسخطك علي ولئن حدثتك الصدق وتجد علي فيه أني لأرجو قرب عتبي من الله والله ما كان لي عذر والله ما كنت قط أفرغ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك » فقمت وبادرني رجال من بني سلمة واتبعوني فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به المتخلفون فلقد كان كافيك من ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فوالله ما زالوا يؤنبوني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي أحدا ؟ قالوا : نعم لقيه معك رجلان قالا ما قلت وقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة حسنة فمضيت حين ذكروهما ليقال : ونهى رسول الله الناس عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض التي كنت أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت أشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف بالأسواق فلا يكلمني أحد وآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلسه بعد الصلاة فأسلم وأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلي قريبا منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي فإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال علي ذلك من هجر المسلمين مشيت حتى تسورت حائط أبي قتادة وهو ابن عمي وأحب الناس إلي فسلمت عليه فوالله ما رد السلام علي فقلت له : يا أبا قتادة أنشدك الله تعالى هل تعلم أني أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكت . قال : فعدت فنشدته فسكت فعدت فنشدته قال : الله ورسوله أعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار وبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاء فدفع إلي كتابا من ملك غسان – وكنت كاتبا – فإذا فيه : أما بعد فقد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت حين قرأتها : وهذا أيضا من البلاء فيممت بها التنور فسجرته فيها حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا برسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيني فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل إمرأتك . فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل ؟ ! قال : بل اعتزلها ولا تقربها وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك . فقلت

لإمرأتي : الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله إن هلالا شيخ ضائع وليس له خادم فهل تكره أن أخدمه ؟ قال : لا ولكن لا يقربنك .فقالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء والله ما زال يبكي من لدن إن كان من أمرك ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال أن تخدمه . فقلت : والله لا استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أدري ما يقول إذا استأذنته وأنا رجل شاب . قال : فلبثنا عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا .قال : ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله عنا قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت سمعت صارخا أوفى جبل سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك أبشر . فخررت ساجدا وعرفت أن قد جاء الفرج فآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا حين صلى الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي مبشرون وركض إلي رجل فرسا وسعى ساع من أسلم وأوفى على الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوتهما إياه ببشارته – والله ما أملك غيرهما يومئذ – فاستعرت ثوبين فلبستهما فانطلقت أؤم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقاني الناس فوجا بعد فوج يهنئونني بالتوبة يقولون : ليهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحوله الناس فقام إلي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره .قال : فكان كعب رضي الله عنه لا ينساها لطلحة .قال كعب رضي الله عنه : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يبرق وجهه من السرور « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك . قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال : لا بل من عند الله . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر . فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن انخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم قال : أمسك بعض مالك فهو خير لك .قلت : إني أمسك سهمي الذي بخيبر وقلت : يا رسول الله إنما نجاني الله بالصدق

وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيتقال : فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى والله ما تعمدت منذ قلت ذلك إلى يومي هذا كذبا وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي وأنزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار التوبة الآية ١١٧ إلى قوله وكونوا مع الصادقين فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوه فإن الله قال للذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس التوبة الآية ٩٥ إلى قوله الفاسقين قال : وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خلفوا فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال وعلى الثلاثة الذين خلفوا وليس تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا الذي ذكر مما خلفنا بتخلفنا عن الغزو وإنما هو حلف له واعتذر إليه فقبل منه »([1])

من طريق الزهري قال : أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك

الدراسة :

الثلاثة الذين خلفوا هم كعب بن مالك ومرارة بن ربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفي وكلهم من الأنصار . وقد خرج البخاري ومسلم حديث كعب بن مالك قال : ثم قلت لهم هل لقى معي هذا من أحد قالوا أنه لقيه معك رجلان قلت : ومن هما قالوا : مرارة بن ربيعة العامري وهلال بن أمية .

قول ابن شهاب الزهري وافقه عليه مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك

وعكرمة([2]) وقتادة والسدي([3]) وجابر بن عبد الله([4]) .

([1]) أخرجه مسلم في صحيحه ١٠٥/٨ ، رقم ٧١٩٢

([2]) جامع البيان ٥٤٥/١٤ ح رقم ١٧٤٤١

([3]) تفسير القرآن العظيم ١٧١/٣

([4]) جامع البيان ٥٦/٧-٥٧ ، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩٥/٥ .

عن السدي في قوله تعالى (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قال : كونوا مع كعب بن مالك ومرارة بن ربيعة وهلال بن أمية(١) .

أورد ابن كثير معنى الآية من غير خصوصية بقوله : أي ألزموا الصدق تكونوا من أهله(٢) فوافق بذلك قول قتادة قال : أنه عام وهم الذين صدقوا في إيمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة(٣) .

سورة يونس

قوله تعالى : (هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ

(١) الدر المنثور ٣١٦/٤ عزاه السيوطي في الدر لابن أبي حاتم في التفسير .

(٢) تفسير القرآن العظيم ١٧١/٣

(٣) زاد المسير ٥١٤/٣ والكشاف ٣٢٠/٢ .

إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٣﴾) (الآية :٢٢-٢٣) .

١/١٤١ عن الزهري قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تبغ ولا تكن باغياً فإن الله يقول (إنما بغيكم على أنفسكم))(١) . (٥٤٤/٣)

الدراسة :

قوله تعالى (فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ) أي من تلك الورطة (إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ) أي كأن لم يكن من ذلك شئ ثم قال تعالى (يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم) أي إنما يذوق وبال هذا البغي أنتم وأنفسكم ولا تضرون به أحداً غيركم كما جاء في الحديث : (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر الله لصاحبه في الآخرة من البغي وقطعية الرحم)(٢)(٣) .

والبغي : التعدي والأعمال الفاسدة(٤) والشرك من بغي الجرح إذا فسد وأصله الطلب أي يطلبون الاستعلاء بالفساد(٥) وفي الآية والنص من الزجر عن البغي ما لا يخفى وممن وافق الزهري في هذا القول ابن عمر وابن عباس وأنس وزيد بن أسلم وأبو بكر وغيرهم(٦) .

قوله تعالى : (لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾) (الآية :٦٤) .

---

(١) تخريج النص : أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٣٣٨/٢ كتاب التفسير سورة يونس ٣٣٨/٢ الرياض مكتبة مطابع النصر الحديثة .

(٢) أخرجه أبو داود في السنن ٣٦ كتاب الأدب ، ٥١ باب في النهي عن البغي ٢٠٨٩/٤ ح رقم ٤٩٠٢ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٦٤٠/٢

(٤) المحرر الوجيز ابن عطية ١٣٠/٧

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٢٦/٨ – روح المعاني الألوسي ١٠٠/١١

(٦) الدر المنثور السيوطي ٣٥٢/٤

٢/١٤٢ عن الزهري وقتادة رضي الله عنهما في قوله (لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) قالا : البشارة عند الموت([1]) . (٥٦٢/٣)

الدراسة :

بشر المؤمن قوله تعالى (لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ) يقول الإمام الطبري في تأويل هذه الآية : البشرى من الله في الحياة الدنيا وفي الآخرة لأولياء الله الذين آمنوا وكانوا يتقون ، ثم اختلف أهل التأويل في البشرى التي يسر الله بها المؤمنين ما هي وما صفتها :

١/ إنها الرؤيا الصالحة يراها الرجل المسلم أو ترى له وفي الآخرة الجنة .

٢/ البشارة التي تبشر بها الملائكة المؤمن في الدنيا عند الموت قاله الزهري وقتادة وعطاء .

٣/ هي ما يبشرهم الله تعالى به في كتابه من جنته وكريم ثوابه قال تعالى (وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ)([2]) وقوله (وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ)([3])([4]) .

وهذا قول الحسن واختاره الفراء والزجاج واستدلا بقوله (لا تبديل لكلمات الله) قال ابن عباس رضي الله عنه : لا خلف لمواعيده وذلك أن مواعيده بكلماته فإذا لم تبدل الكلمات لم تبدل المواعيد .

قال الطبري : وأولى الأقوال بالصواب يقال إن الله تعالى ذكره أخبره أن لأوليائه المتقين البشرى في الدنيا ومن البشارة في الحياة الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له ومنها بشرى الملائكة إياه عند خروج نفسه برحمة الله كما روى النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الملائكة التي تحضره عند خروج الروح تقول لنفسه أخرجي إلى رحمة

([1]) ابن عبدالبر في التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٥٩/٥ .

([2]) سورة البقرة الآية ٢٥

([3]) سورة فصلت الآية ٣٠

([4]) زاد المسير ٤٤/٤ .

الله ورضوانه) ومنها بشرى الله إياه في الحياة الدنيا بشره بها ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى([1]) .

وهذا ما قال به الإمام الزهري ووافقه عليه أكثر المفسرين وما أراه أن الآية تتحمل كل هذه المعاني فكل ما قيل بشرى من الله تعالى للمؤمنين في الحياة الدنيا والآخرة ويؤيد ذلك ما ذكره القرآن الكريم في غير موضع والسنة النبوية المطهرة قال تعالى ((لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ) وقال صلى الله عليه وسلم (بشراهم في الدنيا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له وفي الآخرة الجنة)([2]) .

سورة هود

قوله تعالى : (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ (الآية :٤٠) .

١/١٤٣ عن الزهري قال : إن الله بعث ريحاً فحمل إليه من كل زوجين اثنين ، من الطير والسباع والوحش والبهائم([3]) . (٦٠١/٣)

الدراسة :

([1]) جامع البيان ٥٨٢/٥٧٧/٦/١١

([2]) أخرجه الترمذي ٣٥ كتاب الرؤيا ، ٣ باب لهم البشرى ٥٣٤/٤ ح رقم ٢٢٧٣

([3]) تخريج النص : تاريخ دمشق ٢٥٥/٦٢

ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان بين دعوة نوح عليه السلام وبين هلاك قومه ثلاثمائة سنة وكان فار التنور بالهند وطافت سفينة نوح عليه السلام بالبيت أسبوعاً([1]) .

قول ابن عباس انفرد به وهو ما عليه جمهور المفسرين([2]) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : التنور وجه الأرض قيل له:إذا رأيت الماء على وجه الأرض فأركب أنت ومن معك والعرب تسمي وجه الأرض تنور الأرض([3]) .

وهذا القول وافقه عليه الإمام الزهري وابن عيينة([4]) والضحاك وعكرمة([5]) .

اختلف علماء التفسير في عدد الذين آمنوا مع نوح وحملهم معه على أربعة أقوال:

الأول : كانوا سبعة ، نوح وثلاثة زوجات وثلاثة بنين قاله الأعمش([6]) .

الثاني : كانوا أربعين ذكره ابن عباس([7]) .

الثالث : كانوا ثلاثين رجلاً قاله ابن عباس([8]) .

الرابع : كان معه اثنان وسبعون مؤمناً هو وزوجته وأولاده الثلاثة سام وحام ويافث ، وزوجاته الثلاث وأنه ركب في عشر خلون من رجب ونزل في عشر خلون من محرم قاله قتادة([9]) .

([1]) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٠٧/٧ والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير ٣٤٢/٢ وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٢٢/٤ لابن المنذر وابن أبي حاتم في التفسير .

([2]) جامع البيان ٣٢١/١٥ ح رقم ١٨١٦٣ والبغوي ٣٢٣/٢ والمحرر الوجيز ٢٩١/٧ زاد المسير ١٠٤ والجامع لأحكام القرآن ٣٣/٩ تفسير القرآن العظيم ٢٤٠/٣ فتح القدير ٥٠١/٢ .

([3]) أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٠٨/٧ وعزاه السيوطي في الدر لابن المنذر وابن أبي حاتم .

([4]) الجامع لأحكام القرآن ٣٣/٩ .

([5]) جامع البيان ٣١٨/١٥ ح رقم ١٨١٤٥ وتفسير البغوي ٣٢٣/٢ والمحرر الوجيز ٢٩٢/٧ زاد المسير ١٠٥/٤ الجامع لأحكام القرآن ٣٣/٩ .

([6]) جامع البيان ٣٢٦/١٥ ح رقم ١٨١٧٧ .

([7]) زاد المسير ١٠٧/٤ والجامع لأحكام القرآن ٣٥/٩ .

([8]) زاد المسير ١٠٧/٤

([9]) مفحمات الأقران للسيوطي ١٨ وغرر التبيان ١١٨ .

قال ابن كثير : آمن معه عدد يسير مع طول المدة والمقام بين أظهرهم([1]) .

أما الإمام الطبري فلم يقل بعدد منها ولم يحدد هو عددهم بمقدار وذلم لعدم وجود الأثر الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم([2]) .

سورة يوسف

قوله تعالى : (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ (يوسف:٢٤) .

١/١٤٤ من طريق الزهري أن حميد([3]) بن عبد الرحمن أخبره أن البرهان الذي رأى يوسف عليه السلام هو يعقوب([1]) . (٢٣/٤)

([1]) تفسير القرآن العظيم ٣/٢٤٠ .

([2]) جامع البيان ١٥/٣٢٧ .

([3]) حميد بن عبد الرحمن : ترجم له من شيوخ الإمام الزهري ص٢٠

الدراسة :

معنى قوله تعالى ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ) الهم بالشئ في كلام العرب حديث المرء نفسه وذكر الإمام البغوي في تفسيره([2]) وقال بعض أهل الحقائق أنهم همان :

١/ هم ثابت وهو إذا كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امرأة العزيز .

٢/ وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم قيل هم يوسف عليه السلام فالعبد غير مأخوذ به ما لم يتكلم أو يعمل كما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال الله عز وجل : (إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها)([3])([4]) .

سورة الرعد

قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾

(الرعد:٤٣) .

١/١٤٥ عن الزهري رضي الله عنه قال : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه شديدا على رسول الله صلى اله عليه وسلم فانطلق يوماً حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، فسمعه وهو يقرأ (وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا

([1]) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٥/٣٨٥ /١١١٥

([2]) تفسير البغوي ٤/١٢/٣٢١ .

([3]) أخرجه البخاري ٩٨ كتاب التوحيد ، ٢٥ باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله) الفتح ١٥ ، ٤/٤٧٢ ح رقم ٧٤٩٠ ومسلم كتاب الإيمان ١١٧٥٥ ح رقم ١٢٨ وابن كثير ٤/١٠٦٢ .

([4]) زاد المسير ٤/٢٥/٢٧ ، تفسير القرآن العظيم ٢/٤/١٦٦ بتصرف .

تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ)(العنكبوت:٤٨) حتى بلغ (الظالمون) وسمعه وهو يقرأ (وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا) إلى قوله (علم الكتاب) فانتظره حتى سلم فأسرع في أثره فأسلم(١) . (١٢٩/٤)

الدراسة :

يقول تعالى : يكذبك هؤلاء الكفار ويقولون (لست مرسلا) أي ما أرسلك الله (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم) أي حسبي الله هو الشاهد علي وعليكم(٢) وقوله تعالى : (**وَمَن عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ**) في (من) إذا قرئ به كذلك في موضع خفض عطفاً به على اسم الله وكذلك قرأ قراء الأمصار بمعنى (والذين عندهم علم الكتاب) أي الكتب التي نزلت قبل القرآن ، كالتوراة والإنجيل وعلى هذه القراءة فسر ذلك المفسرين ، وقد ذكر جماعة من المتقدمين أنهم كانوا يقرءونه (ومن عنده علم الكتاب) بمعنى من عند الله علم الكتاب وهو ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ : (**وَمَن عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ**) قال : من عند الله علم الكتاب(٣) ووافقه ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم(٤) .

وذكر الطبري : أن الخبر الذي رواه ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له اصل عند الثقات من أصحاب الزهري ورجح القراءة الأولى لأن ما أجمع عليه القراء أحق بالصواب(٥) .

---

(١) لم أقف عليه

(٢) تفسير القرآن العظيم ٨٠٦/٢ .

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٢٧٥/٦ وذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه لابن مردويه ٦٦٨/٤

(٤) القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي د. محمود أحمد الصغير ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط١ ١٤١٩هـ-١٩٩٩م ص٤٩٥ ، المحتسب في وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، عثمان بن جني ، حققه علي النجدي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلبي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ٣٥٨/١ .

(٥) جامع البيان الطبري ١٧٨/١٣ .

سورة الحجر

قوله تعالى : (وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥)(الآية : ٤-٥) .

١/١٤٦ عن الزهري رضي الله عنه في قوله (مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ) قال : نرى أنه إذا حضر أجله ، فإنه لا يؤخر ساعة ولا يقدم ، وأما ما لم يحضر أجله ، فإن الله يؤخر ما شاء ويقدم ما شاء(١) . (١٧٥/٤)

الدراسة :

قوله تعالى : (وَمَا أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ) أبي أجل مؤقت كتب لهم في اللوح المحفوظ .

---

(١) القدر للفريابي ١/ ٤٠١ ، حديث رقم ٤٠٠

قوله تعالى : (مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) (ما) صلة ، كقولك : ما جاءني من أحد ، أي لا تتجاوز أجلها فتزيد عليه ، ولا تتقدم قبله ، ونظيره قوله تعالى (فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)(١)(٢) .

قال ابن كثير : يخبر تعالى أنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن ميقاتهم ولا يتقدمون عن مدتهم ، وهذا تنبيه لأهل مكة وإرشادهم إلى الإقلاع عما هم عليه من الشرك والعناد والإلحاد الذي يستحقون به الهلاك(٣) .

سورة النحل

قوله تعالى : (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾)(الآية :٦٨-٧٠) .

١/١٤٧ عن الزهري قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل النمل والنحل(٤) . (٢٣١/٤)

---

(١) سورة الأعراف الآية ٣٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٨/١٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٥٠١/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٣٣٧/٥ رقم الحديث ٢٦٦٥٥

الدراسة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أن نملة قرصت نبياً من الأنبياء فأمر بقرية النمل فأحرقت فأوحى الله إليه : أفي أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ؟)([1]) .

الحديث يدل على عدم جواز قتل النمل وهذا يوافق حديث الزهري وفي قوله تعالى (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ) يقصد النحل قال ابن قتيبة : أي من الثمرات وكل هاهنا ليست على العموم ، قوله تعالى (فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا) السبل الطرق([2]) قوله تعالى (تَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ) يعني العسل ، (مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ) قال ابن عباس منه أحمر وأبيض وأصفر باختلاف ذوات النحل ومأكولاتها([3]) قوله تعالى (فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ) في هاء الكناية ثلاثة أقوال : الأول([4]) : أنها ترجع إلى العسل وإلى هذا ذهب الجمهور .

الثاني([5]) : إن الهاء ترجع إلى الاعتبار والشفاء بمعنى الهدى قاله الضحاك .

الثالث([6]) : أنها ترجع إلى القرآن قاله مجاهد والفراء .

الراجح قول الجمهور لأن ظاهر الآية يدل على ذلك فلا وجه للعدول عن الظاهر ومخالفة المرجع الواضح والسياق البين .

والسنة الفعلية أثبتت لنا التداوي بعسل النحل ومما يؤكد ذلك عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخي

([1]) أخرجه مسلم ٣٩ كتاب السلام ، ٣٩ باب النهي عن قتل النمل ١٧٥٩/٤ ح رقم ٢٢٤١ ، والبخاري ٥٦ كتاب الأدب ١٧٥ باب قتل الذر ٢٢٣٦/٤ ح رقم ٥٢٦٦ والنسائي ٤٢ كتاب الصيد والذبائح ٣٨ باب قتل النمل ٤٣٥٨/٢١٠/٧ .

([2]) زاد المسير ٣٤٠/٤ .

([3]) زاد المسير ٣٤٠/٤ .

([4]) فتح القدير ١٧٦/٣ .

([5]) زاد المسير ٣٤١/٤ .

([6]) فتح القدير ١٧٦/٣ .

استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أسقه عسلاً) فسقاه . ثم جاءه فقال : إني سقيته عسلاً فلم يزده إلا استطلاقاً ، فقال له ثلاث مرات ، ثم جاء الرابعة فقال (أسقه عسلاً) فقال لقد سقيته فلم يزده إلا استطلاقاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (صدق الله وكذب بطن أخيك) فسقاه فبرأ(١) . ونجد أن العسل من أعظم الأغذية وأنفع الأدوية(٢) .

سورة الإسراء

قال تعالى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝)(الآية:١) .

١/١٤٨ عن ابن شهاب عن أنس رضي الله عنه قال : كان أبو ذر(٣) رضي الله عنه يحدث أن رسول الله قال : فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج عن صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء فلما جئنا السماء الدنيا قال جبريل عليه السلام لخازن السماء افتح قال من هذا قال : جبريل . قال : هل معك أحد؟ قال : نعم ، معي محمد . قال : أرسل إليه؟ قال : نعم . ففتح ، فلما علونا السماء الدنيا إذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ، فإذا نظر قبل يمينه تبسم وإذا نظر قبل

---

(١) أخرجه مسلم كتاب السلام ١٣١ باب التداوي بسقي العسل ١٧٣٦/٤ ح رقم ٢٢١٧ والبخاري ٧٦ كتاب الطب ، ٤ باب الدواء بالعسل ١٨٢٠/٤ ح رقم ٥٦٨٤ وأحمد في مسنده ٩/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٤٥/٥ وعزاه لابن مردويه .

(٢) فتح القدير ١٧٦/٣ .

(٣) هو جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري كان إسلامه قديماً صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، كانت وافته بالربذة سنة ٣٢هـ ، رجع إلى قومه بعد إسلامه فقام بها شهد بدر وأحد والخندق . انظر الإصابة في تمييز الصحابة ١٢٥/٧-١٣٠ والاستيعاب ٣٢/٢ .

شماله بكى ، فقال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح ، قلت لجبريل : من هذا؟ قال : هذا آدم ، وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه ، فأهل اليمين منهم أهل الجنة . والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر عن يمينه ضحك ، وإذا نظر عن شماله بكى ، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح . فقال له خازنها مثل ما قال الأول ، ففتح » .

قال أنس رضي الله عنه : فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ، ولم يثبت كيف منازلهم .(٢٦٥/٤)([1]) . (٢٦٥/٤)

٢/١٤٩ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بستة عشر شهراً([2]) . (٢٧٦/٤)

٣/١٥٠ قال ابن شهاب : وأخبرني ابن حزم([3]) أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الأقلام) قال ابن حزم وأنس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال : ما فرض الله على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة ، قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فرجعت فوضع شطرها ، فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال : راجع ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال : هي خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال : ارجع إلى ربك ، قلت : قد استحيت من ربي ، ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيتها ألوان ما أدري ما هي ، ثم ادخلت الجنة فإذا فيها جنان اللؤلؤ وإذا ترابها المسك)([4]) . (٢٦٦/٤)

الدراسة :

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه ١٣٥/١ رقم الحديث ٣٤٢ .

([2]) أخرجه ابن عبدالبر في التمهيد ٥٠/٨

([3]) ابن حزم هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد عالم الأندلس في عصره وأحد الأئمة ، ولد بقرطبة سنة ٣٨٤هـ – ٩٩٤م ، وأشهر مصنفاته : الناسخ والمنسوخ وغيرها ، توفى سنة ٤٥٦هـ – ١٠٦٤م . انظر الأعلام ٢٥٤/٤ .

([4]) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢١٧/٣ رقم الحديث ٣١٦٤ .

حديث أنس نص صريح في حقيقة الإسراء([1]) ولا خلاف بين العلماء في ذلك بإجماع المفسرين على حقيقة أهل العلم وسائر العلماء وعلى هذا القول ذهب جمهور المفسرين([2]) .

وهذا الحديث وإن كان موقوفاً إلا أنه في حكم المرفوع لأن مثله لا يقال وقد روي من وجوه أخرى كلها مرفوعة متواترة من حوالي عشرين صحابياً وإلى هذا أشار ابن كثير بقوله (قد تواترت الروايات في الحديث عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس وعائشة ومالك([3]) .. الخ([4]) .

وكما ذكر سابقاً بأن الإسراء ثابت لا خلاف في وقوعه إلا أنه اختلف في كيفيته على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : إن الإسراء كان بالروح لا بالجسد قول عائشة (وما فقد جسم النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أسري بروحه)([5]) .

ومن ذهب إلى هذا القول الحسن وابن إسحاق([6]) .

أما الوجه الثاني : فقد ذهبت طائفة إلى أن الإسراء كان إلى السماء بالروح وبالجسد إلى بيت المقدس حكاه القرطبي([7]) .

والثالث : فقد ذهبوا إلى أنه إسراء بالجسد يقظة احتجاجاً بالآية وهو الراجح عند أهل التفسير وذلك لأن في المتتابع في الأخبار الثابتة دلالة على ذلك([8]) .

([1]) الإسراء : سريت وأسريت لغتان والمعنى سرت ليلاً بالألف لغة أهل الحجاز وجاء القرآن بها جميعاً وسرى الليل مصدر قول حسان :

حي النضيرة ربة الخدر أسرت الليل ولم تكن تسري

لسان العرب (٢٨٢) لابن منظور ، دار صادر للطباعة والنشر ، لبنان بيروت ، ط١ ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .

([2]) انظر الأقوال وأصحابها ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤/٣ ، ط٢ ، جامع البيان للطبري ١٦/٩ وجامع الأحكام للقرطبي ٢٠٨/١٠ ، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ٢٠٢/٦ .

([3]) مالك بن صعصعة الأنصاري المازني بن أبي مازن روى عن أنس . انظر الاستيعاب ٤٠٨/٤ ، تهذيب التهذيب ١١٧/١ .

([4]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٤/٣

([5]) حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أخرجه ابن قتيبة في تأويل الحديث ٢١٦/١ .

([6]) ابن إسحاق هو محمد بن إسحاق بن خزيمة إمام أئمة أبو بكر السلمي النيسابوري الحافظ صاحب التصانيف روى عن ابن حجر وطبقته ترحل وتفقه في الدين له كتاب الصحيح . انظر العبر ٤٦٢/١ ، البداية والنهاية ١٤٩/١١ .

([7]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٠٨/١٠

([8]) جامع البيان للطبري ١٨/١٥

والمسألة الثانية وهي فرض الصلاة (ولا خلاف بين أهل العلم والمفسرين أن الصلاة فرضت بمكة ليلة الإسراء حيث عرج به صلى الله عليه وسلم في السماء وذلك منصوص في الصحيح وغيره وأن جبريل هبط ليلة الإسراء فعلم صلى الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها وقد أجمع المسلمون أن فرضها أربع إلا المغرب والصبح ولا يعرفون غير ذلك عملاً ولا نقلاً)([1]) حكاه القرطبي .

والمتفق عليه أنه صلى الله عليه وسلم أم الأنبياء وفي هذا مقام تسليم وتسلم([2]) .

٤/١٥١ من طريق ابن شهاب رضي الله عنه قال أخبرني ابن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سري به على البراق([3]) وهي دابة إبراهيم التي كان يزور عليها البيت الحرام يقع حافرها موضع طرفها قال فمرت بعير من عير قريش بواد من تلك الأودية فنفر بعير عليه غرارتان سوداء وزرقاء حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إيليا فأتي بقدحين قدح خمر وقدح لبن فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل عليه السلام هديت إلى الفطرة لو أخذت قدح الخمر غوت أمتك . قال ابن شهاب رضي الله عنه فأخبرني ابن المسيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى هناك إبراهيم وموسى وعيسى . فنعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (أما موسى فضرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوأة . وأما عيسى فرجل أحمر كأنما خرج من ديماس ، فأشبه من رأيت به عروة بن مسعود الثقفي . وأما إبراهيم فأنا أشبه ولده به . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حدّث قريش أنه أسرى به ، فارتد ناس كثير بعدما أسلموا قال أبو سلمة فأتى أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقيل له هل لك في صاحبك ؟ يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس ثم رجع في ليلة واحدة . قال أبو بكر رضي الله عنه : أو قال ذلك ؟ قالوا نعم قال : فاشهد إن

([1]) أحكام القرآن ٢٠٨/١٠

([2]) انظر خاتم المرسلين ، لمحمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٣م .

([3]) البراق : هي الدابة التي تركبها صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه ، وقيل لسرعة حركته شبهه فيها بالبراق . النهاية ١٢٠/١ .

كان ذلك لقد صدق . قالوا : أفتشهد أنه جاء الشام في ليلة واحدة ؟ قال : إني أصدقه بأبعد من ذلك ! أصدقه بخبر السماء)([1]) . (٢٨٨/٤)

الدراسة :

الدابة التي أسري بها النبي صلى الله عليه وسلم هي البراق والبراق في اللغة مشتقة من البرق وهو معروف والجمع براق([2]) .

وذكر الحديث تكذيب قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسراء (وأنه صلى الله عليه وسلم لما ذكر لهم قصة الإسراء كذبوا وكفروا به وازداد المخلصون إيماناً فلهذا السبب كان امتحاناً)([3]) .

قال القرطبي : (عدم التصديق به دليل على أنه أمر خارق للعادة وفيه إعجاز ودلالة نبوته صلى الله عليه وسلم وذلك بينه قول أبو هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء في بيت المقدس لم أتثبتها فكربت كرباً شديداً ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر إليه ما سألوني عن شئ حتى أنبأتهم)([4]))([5]) .

قوله تعالى : (تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾)(الآية :٤٤) .

([1]) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٢٨/٥

([2]) انظر جمهرة اللغة لابن دريد ، لأبي بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري توفى ٣٢١هـ ، مكتبة الثقافة الإسلامية (٢٧١/١) والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني ت(٥٠٢هـ) تحقيق محمد سيد الكيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت لبنان (٤٤) .

([3]) انظر أصول العلوم الإنسانية من القرآن الكريم ، زينب عطية أحمد ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط١ ١٤١٦هـ-١٩٩٥م (٩١٢) .

([4]) حديث أبو هريرة أخرجه مسلم في الصحيح ١٥٦/١ /١٧٢) .

([5]) جامع الأحكام للقرطبي ٢٠٩/١٠ .

٥/١٥٢ من طريق الزهري رضي الله عنه قال : أتى أبو بكر الصديق رضي الله عنه بغراب وافر الجناحين فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (ما صيد صيد ولا عضدت عضاة ولا قطعت وشيجة إلا بقلة التسبيح)(١) . (٣٣٣/٤)

الدراسة :

قوله تعالى ((تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ) فيها قراءتان :

الأولى : بالتاء (تسبح) قرأ بها الكسائي وحفص(٢) عن عاصم(٣) .

الثانية : (يسبح) بالياء وقرأ بها ابن كثير ونافع عن عاصم(٤) .

وإنما حسنت الياء هاهنا لأنه عدد قليل ، وإذا قل العدد من المؤنث والمذكر كانت الياء فيه أحسن(٥) .

قوله تعالى : (وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ) إن بمعنى ما وهل هذا على إطلاقه؟ وفيه قولان :

الأول : إنه على إطلاقه فكل شئ يسبحه حتى الثوب والطعام وصرير الباب قاله إبراهيم النخعي(٦)(٧) .

الثاني : أنه عام يراد به الخاص وفيه ثلاثة أقوال :

الأول : أنه كل شئ فيه روح قاله الحسن والضحاك وقتادة(٨) .

الثاني : أنه كل ذي روح وكل نام من شجر أو نبات قاله عكرمة(١) .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، ٩٣/٧ ، والمتقي الهندي في كنز العمال٦٦٩/١ ، حديث رقم١٩٢٠

(٢) حفص هو عمر بن عبد العزيز بن صهبان بن عدي أبو عمر الدوري الأزدي البغدادي النحوي العزيز ، إمام القراءة وشيخ الناس في زمانه أول من جمع القراءات ونسبته إلى الدور موضع ببغداد توفى سنة ست وأربعين ومائتين ، انظر النهاية في طبقات القراء ٢٥٥/١ ، سير أعلام النبلاء ٥٤١/١١ .

(٣) النشر في القراءات العشر ٣٠٧/٢

(٤) المرجع السابق نفسه .

(٥) زاد المسير ٢٩/٥ .

(٦) إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي الكوفي المتوفي سنة ٩٥هـ تابعي كان من فقهاء العراق . انظر تهذيب الكمال ٢٢٣/٢ ، التهذيب ١٥٥/١ .

(٧) زاد المسير ٢٩/٥ .

(٨) المرجع السابق ٢٩/٥ .

الثالث : إنه كل شئ لم يغير عن حاله ، فإذا تغير انقطع تسبيحه روي عن المقدام بن معد يكرب([2])([3]) .

الراجح القول الأول أي حمل الآية على العموم ويؤيد ذلك قوله تعالى : (إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ)([4]) وقوله تعالى : (وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ)([5]) وقوله (وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا)([6]) ونحو ذلك من الآيات .

وثبت في الصحيح أنهم كانوا يسمعون تسبيح الطعام وهم يأكلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا حديث حنين الجذع وحديث أن حجراً بمكة كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وكلها في الصحيح ، ومدافعة عموم هذه الآية بمجرد الاستبعادات ليس دأب من يؤمن بالله سبحانه ويؤمن بما جاء من عنده .

قال تعالى : (وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾)(الآية :٤٥) .

٦/١٥٣ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الله قالوا يهزءون به (قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ)([7]) فأنزل الله في ذلك من قولهم (وإذا قرأت القرآن ..)([8]) ٣٣٧/٤

دراسة النص :

([1]) فتح القدير ٢٣١/٣ .

([2]) ابن عمر بن يزيد بن كريمة وقيل أبو يزيد ويقال أبو بشر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزيل حمص توفى سنة سبع وثمانين ، انظر تهذيب (سير أعلام النبلاء ٤٢٧/٣) .

([3]) زاد المسير ٣٠/٥ .

([4]) سورة ص الآية ١٨ .

([5]) سورة البقرة الآية ٧٤ .

([6]) سورة مريم الآية ٩٠ .

([7]) سورة السجدة الآية ٥ .

([8]) تخريج النص : لباب التنزيل للسيوطي ١٢٣/١

لقد أورد الطبري([1]) في معنى قوله (حِجَابًا مَّسْتُورًا) قولين :

الأول : الأكنة وهو قول قتادة .

الثاني : الحجاب هاهنا الساتر وهذا قول يزيد وقال مستور وكان غيره من أهل العربية يقول معنى ذلك هو الحجاب فيكون معناه أن الله ستره عن أبصار الناس فلا تدركه أبصارهم وإن كان للقول الأول وجه مفهوم وهو قول الجمهور .

قال تعالى : (نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾ (الآية :٤٧)

٧/١٥٤ عن الزهري رضي الله عنه قال : حدثت أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس ابن شريق خرجوا ليلة يستمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي بالليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فتلاوموا، فقال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى إذا كان الليلة الثانية ، عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثالثة ، أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض : لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس أتى أبا سفيان في بيته فقال : أخبرني عن رأيك فيما سمعت من محمد قال : والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الأخنس وأنا والذي حلفت به ، ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فقال : ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال : ماذا سمعت ! تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف ، أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى إذا تجاشينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي

([1]) جامع البيان ٦٦/١٥ .

يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك هذه والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه فقام عنه الأخنس وتركه . والله أعلم)([1]) ٣٣٨/٤ .

دراسة النص :

وردت شواهد عن ابن عباس ومجاهد لحديث الزهري رضي الله عنه في قوله (إِذۡ يَسۡتَمِعُونَ إِلَيۡكَ) فيه أقوال وأورد الطبري في تفسيره أنهم الذين تشاوروا في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في دار الندوة وهو ما ذهب إليه أهل التفسير([2]) .

وقال ابن كثير : يخبر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما يتناجى به رؤوساء قريش بأنه رجل مسحور ، وصوبه الطبري وهو قول ابن الجوزي حكاه عن الزجاج .

وفي قوله تعالى (فلا يستطيعون سبيلا) فيها ثلاثة أقوال أوردها ابن الجوزي([3]) :

الأول : لا يجدون سبيلا إلى تصحيح ما يصيبونك به .

الثاني : لا يستطيعون سبيلا إلى الهدى لأننا طبعنا على قلوبهم .

الثالث : لا يأتون سبيل الحق لثقله عليهم .

قوله تعالى : (وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ٧٣)(الآية :٧٣) .

٨/١٥٥ عن ابن شهاب قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طاف يقول له المشركون : استلم آلهتنا كي لا تضرك فكاد يفعل فأنزل الله (وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ)([4]) . (٣٥٢/٤)

الدراسة :

قوله تعالى : ((وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ) في سبب نزولها أربعة أقوال([5]) :

([1]) أخرجه ابن كثير في تفسير ٤٥/٣

([2]) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٦٢/٣ .

([3]) زاد المسير ٤٣/٥ .

([4]) تخريج النص : ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ١٧٥/٩

([5]) زاد المسير ٤٩/٥

أحدها : إن وفد ثقيف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا متعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة فأبى ذلك فأقبلوا يكثرون مسألتهم وقالوا : إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم فإن خشيت أن يقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك ، فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم ودخلهم الطمع فنزلت هذه الآية ، رواه عطاء عن ابن عباس وروى عطية عن ابن عباس أنهم قالوا : أجلنا سنة ، ثم نسلم ونكسر أصنامنا فهم أن يؤجلهم فنزلت هذه الآية .

الثاني : أن المشركين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا نكف عنك إلا بأن تلم بآلهتنا ولو بأطراف أصابعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما علي لو فعلت والله يعلم إني لكاره) فنزلت هذه الآية ، قاله سعيد بن جبير وهذا باطل لا يجوز أن يظن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالف في حقه .

الثالث : أن قريشاً خلو برسول الله ليلة إلى الصباح يكلمونه ويفخمونه ويقولون : أنت سيدنا وابن سيدنا ، وما زالوا به حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون ثم عصمه الله من ذلك ونزلت هذه الآية قاله قتادة .

الرابع : أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أطرد عنك سقاط الناس ومواليهم وهؤلاء الذين رائحتهم رائحة الضان وذلك أنهم كانوا يلبسون الصوف ، حتى نجالسك ونسمع منك فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ما يستدعي به إسلامهم فنزلت هذه الآيات ، حكاه الزجاج قال ومعنى الكلام كادوا يفتنونك ودخلت (إن) واللام للتوكيد قال المفسرون وإنما قال (ليفتنونك) لأن في إعطائهم ما سألوا مخالفة لحكم القرآن([1]) .

([1]) أسباب النزول للواحدي ط٢ ص٢٩٧ .

سورة الكهف

قال تعالى : (وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَلَدًا)الآية (٣٩)

١/١٥٦ عن زياد بن سعد قال : كان ابن شهاب إذا دخل أمواله قال : (مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ) ويتناول قوله (وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ)([1]) الآية. (٤٠٤/٤)

الدراسة :

قوله تعالى : (وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ) أي قال له صاحبه المؤمن فاصلحا له ومذكرا له حاله الأولى التي أوجده الله فيا في الدنيا (مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلاً) فهو الذي أنعم عليك بنعمة الإيجاد والامداد وواصل عليك النعم.

قوله تعالى : (إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَلَدًا) أي قال للكافر صاحبه المؤمن : أنت وان فخرت على كثرة مالك وولدك ورأيتني أقل منك مالاً وولداً فإن ما عند الله خير وأبقى وما يرجى من خيره وإحسانه أفضل من جميع الدنيا التي يتنافس فيها المتنافسون([2]) .

قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلاً ﴿٥٠﴾) الآية ٥٠

([1]) تفسير ابن أبي حاتم ٢٠٤/٩

([2]) تفسير السعدي ص٤٧٧ :

٢/١٥٧ عن ابن شهاب في قوله إلا إبليس كان من الجن ، قال : إبليس أبو الجن كما أن آدم أبو الإنس وآدم من الإنس وهو أبوهم([1]). ٥/٤٠٢-٤٠٣

الدراسة :

قد اختلفت أقوال أهل التأويل في تأويل قول الله تعالى (إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ) . فقال بعضهم : إنهم سبط من الملائكة قبيلة خلقوا من نار وإبليس منهم وكان اسم قبيلته الجن وخلق سائر الملائكة من نور هذا ما ذهب إليه سعيد بن جبير . وذهب قتادة إلى أنه كان من أفضل صنف الملائكة يقال لهم الجن ، وذهب الحسن إلى أنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة([2]) .

وقال الإمام الشوكاني (وجملة (كان من الجن) مستأنفة لبيان سبب عصيانه وأنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة فلذا عصى)([3])

قولـه تعـالى : (وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ الآية ٨٣-٨٤

٣/١٥٨ عن ابن شهاب قال : إنما سمي ذي القرنين لأنه بلغ قرن الشمس من مغربها وقرن الشمس من مطلعها) ([4]) ٤/٤٣٨.

الدراسة :

كان أهل الكتاب أو المشركون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة ذي القرنين ، فأمره الله أن يقول (سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا) فيه نبأ مفيد وخطاب عجيب أي وسأتلوا عليكم من أحواله ،ما يتذكر فيه ، ويكون عبرة وأما ما سوى ذلك من أحواله فلم يتله عليهم([5]) .

([1]) ذكره القرطبي في تفسيره ١/٣٣٢ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٩/٢٠٩

([2]) انظر جامع البيان ٨/٢٣٦ والنكت والعيون ٣/٣١٤ ومعالم التنزيل ٥/١٧٨ والدر المنثور ٥/٤٠١

([3]) فتح القدير ٣/٤١٤

([4]) أخرجه ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦/٣٨٣

([5]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن السعدي ص٤٨٥

قوله تعالى : (إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ) أي ملكه الله تعالى ، ومكنه من النفوذ في أقطار الأرض وانقيادهم له.

(وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا) أي أعطاه الله عن الموصلة له لما وصل إليه([1]).

ورد في كتاب قصص القرآن :

فصل ذو القرنين إلى المغرب غازياً محارباً مجاهداً لا يصادف في طريقه حزناً إلا سلكه ولا عالياً إلا ظهره ولا عدواً إلا كسر سلاحه وقص جناحه لا يبالي في الجهاد الحر ولا القر ولا السهل ولا الوعر إذ كان الله قد مكن له في أرضه ورزقه الطاقة والانقياد في حبله وأتاه من كل شيء يحتاج إليه في توطيده ملكهه سبباً ومنعة في القتال حظاً سعيداً وفتحاً مبينا) ([2]) .

هذه الأسباب التي أعطاه الله إياه لم يخبرنا الله ولا رسوله بها ، ولم تتناقلها الأخبار على وجه يفيد العلم فلهذا لا يعنين غير السكوت عنها وعدم الالتفات لما يذكره النقلة من الاسرائيليات ونحوها .ولكننا نعلم بالجمة أنها أسباب قوية كثيرة داخلية وخارجية بها صار له حيذ عظيم ذو عذو وعدد ونظام . وبه يمكن من قهر الأعداء ، ومن تسهيل الوصول إلى مشارق الأرض ومغاربها وانحائها فأعطاه الله ما بلغ به مغرب الشمس حتى رأى الشمس في مرأى العين كأنها تغرب في عين حمئة أي سوداء([3]) .

([1]) تفسير السعدي ص١٨٥

([2]) قصص القرآن ، تأليف محمد أحمد جاد المولى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، السيد شحاته ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٤م ، الطبعة الثالثة عشرة ، ص٢٧١.

([3]) تفسير السعدي ص٤٨٥

سورة مريم

قوله تعالى:(يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢)الآية :١٢)

١/١٥٩ عن ابن شهاب أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه يوماً وهم يتذاكرون فضل الأنبياء فقال قائل (موسى كلمه الله تكليما) وقال قائل عيسى روح الله وكلمته،وقال قائل إبراهيم خليل الله،فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأين الشهيد بن الشهيد يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب يحيى بن زكريا(١) . (٤٧٣/٤)

دراسة النص :

عن مجاهد في قوله تعال (يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ) قال بجد (وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا) قال الفهم(٢) وهو قول أهل التفسير(٣) .

وعن مجاهد أيضاً قال : كان طعام يحيى بن زكريا العشب وإن كان ليبكي من خشية الله حتى لو كان القار على عينيه لأحرقه ، ولقد كانت الدموع اتخذت مجرى في وجهه(٤) .

وقول ابن شهاب وقول مجاهد رضي الله عنهما في فضل سيدنا يحيى بن زكريا عليه السلام وله شواهد أيضاً منها قول ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (ما من ولد آدم إلا وقد أخطأ ، أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكريا لم يهم بخطيئة ولم يعملها)(٥) .والخشية درجة من درجات الإيمان العليا يسمو بها العبد بروحه إلى الله وكلما زادت زاد العبد تقرباً .

(لذا فالخشية ضد الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشى وكمال سلطانه وقد يخشى العبد مخلوقاً آخر ولكن لا يستحي أن لخشيته لله)(٦) .

---

(١) أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال ٧٣٤/١١ /٣٢٤٤١ ، والسيوطي في جامع الأحاديث ٤٥٢/١٣

(٢) قول مجاهد أخرجه ابن أبي حاتم التفسير ٢٤٠٠/٦ وذكره السيوطي وعزاه لابن المنذر وعبد بن حميد .

(٣) أحكام القرآن للقرطبي ٨٦/١١ ، الجامع للطبري ٤٣/١٦ .

(٤) قول مجاهد أخرجه أبي عاصم في الزهد ٩٠/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٩٠/٥ .

(٥) أخرجه أحمد في المسند ٢٩١/١ /٢٦٥٤ ، المستدرك ٦٤٧/٢ ح رقم ٤١٤٩ ، الدر المنثور ٤٨٨/٥ ، القرطبي ٨٧/١١ ، ابن كثير ١٥٤/٣ .

(٦) معجم ألفاظ العقيدة لأبي عبد الله عامر بن عبد الله الناشر مكتبة العبيدان ، ط١ ١٤١٧هـ ، ط٢ ١٤٢٠هـ ، ص١٧٤

سورة طه

إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾

١/١٦٠ عن الزهري في قوله (فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ) قال كانتا من جلد حمار أهلي([1]) ٥٢٢/٤.

الدراسة :

ذكر ابن كثير وتأويل قوله (إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ) أي الذي يكلمك ويخاطبك وقوله (فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ) أي ألق أمره بذلك تعظيماً للبقعة([2]) .

قرأ الأعمش([3]) والحسن طول بكسر الطاء والتنوين وبكسر الطا وضمها لغتان فيه والتنوين باعتبار معلقة كونه علماً على مكان مخصوص([4]) .

وذكر الطبري أنه قد اختلفت القراءات في قراءة ذلك فقرأ بعض قراء المدينة (طُوى) بضم الطاء وترك التنوين كأنهم جعلوه اسم الأرض التي بها الوادي وكذا طوى في قراءة من لم يجزه جعله اسماً للأرض وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة (طوى) بضم الطاء والتنوين وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه وأول القولين عندي بالصواب قراءة من قرأ بضم الطاء والتنوين وهو عندي اسم الوادي([5]) ووافقه([6]) ابن كثير والقاسمي والبغوي وأن المفسرين فيه ثلاث أقوال([7]) :

١/ أنه اسم للوادي قاله ابن عباس([8])

٢/ الأرض قاله عكرمة

٣/ قدس مرتفها قاله الحسن وقتادة ووافقه ابن عطية([1]) .

([1]) تفسير ابن أبي حاتم ٢٧٣/٩

([2]) تفسير القرآن العظيم ٢٣١/٣

([3]) سليمان بن مهران الإمام المعلم أبو محمد الأسدي الكاملي ، الكوفي رأى أنساً ، اقرأ الناس لنشر العلم دهراً طويلاً ولد سنة ٦١هـ ، توفى سنة ١٤٨هـ ، انظر معرفة القراء الكبار للذهبي ٨٧١ ،ط١ ، طبقات القراء ٨٣٨/١-٨٧٠

([4]) القراءات الشاذة لعبد الفتاح القاضي ص٦٩

([5]) جامع البيان ١٤٦/١٦-١٤٧

([6]) تفسير القرآن العظيم ١٩٥/٣، محاسن التأويل ١٥٦/١١ ، معالم التنزيل ٢٦٧/١٥

([7]) زاد المسير ٢٧٤/٥-٢٧٦

([8]) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٤١٧/٧ ، والدر المنثور ٥٥٩/٧

سورة الأنبياء

قوله تعالى (وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾)(الآية : ٧٨-٧٩) .

١/١٦١ عن قتادة والزهري في الآية قال : نفشت غنم في حرث قوم فقضى داود أن يأخذوا الغنم ففهمها الله سليمان ، فلما أخبر بقضاء داود قال : لا ولكن خذوا الغنم ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول(٢) . (٥٨٤/٤)

الدراسة :

قوله تعالى : ((وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ) قال ابن جرير(٣) يقول تعالى لنبيه (اذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكمان في الحرث) واختلفوا في الحرث على قولين :

الأول(٤) : أنه كان عنباً قاله ابن مسعود ومسروق(٥) وشريح(٦) .

الثاني(٧) : كان زرعاً قاله قتادة .

لا تعارض بين القولين لأن اسم الحرث يطلق عليهما .

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ١٠/١٠

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان ٥٣/١٧

(٣) جامع البيان ٤٩/٩ .

(٤) زاد المسير ٢٥٧/٥ .

(٥) مسروق بن الأجدع الهمداني أدرك الجاهلية وكنيته أبو عائشة وهو تابعي روى عن علي وابن مسعود . أسد الغابة ٣٨٠/٥ .

(٦) الفقيه أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي قاضي الكوفة ، وهو ممن أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم حدث عن ابن عمر وعلي وحدث عنه قيس بن أبي حازم توفى سنة ٧٨هـ أو ٨٠هـ . سير أعلام النبلاء ١٠٠/٤ للذهبي .

(٧) زاد المسير ٢٥٧/٥ .

قوله تعالى (إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ) : أي رعت ليلاً وسرحت وسربت بالنهار قاله ابن قتيبة والنفش بالليل والعمل بالنهار قاله قتادة([1]) .

قوله تعالى (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ) قال الطبري : وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غنم أهل الغنم من حرث أهل الحرث شاهدين لا يخفى علينا منه شئ ولا يغيب عنا علمه([2]) .

وقال أنه تعالى نسخ الحكم الذي حكم به داود على لسان سليمان ، وأنزل عليه النسخ لذلك وألزمه أن يعرف داود ذلك ففهمه الحكم لما كان إنزال النسخ عليه خاصة وهذا لا يمنع أن يكون داود مصيباً وإن حكم بالمنسوخ قال تعالى : (وكلا آتينا حكما وعلماً)([3]) .

قوله تعالى : (وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ) الآية ١١١

قال رب أحكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون .

٢/١٦٢ عن الزهري قال : خطب الحسن رضي الله عنه فقال : أما بعد أيها الناس إن الله هداكم بأولنا وحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمر مدة والدنيا دول وإن الله تعالى قال لنبيه (وإن أدري أقريب أم بعيد ما توعدون إلى قوله : (ومتاع إلى حين) الدهر كله .

وقوله (هل أتى على الإنسان حين من الدهر) الإنسان : اسم الدهر كله وقوله (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) إبراهيم ٢٥ ، قال هي النخلة من حين تثمر إلى أن تصرم . وقوله (ليسجننه حتى حين) يوسف ٣٥ .

([1]) المرجع السابق نفسه ٥/٢٥٧ .

([2]) جامع البيان ٩/٦٢ .

([3]) متشابه القرآن ، للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني ت ٤١٥ ، تحقيق الدكتور عدنان محمد زرزور ، دار التراث ، القاهرة ص٥٠٣ ومع الأنبياء في القرآن الكريم ، تحقيق عبد الفتاح طبارة ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ط١٧ ، ١٩٨٩م ص٢٨١ .

سورة الحج

قولـــه تعـــالى : (وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ) ﴿٥٢﴾

١/١٦٣ عن ابن شهاب حدثني أبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ سورة النجم فلما بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة..)([1]) .

الدراسة :

ورد في سبب نزولها عن سعيد بن جبير قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة (والنجم فلما بلغ أفريتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العا وأن شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فنزلت([2]) .

وفي هذه الآية اسرائيليات وأن قصة الغرانيق هذه لم يخرجها أحد معنى التزموا الصحة بأنه إذا حدث النبي صلى الله عليه وسلم القى الشيطان في حديثه فيظل الله ما يلقى ، ويحكم آياته ويقال أمنيته قراءته ، فقد حكى الثاني بصيغة التعريض التي تدل على الضعف وليس في هذا ولا ذاك ما يشير إلى ما يزعمون([3])

وأورد الطبري أن المراد بقوله : ((وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ) .

([1]) التفسير الوسيط لمحمد سيد طنطاوي ٤٠١٨/١

([2]) أسباب النزول للواحدي (٣١٩-٣٢١) لباب النقول (١٥٠)

([3]) الإسرائيليات والموضوعات في التفسير ٣١٧ ، ط٤ ، ١٤٨٠هـ.

أي ألقى الشيطان في كتاب الله الذي قرأه أو في حديثه الذي تكلم وحدث([1]) وهو الذي عليه الجمهور([2]) وهذه الآية منسوخة([3]) بقوله تعالى (سنقرئك فلا تنسى)([4])

([1]) جامع البيان ١٩٠/١٧ :

([2]) زاد المسير ٤٤١/٥ ، تفسير القرآن العظيم ٣١٠/٣ ، المحرر الوجيز ٣٠٣/١٠ ، روح المعاني ١٧٣/١٧ ، الجامع لأحكام القرآن ١٩/١٢

([3]) الناسخ والمنسوخ لأبي القاسم هبة الله بن سلامة ص٦٦١

([4]) سورة الأعلى ، الآية ٦

سورة المؤمنون

قوله تعالى : (ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢)(الآية :٢) .

١/١٦٤ عن الزهري قال : سكون المرء في صلاته(١) . (٥/٥)

الدراسة :

قوله تعالى (الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ) :

قال الخشوع في القلب وقال : ساكتون قاله إبراهيم(٢) .

فقد اختلف المفسرون في المراد بقوله (خَاشِعُونَ) في أربعة أقوال(٣) :

أولها : قول الإمام الزهري وافقه عليه إبراهيم ومجاهد وعلي وعطاء وغيرهم .

الثاني : خالفهم قول أبي هريرة بأن الخشوع هو موضع السجود قاله قتادة .

الثالث : أنه ترك الالتفات في الصلاة قاله علي بن أبي طالب .

الرابع : أنه الخوف قاله الحسن .

والراجح عند أئمة التفسير هو ما قاله الطبري (أن الخشوع هو التذلل والخضوع وإذا كان كذلك ولم يكن الله تعالى دل على أن مراده في ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر وكان معلوماً أن مراده من ذلك العموم)(٤) .

قال القرطبي(٥) : إن الخشوع محله القلب فإذا خشع خشعت الجوارح كلها وقال الشاعر :

ألا في الصلاة الخير والفضيلة كلها لأن بها الآراب لله تخضع

إلى أن قال :

وصار لرب العرش حين صلاته نجيا فيا طوباه لو كان يخشع

---

(١) أخرجه النووي في تهذيب الأسماء ٨٦/٣

(٢) أخرجه ابن جرير ٣/١٨ والبيهقي في شعب الإيمان ٢٧٩/٢ ح رقم ٣٣٣٣ وعزاه السيوطي في الدر المنثور لعبد بن حميد .

(٣) انظر الأقوال وأصحابها زاد المسير ٤٦١/٥ جامع البيان ١٩٨/١٨ القرآن العظيم ٣٢٠/٣ الدر المنثور ٥/٥ .

(٤) معارج القبول بشرح الوصول إلى علم الأصول والتوحيد ٢٩٥/١ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ١٠٣/١٢ .

سورة النور

قوله تعالى : ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾(النور:٢)

١/١٦٥ عن الزهري قال : الطائفة الثلاثة فصاعداً(١) . (٣٨/٥)

الدراسة :

قوله تعالى (وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ) الرأفة المقصودة في الآية قرئت بإسكان الهمزة وفتحها ومنها رقة القلب وشدة الرحمة(٢) .

وللمفسرين فيها قولان :

الأول : لا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن اوجعوهما قاله ابن المسيب والحسن وقتادة والزهري .

الثاني : لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود فلا تقسموها قاله مجاهد والشعبي وابن زيد وآخرون(٣) .

والراجح فيهما ما اختاره الطبري هو قول الزهري ومن وافقه للدلالة قوله تعالى لعبده (فِى دِينِ ٱللَّهِ) يعني في طاعة الله التي أمر بها في إقامة الحدود(٤) .

حديث الزهري في الطائفة المراد بها لكي يحصل التشهير وقد اختلف المفسرون في عدة أقوال في ذلك :

الأول : الرجل فما فوق قول ابن عباس ومجاهد والنخعي .

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ٧٠/١٨

(٢) الحجة في القراءات السبع الإمام خالويه ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ط١ ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م /٢٦٠ .

(٣) انظر الأقوال تفسير القاسمي ١١٥/١١ ، القرطبي ١٦٧/١٢ ، الطبري ٦٦/١٨ .

(٤) جامع البيان ٦٨/١٨ .

الثاني : الإثنان فصاعداً قاله سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة .

الثالث : ثلاثة فصاعداً قاله الإمام الزهري .

الرابع : أربعة قاله ابن زيد([1]) .

والراجح من الأقوال ما صوبه ابن جرير بقوله (وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : أقل ما ينبغي هو ذلك في عدد المسلمين الواحد فصاعداً وذلك لأن الله عم قوله (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ) والطائفة قد ترتفع عند العرب على الواحد فصاعداً)([2]) .

قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥)(الآية : ٤-٥) .

٢/١٦٦ عن الشعبي والزهري وطاوس ومسروق قالوا : إذا تاب القاذف قبلت شهادته وتوبته أن يكذب نفسه([3]) . (٤٢/٥)

الدراسة :

للقذف شروط عند العلماء تسعة : شرطان في القاذف وهما العقل والبلوغ لأنهما أصلا التكليف ، إذ التكليف ساقط دونهما .

وشرطان في الشئ المقذوف به ، وهو أن يقذف بوطء يلزمه فيه الحد ، وهو الزنى واللواط ، أو بنفيه من أبيه دون سائر المعاصي .

وخمسة في المقذوف وهي العقل والبلوغ والإسلام والحرية والعفة عن الفاحشة التي رمي بها كان عفيفاً من غيرها أم لا .

واتفق العلماء على أنه إذا صرح بالزنى كان قذفاً ورمياً موجباً للحد([1]) .

([1]) انظر الأقوال وأصحابها ، الدر المنثور ١٢٦/٦ ، جامع البيان ٦٩/١٨-٧٠ ، زاد المسير ٨/٦ ، القرطبي ١٦٦/١٢ .

([2]) جامع البيان ٧٠/١٨ والنكت والعيون في أسباب النزول تفسير الماوردي لأبي الحسن علي بن محمد بن حسن الماوردي البصري ٣٦٤-٤٥٠هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ملتزم الطبع والنشر .

([3]) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣٨٣/٧ ، رقم الحديث ١٣٥٦٣

قوله تعالى (وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدًا) هذا يقتضي مدة أعمارهم ، ثم حكم عليهم بأنهم فاسقون ، أي خارجون عن طاعة الله عز وجل .

قوله تعالى (إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ) المعنى ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً إلا الذين تابوا واصلحوا من بعد القذف .

قال الجمهور : إذا تاب القاذف قبلت شهادته وإنما كان ردها لعلة الفسق فإذا زال بالتوبة قبلت شهادته مطلقاً قبل الحد وبعده(٢) .

قوله تعالى (إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ) أي : من القذف (وَأَصۡلَحُوا) قال ابن عباس : اظهروا التوبة .

وقال غيره : لم يعودوا إلى قذف المحصنات وفي هذا الاستثناء قولان :

أحدهما : أنه نسخ (حد) القذف وإسقاط الشهادة معاً وهذا قول عكرمة والشعبي وطاوس ومجاهد والقاسم بن محمد والشافعي وأحمد وافقهم الإمام الزهري .

والثاني : أنه يعود إلى الفسق فقط ، وأما الشهادة فلا تقبل أبداً قاله الحسن وشريح وإبراهيم وقتادة .

فعلى هذا القول انقطع الكلام عند قوله (أبداً) وعلى القول الأول وقع الاستثناء على جميع الكلام ، وهذا أصح لأن المتكلم بالفاحشة لا يكون جرماً من راكبها ، فإذا قبلت شهادة المقذوف بعد تبوته ، فالرامي أيسر جرماً وليس القاذف بأشد جرماً من الكافر فإنه إذا أسلم قبلت شهادته(٣) .

قوله تعالى : (إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١)(الآية :١١) .

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/١٧٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/١٧٩ .

(٣) زاد المسير ٥/٣٤٤ .

٣/١٦٧ عن الزهري قال : كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال : الذي تولى كبره منهم علي ، فقلت لا ، حدثني سعيد بن المسّيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن وقاص وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود كلهم سمع عائشة تقول : الذي تولى كبره عبد الله ابن أبي قال : فقال لي فما كان جرمه ؟ قلت : حدثني شيخان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أنهما سمعا عائشة تقول: كان مسيئاً في أمري)([١]).(٥/٥٨-٥٩)

الدراسة :

زاد مجاهد في حديثه في قوله تعالى (إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ) قال أصحاب عائشة : عبد الله بن أبي سلول ومسطح وحسان([٢]) .

لا خلاف بين المفسرون في أن الذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي سلول .

قال ابن الجوزي : (قد أجمع المفسرون أن هذه الآية وما يتعلق بها بعدها نزلت في قصة عائشة)([٣]) .

قوله تعالى : (ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾)(الآية :٢٦) .

٤/١٦٨ عن الزهري قال : لو جمع علم الناس كلهم ثم علم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لكانت عائشة أوسعهم علماً([٤]) . (٥/٦٧)

٥/١٦٩ عن الزهري قال : (إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام)([٥]) . (٥/٦٧)

([١]) أخرجه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/١٦٠ .

([٢]) قول مجاهد أخرجه الطبري ١٨/٨٧ والطبراني في المعجم الكبير ٢١/٣٤ . وعزاه السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر وعبد بن حميد

([٣]) زاد المسير ٦/١٩- جامع البيان ١٠/٨٦ .

([٤]) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٤/١٢ رقم الحديث ٦٧٣٤ .

([٥]) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٢٥٢ رقم الحديث ٣٢٣٠ .

الدراسة :

هذا النص في فضل عائشة رضي الله عنها وما تميزت به دون سائر النساء في هذه الخصائص التي خصاها الله عز وجل بها .

وفي الحديث عن عائشة (لقد خلقني طيبة عن طيب ولقد وعدت مغفرة وأجراً عظيما)([1]) .

وعنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد رأيت عائشة في الجنة كأني انظر إلى بياض كفيها ليهون بذلك علي عند موتي)([2]) .

وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن جبريل يقرأ عليك السلام قالت عائشة وعليه السلام ورحمة الله وبركاته)([3]) .

عن أنس رضي الله عنه قال : (إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام)([4]) . قال ابن كثير : (ونزلت هذه الآية في عائشة وأهل الأفك قول أهل التفسير)([5]) .

قوله تعالى : (وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾)(الآية :٣٣)

([1]) الحديث لعائشة أخرجه أبو يعلى في المسند ٩٠/٨ ح رقم ٤٦٢٦ .

([2]) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٧٨١/٢ ح رقم ١٦٣٣ .

([3]) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٦٤٢/٥ ح رقم ٣٢٢٧٥ .

([4]) أخرجه البخاري كتاب المناقب باب فضائل عائشة ١٤٧٥/٣ ح رقم ٣٥٥٩ ومسلم كتاب الفضائل باب فضائل عائشة ٨٩٥/٤ ح رقم ٢٤٤٦ والترمذي ٧٦/٥ ح رقم ٣٨٨٧ سنن النسائي ٩٨/٧ ح رقم ١٣٨٢ ، أحمد في مسنده ١٥٦/٣ ح رقم ١٢٦١٩ .

([5]) تفسير القرآن العظيم ٤٤٥/٣ .

٦/١٧٠ عن الزهري أن رجلاً من قريش أسر يوم بدر وكان عبد الله بن أبي أسيراً وكانت لعبد الله بن أبي جارية يقال لها معاذة وكان القرشي الأسير يريدها على نفسها وكانت مسلمة ، فكانت تمتنع منه لإسلامها وكان عبد الله بن أبي يكرهها على ذلك ويضربها رجاء أن تحمل للقرشي فيطلب فداء ولد ، فأنزل الله (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء)(١) . (٨٤/٥)

٧/١٧١ عن ابن شهاب أن عمرو بن ثابت أخا بني الحرث بن الخزرج حدثه : أن هذه الآية في سورة النور (وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ) نزلت في معاذة جارية عبد الله بن أبي بن سلول وذلك أن عباس بن عبد المطلب كان عندهم أسيراً فكان عبد الله بن أبي يضربها على أن تمكن عباساً من نفسها رجاء أن تحمل منه فيأخذ ولده فداء فكانت تأبى عليه وقال : ذلك الغرض الذي كان ابن أبي يبتغي(٢) . (٨٥/٥)

الدراسة :

قوله تعالى ((وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَـٰتِكُمْ) لا تجبروا إمائكم على الزنا إن أردن التعفف عن مفارقة الفاحشة وليست هذا للقيد أو الشرط وإنما هو لبيان فظاعة الأمر وشناعته فالأصل في المملوكة أن يحصنها سيدها ، أما أن يأمرها بالزنا وتمتنع وتريد العفة وذلك منتهى الخسة والدناءة .

نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي سلول المنافق كانت له جاريتان إحداهما تسمى (مسيكة) والثانية (أميمة) فكان يأمرهما بالزنا للكسب ويضربهما على ذلك فشكتا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية . ومن يجبرهن على الزنا فإن الله غفور بهن لا يؤاخذهن بالزنا لأنهن أكرهن عليه وسينتقم ممن أكرههن شر انتقام(٣) .

وقال القرطبي في قوله (إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا) إذا ارادت التحصن فحينئذ يمكن أن يكون السيد مكرهاً ويمكن أن ينهى عن الإكراه فإن الإكراه لا يتصور فيها وهي مريدة

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣٣/١٨

(٢) لم أقف عليه

(٣) صفوة التفاسير للصابوني (٣٣٦) تفسير القرآن العظيم ، محمد علي الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع ، شارع يوسف عباس ، مدينة نصر القاهرة ، ط ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

للزنا وفي ذلك أشار ابن العربي : إنما ذكر الله سبحانه وتعالى إرادة التحصن من المرأة لأن ذلك هو الزنا أن يصور الإكراه فإما إن كانت راغبة في الزنا لم يتصور إكراه وإن لم يردن فإنه يمنع الإكراه .

وقوله تعالى (لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا) أي الشئ الذي تكسبه الأمة بفرجها أما الولد فيسترق ويباع قيل:كان الزاني يفتدي ولده من المزني بمائة من الإبل يدفعها لسيدها([1])

قوله تعالى : (لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُواْ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾)(الآية :٦١) .

٨/١٧٢ عن ابن شهاب أخبرني عبيد الله بن عبد الله وابن المسيب أنه كان رجال من أهل العلم يحدثون إنما أنزلت هذه الآية في أمناء المسلمين كانوا يرغبون في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله فيعطون مفاتيحهم أمناءهم ويقولون لهم : قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فيقول الذين استودعوهم المفاتيح : والله ما يحل لنا مما في بيوتهم شئ وإن أحلوه لنا حتى يرجعوا إلينا ، وإنها لأمانة ائتمنا عليها فلم يزالوا على ذلك حتى أنزل الله هذه الآية ، فطابت أنفسهم([2]) . (١٠٦/٥)

الدراسة :

اختلف المفسرون في المعنى الذي لأجله رفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض فقال عطاء الخرساني وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يقال أنها نزلت في

([1]) الجامع لأحكام القرآن القرطبي (٦/٢٥٤-٢٥٥) .

([2]) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٨٣/٧

الجهاد وجعلوا الآية هنا كالتي في سورة الفتح وتلك في الجهاد ولا محالة أي أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد لضعفهم وعجزهم والآية التي وردت في سورة براءة المراد أنهم يتحرجون من الأكل مع الأعمى لأنه لا يرى الطعام وما فيه من الطيبات فربما سبقه غيره إلى ذلك ولا مع الأعرج لأنه لا يتمكن من الجلوس يأكل جليسه والمريض لا يستوفي من الطعام كغيره فكرهوا أن يؤاكلوهم لئلا يظلموهم فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم ، هذا قول سعيد بن جبير ومقسم . كانوا قبل البعثة يتحرجون من الأكل مع هؤلاء نفوراً وتغززا لئلا يتفضلوا عليهم قول الضحاك([1]) .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية ترخيصاً لأهل الأمانة في الأكل من بيوت من سمى الله في الآية لأن قوماً كانوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونه ذهبوا إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمي الله في هذه الآية فكان أهل الأمانة يتخوفون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنهم اطعمهم غير ملكهم فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء ليس عليكم أيها الناس في الأعمى حرج ولا في أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم فوجهوا معنى (على) في هذا الموضع معنى (في)([2]) .

سورة الفرقان

قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾(الفرقان:٦٧) .

١/١٧٣ عن ابن شهاب في قوله (لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ) قال لا ينفقه في باطل ولا يمنعه من حق([3]) . (١٤٢/٥)

الدراسة :

([1]) القرآن العظيم لابن كثير ١٣٠٥/٣٠٤/٣ .

([2]) جامع البيان ٢٠٠/١٨ .

([3]) ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٢٣/٤٧ /١٤٣٥٢

قوله تعالى (وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ) قرأ ابن كثير وأبو عمرو (يقتروا) مفتوحة الياء مسكورة التاء . وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (يقتروا) بفتح الياء وضم التاء وقرأ نافع وابن عامر (يقتروا) بضم الياء وكسر التاء . وفي معنى الكلام قولان([1]) :

أحدهما : أن الإسراف مجاوزة الحد في النفقة والاقتار : التقصير عن ما لابد من ويدل على هذا قول عمر بن الخطاب : كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهى .

الثاني : أن الإسراف : الإنفاق في معصية الله وإن قل ، والاقتار منع حق الله تعالى ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج وآخرين .

قوله تعالى : (وكان) يعني الإنفاق (بين ذلك) أي : بين الإسراف والاقتار (قواما) أي : عدلاً .

سورة النمل

قوله تعالى : (قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّى لِيَبۡلُوَنِىٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾)(الآية : ٤٠) .

([1]) زاد المسير ٦/٢٣

١/١٧٤ عن الزهري قال : دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا إلهنا وإله كل شئ إلهاً واحداً لا إله إلا أنت ، ائتني بعرشها قال : فمثل له بين يديه(١) . (٢٠٥/٥)

الدراسة :

قال ابن كثير في قوله (قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ) اختلفت الأقوال في اسم الذي عنده علم من الكتاب :

الأول : هو آصف كاتب سليمان قاله ابن عباس .

الثاني : كان مؤمناً من الإنس اسمه آصف وافقه في ذلك أبو صالح والضحاك وزاد قتادة أنه من إسرائيل .

الثالث : اسمه اسطرم قاله مجاهد .

الرابع : هو رجل من الإنس يقال له ذو النور قاله زهير بن محمد .

زعم عبد الله بن لهيعة أنه الخضر وهو غريب جداً .

وفي قوله تعالى (قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ) قال : أي ارفع بصري وانظر مد بصرك بما تقدر عليه فإنك لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك .

في قوله تعالى (ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ) قال المفسرون : أي آتيك به بلمح البصر فدعا الله فحضر العرش حالاً : وآصف بن برخيا هو الذي أتى بعرش بلقيس كان من المصدقين والعلم الذي ورد في نص الآية هو اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وكان يحفظه وإذا سئل به أعطى(٢) .

وفي قوله (قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ) قال الاسم الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وهو يا ذا الجلال والإكرام قاله مجاهد(٣) .

---

(١) أخرجه ابن كثير في تفسيره ٣/٣٦٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم (صفوة التفاسير للصابوني ٤٠٩) .

(٣) قول مجاهد أخرجه ابن جرير ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٣٦٠ وعزاه إلى الفريابي وعبد بن حميد .

من خلال هذه الأقوال التي سبقت فإني أرجحها بأنه رجل مؤمن على اتصال بالله موهوب سراً من الله يستمد به من القوى الكبرى التي لا تقف لها الحواجز والأبعاد . والله أعلم .

سورة الروم

قوله تعالى : (الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤)

النص :

١/١٧٥ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : بلغنا أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون : الروم أهل كتاب وقد غلبتهم الفرس ، وأنتم تزعمون أنكم

ستغلبون بالكتاب الذي أنزل على نبيكم وسنغلبكم كما غلبت فارس الروم ، فأنزل الله (الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ) قال ابن شهاب : فأخبرني عبدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود قال : إنه لما نزلت هاتان الآيتان فأمر أبو بكر بعض المشركين قبل أن يحرم القمار – على شيء إن لم تغلب الروم فارس في بضع سنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ولم فعلت ؟ فكل ما دون العشر بضع) فكان ظهور فارس على الروم في سبع سنين ثم أظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية ، ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب)([1])(٥/٢٩٠)

الدراسة :

قال الماوردي في قوله تعالى : (الم) اختلف فيه المفسرون على عدة أقوال([2]) :

الأول : أنه اسم من أسماء القرآن كالفرقان والذكر وهو قول ابن جريج([3])

الثاني : أنه من أسماء السور

الثالث : أنه اسم الله الأعظم وهو قول السدي والشعبي .

الرابع : أنه قسم أقسم الله به وهو من أسمائه قاله ابن عباس .

الخامس : أنها حروف مقطعة من أسماء الأفعال قاله ابن جبير .

السادس : أنها حروف يشتمل كل حرف منها على معان مختلفة قالا به مفتاح اسمه مجيد .

والصواب ما قاله الجمهور .

أن تفسير هذه الحروف يلتمس كلها التأويل لأننا نجد العرب قد تكلمت بالحروف المقطعة نظماً ولها وضعاً([4]) .

قوله تعالى : (غلبت الروم) قد ذكر المفسرون في سبب نزول هذه الآية رويات كثيرة متعددة منها ما رواه الإمام الطبري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : كانت

([1]) تخريج النص : دلائل النبوة للبيهقي ٢/٢٠٧ / ح رقم ٦١٨

([2]) تفسير الماوردي ، النكب والعيون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٨/٦٣-٦٥

([3]) هو عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الأسدي مولاهم المكي حافظ فقيه مفسر ولد بمكة ، من أثاره : السنن ، تفسير القرآن ، توفى رحمه الله ١٥٠هـ . انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠/٤٠٠

([4]) المحرر الوجيز لابن عطية ، ط١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م ، ١/١٣٨

فارس ظاهرة على الروم ، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل كتاب وهم أقرب إلى دينهم فلما نزلت (الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ..) قالوا يا أبا بكر إن صاحبك يقول بأن الروم تظهر على فارس في بضع سنين ، قال : صدق قالوا : هل لك أن نغامرك أي نراهنك وكان ذلك قبل تحريم الرهان ، فبايعوه على أربع قلائص – جمع قلوص وهي من الإبل السائبة إلى سبع سنين . فمضت السبع ولم يكن شيء ففرح المشركون بذلك ، فشق ذلك على المسلمين فذكر النبي صلى الله عليه وسلم فقال : بضع سنين عندكم ؟ قالوا دون العشر قال : اذهب فزايدهم وازدد سنين في الأجل قال : فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهر الروم على الفرس ففرح المؤمنون بذلك([1]).

قال ابن كثير وكانت نصرة الروم على فارس يوم وقعة بدر وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء كالثوري والسدي وغيرهم ، وقال آخرون بل كان نصر الروم على فارس يوم الحديبية قاله عكرمة([2]) .

سورة الأحزاب

قوله تعالى : (مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ ۝٤)(الآية:٤) .

١/١٧٦ عن الزهري في قوله ((**مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ**) قال : بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة ضرب له مثلاً يقول : ليس ابن رجل آخر ابنك([1]). (٣٤٨/٥)

([1]) جامع البيان في تأويل القرآن للإمام الطبري ١٠/١٦٥-١٦٦

([2]) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٤١١

الدراسة :

يقول تعالى موطئاً قيل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسياً وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه وهذا في قوله تعالى (**مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ**) وفي قوله تعالى (ما جعل أدعيائكم أبناءكم) هذا هو المقصود بالنفي فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة رضي الله عنه مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، كان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبناه قبل النبوة فكان يقال زيد بن محمد فأراد الله سبحانه وتعالى أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة كما قال تعالى في أثناء هذه السورة (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا)(الأحزاب:٤٠) .

وفي قوله تعالى ((**مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ**) في هذه الآية ثلاثة مسائل :

الأولى : نزلت في رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهائه وكان يقول : إن في جوفي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد وكان من ضمر قاله مجاهد(٢)(٣) .

الثانية : القلب بضعة صغيرة على هيئة الصنوبرة خلقها الله تعالى في الآدمي وجعلها محلاً للعلم فيخص به العبد من العلوم ما لا يسع في أسفار يكتبه الله فيه بالخط الإلهي وهو يضبطه فيه بالحفظ الرباني حتى يحصنه ولا ينسى منه شيئاً وهو بين لمتين لمة من الملك ولمة من الشيطان ومعنى الآية لا يجتمع في القلب الكفر والإيمان والهدى والضلال .

---

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان ١١٩/٢١

(٢) قول مجاهد أخرجه ابن جرير جمع البيان ١١٨/١١/٢١ وابن أبي حاتم ٣١١٢/٩ /١٧٥٧٣ ط٢ ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ٥٦١/٦ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٣) انظر أسباب النزول للواحدي (٢٤٧) .

الثالثة : أعلم الله عز وجل في هذه الآية أنه لا أحد بقلبين ويكون في هذا طعن للمنافقين أي إنما هو قلب واحد إما فيه إيمان أو كفر .

وفي قوله (ما جعل ادعيائكم أبناءكم) نزلت في زيد بن حارثة قول مجاهد(١) ووافقه عليه الإمام الزهري .

قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠)(الآية :٥٠) .

٢/١٧٧ عن الزهري وإبراهيم النخعي رضي الله عنهما في قوله (خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ) قالا : لا تحل الهبة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) . (٣٩٥/٥)

عن مكحول والزهري قالا : لم تحل الموهوبة لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣) . (٣٩٥/٥)

٣/١٧٨ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : لا يحل لرجل أن يهب ابنته بغير صداق قد جعل الله ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون المؤمنين(٤) . (٣٩٥/٥)

الدراسة :

---

(١) قول مجاهد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٦٢/٦ وعزاه إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٧٦/٧ /١٢٢٧٠ .

(٣) تخريج النص : أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف كتاب النكاح ٣٤٣/٤ .

(٤) تخريج النص : أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١١٩/٢ .

قوله تعالى ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ) يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن فملكتهن بالسباء وصرن لك فتح عليك من الفئ وأحل لك بنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك المهاجرات معك(١) .

ونجد الله تبارك وتعالى ذكر العم والخال فرداً والعمات جمعاً وكذلك (خالك) و(خالاتك) والحكمة في ذلك أن العم والخال في الإطلاق اسم جنس وليس كذلك العمة والخالة وهذا عرف لغوي(٢) .

وأما قوله (خالصة) وإنما قال (إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ) ولم يقل لك لأنه لو قال (لك) جاز أن يتوهم أن ذلك يجوز لغير رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاز في بنات العم وبنات العمات وخالصة منصوبة على الحال(٣) .

وللمفسرين في معنى (خالصة) ثلاثة أقوال :

القول الأول : إن المرأة إذا وهبت نفسها لم يلزمه صداقها دون غيره من المؤمنين قاله أنس بن مالك وسعيد بن المسيب .

القول الثاني : أن له أن ينكحها بلا ولي ولا مهر دون غيره قاله قتادة .

القول الثالث : خالصة لك أن تملك عقد نكاحها بلفظ الهبة دون المؤمنين هذا قول الشافعي وأحمد(٤) وافقهم الإمام الزهري(٥) .

وفي المرأة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم قولان :

القول الأول : أم شريك .

---

(١) جامع البيان ٢٤/١٢ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٥٥٧/٣ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ١٥٧/٣ .

(٤) الإمام أحمد هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن أحمد بن حنبل بن هلال البغدادي أحد الأئمة الأعلام ولد سنة أربع وستون ومائة هجرية روى عن بشر بن المفضل وسفيان بن عيينة وغيرهم وروى عنه البخاري ومسلم وأبوداود وغيرهم . سير أعلام النبلاء ١٧٧/١١ .

(٥) زاد المسير ٨٧/٦ .

القول الثاني : خولة بنت حكيم ، ولم يدخل بواحدة منهما وذكروا ليلى بنت الخطيم وهبت نفسها فلم يقبلها (قول ابن عباس) وحكى ابن عباس أن المرأة التي وهبت نفسها ميمونة بنت الحارث .

وقيل أنها زينب بنت خزيمة قاله الشعبي والأول أصح([1]) .

والغرض من هذا أن اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم كثير كما قال البخاري وقالت عائشة رضي الله عنها كنت أغار من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم وأقول أتهب المرأة نفسها ؟ فلما أنزل الله تعالى (تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ)(الأحزاب: من الآية٥١) قلت ما أرى ربك إلا يسارع في هواك قال ابن عباس : لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها له وقيل لم يقبل واحدة ممن وهبت نفسها له وإن كان ذلك مباحاً له ومخصوصاً به لأنه مردود إلى مشيئته .

قوله تعالى : (تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ۝٥١)(الآية :٥١) .

٤/١٧٩ عن ابن شهاب رضي الله عنه في قوله ((تُرْجِي مَن تَشَآءُ) قال : هذا أمر جعله الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم في تأديبه نسائه لكي يكون ذلك أقر لأعينهن ، وأرضى في عيشتهن ، ولم نعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجأ منهن شيئاً ، ولا عزله بعد أن خيرهن فاخترنه([2]) . (٣٩٨/٥)

الدراسة :

([1]) زاد المسير ٢٠٨/٦-٢٠٩ .

([2]) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٨٤/١١

في معنى قوله تعالى ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ أربعة أقوال([1]) :

الأول : تطلق من تشاء من نسائك وتمسك من تشاء منهن قاله ابن عباس .

الثاني : تترك نكاح من تشاء وتنكح من نساء أمتك من تشاء قاله الحسن .

الثالث : تعزل من شئت من أزواجك فلا تأتيها بغير طلاق وتأتي من تشاء فلا تعزلها قاله مجاهد .

الرابع : تقبل من تشاء من المؤمنات اللواتي يهبن أنفسهن وتترك من تشاء قاله الشعبي وعكرمة .

قال الزهري : ما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجأ منهن واحدة ولقد آواهن كلهن حتى مات .

قال أبو رزين : آوى عائشة وأم سلمة وحفصة وزينب وكان قسمة من نفسه وماله فيهن سواء وأرجأ سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة وكان يقسم لهن ما شاء .

وقال قوم : أنه أرجأ سودة وحدها لأنها وهبت يومها لعائشة وتوفى وهو يقسم لثمان([2]) .

وأكثر العلماء على أن هذه الآية نزلت مبيحة للرسول صلى الله عليه وسلم مصاحبة نسائه كيف شاء من إيجاب القسمة عليه والتسوية بينهن .

قال الطبري في معنى هذه الآية : أن الله تعالى جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهن له متى شاء ويؤي إليه منهن من يشاء وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي في حباله عندما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهن ، وإذا كان ذلك كذلك فمعنى الكلام تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك وأحللت لك نكاحها فلا تقبلها ولا تنكحها ، أو ممن هن في حبالك ، فلا تقربها وتضم إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء

([1]) زاد المسير ٦/٢٠٩ .

([2]) زاد المسير ٦/٢٠٩-٢١٠ .

التي أحللت لك نكاحهن فتقبلها أو تنكحها وممن هي في حبالك فتجامعها إذا شئت وتتركها إذا شئت بغير قسم([1]) .

قوله تعالى : ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۚ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥﴾(الأحزاب:٥٥) .

٥/١٨٠ عن الزهري رضي الله عنه أنه قيل له : من كان يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كل ذي رحم محرم من نسب أو رضاع قيل : فسائر الناس؟ قال : كن يحتجبن منه ، حتى أنهن ليكلمن من وراء حجاب ، وربما كان ستراً واحداً إلا المملوكين والمكاتبين ، فإنهن كن لا يحتجبن منهم([2]) . (٤٠٥/٥)

الدراسة :

قوله تعالى ((لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ) قال المفسرون : لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ونحن أيضاً نكلمهن من وراء حجاب ؟ فأنزل الله تعالى (لا جناح عليهن في آبائهن) أي في أن يروهن ولا يحتجبن عنهم ، إلى قوله تعالى **(وَلَا نِسَآئِهِنَّ)** قال ابن عباس يعني نساء المؤمنين لأن نساء اليهود والنصارى يصفن لأزواجهن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم إن رأينهن .

قوله تعالى : **(وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۚ)** ففيه قولان :

أحدهما : أنه أراد الإماء جون العبيد قاله سعيد بن المسيب .

([1]) جامع البيان ٢٧/١٢ – الجامع لأحكام القرآن ٢٠٧/١٣ ، فتح القدير ٢٩٦/٤ . زاد المسير ٢٠٩/٦ –٢١٠

([2]) تخريج النص : ذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ١٧٧/٨

والثاني : أنه عام في العبيد والإماء قال ابن زيد : كن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحتجبن من المماليك وافقه الإمام الزهري رحمه الله .

قوله تعالى (واتقين الله) أي : أن يراكن غير هؤلاء (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا) أي : لم يغب عنه شئ([1]) .

قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩) (الآية:٥٩).

٦/١٨١ عن ابن شهاب رضي الله عنه أنه قيل له : الأمة تزوج فتخمر ، قال ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ) فنهى الله الإماء أن يتشبهن بالحرائر([2]) . (٤١٥/٥)

الدراسة :

سبب نزول هذه الآية : (أن الفساق كانوا يؤذون النساء إذا خرجن بالليل فإذا رأوا المرأة عليها قناع تركوها وقالوا هذه حرة وإذا رأوها بغير قناع قالوا أمة فآذوها فنزلت هذه الآية)([3]) .

وفي قوله تعالى (يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ)) فيه ثلاثة أقوال :

١/ أنه الجلباب الرداء قاله ابن مسعود .

٢/ أنه القناع قاله ابن جبير .

٣/ أنه كل ثوب تلبسه المرأة فوق ثيابها قاله القرطبي .

وفي قوله (ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ) فيه وجهان :

([1]) زاد المسير ٢١٤/٦ .

([2]) تخريج النص : انفرد به عبد حميد وذكر السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد .

([3]) أسباب النزول للواحدي ٢٧٣ / معاني القرآن للنحاس ٣٧٨/٥ .

أحدهما : ليعرفن من الإماء بالحرية .

الثاني : يعرفن من المتبرجات بالعيانة قاله قتادة كانت الأمة إذا مرت تناولها المنافقون بالأذى فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء([1]) قول قتادة وافقه الزهري.

وفي قوله تعالى : (يا أيها النبي) خاطب النبي صلى الله عليه وسلم وأمره أن يقول لأزواجه وبناته ونساء المؤمنين ويأمرهن بأن يدنين عليهن من جلالبيبهن والجلالبيب جمع جلباب وهو خمار المرأة وهي المقنعة تغطي جبينها ورأسها إذا خرجت لحاجة بخلاف خروج الإماء اللاتي يخرجن مكشوفات الرؤوس والجباه قول ابن عباس ومجاهد وقال الحسن : الجلالبيب الملاحف تدنيها المرأة على وجهها (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين)([2]) .

سورة سبأ

قوله تعالى : (يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ) سبأ ١٣:

١/١٨٢ عن ابن شهاب في قوله : (ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ) قال : قولوا الحمد لله([3]) (٤٣٠/٥)

الدراسة :

قوله تعالى (ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ) فيه ست تأويلات :

أحدها : أنه توحيد الله تعالى قاله يحيى بن سلام([4])

الثاني : تقوى الله عز وجل والعمل بطاعته قاله محمد بن كعب([1])

([1]) النكت والعيون الماوردي ٤٢٤/٤ (٣٦٤-٤٥٠هـ) دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ملتزم بالطبع والنشر

([2]) التبيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٦٠/٨) دار إحياء التراث العربي – بيروت لبنان

([3]) تخريج النص : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/١٠

([4]) يحيى بن سلام بن أبي ثعلب ، الإمام العلامة أبو زكريا البصري ، حدث عن أصحاب الحسن البصري ، روى عنه ابن وهب ، توفى سنة ٢٠٠هـ ، سير أعلام النبلاء للذهبي ٣٩٦/٩

الثالث : صوم النهار وقيام الليل قاله ابن أبي زياد(٢) . فليس ساعة من نهار إلا وفيها من ال داود صائم ولا ساعة من الليل وإلا فيها من آل داود قائم.

الرابع : اعملوا من الأعمال ما تستوجبون عليه الشكر قاله ابن عطاء .

الخامس : اذكروا أهل البلاء وأسألوا ربكم العافية .

السادس : ما حكاه الفضيل أنه لما قال الله تعالى : ((ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَۚ)) فقال داود : إلهي كيف شكرك والشكر نعمة منك ؟ قال : (الآن شكرتني حين علمت أن النعم مني)(٣).

وقوله عز وجل (وقيل من عبادي الشكور فيه أربع تأويلات :

الأول المؤمن قاله يحيى بن سلام

الثاني : الموحد ، وهو معنى قول ابن عباس

الثالث : المطيع وهو مقتضى قول محمد بن كعب

الرابع : ذاكر نعمه ، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه(٤) الآية ثم قال : (ثلاثة من أوتيهن فقد أوتي مثل ما أوتي آل داود ، العدل في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى ، وخشية الله في السر والعلانية(٥) .

وفي الفرق بين الشاكر والشكور ثلاثة أوجه :

الأول : أن الشاكر لم يتكرر شكره والشكور من تكرر شكره .

الثاني : أن الشاكر على النعم والشكور على البلوى

الثالث : أن الشاكر خوفه أغلب والشكور رجاؤه أغلب

---

(١) محمد بن كعب كذا نسبه أبا حمزة قال الترمذي : سمعت بلغني أن محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم . الاستيعاب ابن عبد البر ٤٣٣/٣

(٢) ابن أبي زياد ميسرة المخزومي المدني ، مولى عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة قدم دمشق ، روى عن مولاه وأنس وعراك وغيرهم ، وروى عنه عبدالله بن سعيد ، توفى سنة ١٣٥ . التهذيب ٣٦٧/٣

(٣) رواه ابن أبي حاتم ونقله الحافظ ابن كثير في التفسير ٥٢٩/٣ الماوردي ٤٣٩/٤

(٤) رواه ابن النجار في تاريخه وطريق عطاء بن يسار عن أبي ذر مرفوعاً بنفس اللفظ الذي أورده المؤلف .

(٥) الماوردي ٤٤٠/٤ ، ورواه الحكيم الترمذي من طريق طاء بن يسار عن أبي هريرة مرفوعاً إلا أنه قال وذكر الله في السر والعلانية بدلاً عنه وخشية الله . الماوردي ٤٤٠/٤

سورة الشورى

قوله تعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾)(الشورى:٢٥) .

١/١٨٣ عن الزهري في قوله (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ) أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته في المكان الذي يخاف أن يقتله فيه العطش(١) . (٧٠٣/٥)

الدراسة :

قوله تعالى : (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ) اختلف العلماء في تفسير هذه الآية على قولين :

---

(١) تخريج النص : أخرجه مسلم ٤٩ كتاب التوبة ، ١ باب الحض على التوبة والفرح بها ٢١٠٢/٤ ح رقم ٢٦٨٥ والترمذي ٤٩ كتاب الدعوات ، ٩٩ باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله لعباده ٥٤٧/٥ ح رقم ٣٥٣٨ .

الأول([1]) : لما نزل قوله تعالى (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ)([2]) قال قوم في نفوسهم : ما يريد إلا أن يحثنا على أقاربه من بعده ، فأخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنهم قد أتهموه فأنزل الله (أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا)([3]) ، فإنا نشهد أنك صادق ونتوب ، فنزلت : (وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ) أي يقبل من المذنبين توبتهم إليه مما عملوا من المعاصي واقترفوا من السيئات ، والتوبة الندم على المعصية والعزم على عدم المعاودة لها ، قاله ابن عباس وهو قول أكثر أهل العلم .

الثاني([4]) : يقبل التوبة عن أوليائه وأهل طاعته قاله ابن عباس .

والأول أولى ، فإن التوبة مقبولة من جميع العباد مسلمهم وكافرهم إذا كانت صحيحة صادرة عن خلوص نية وعزيمة صحيحة . (ويعفو عن السيئات) على العموم لمن تاب عن سيئته (ويعلم ما تفلعون) من خير وشر فيجازي كللا بما يستحقه .

ونص الحديث الذي ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني ، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول)([5]).

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لله اشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دويه([6]) مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فنام فاستيقظ وقد ذهبت فطلبها حتى أدركه العطش ثم قال ارجع إلى مكاني الذي كنت فيه فأنام حتى

([1]) الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٦ .

([2]) سورة الشورى الآية ٢٣ .

([3]) سورة الشورى الآية ٢٤ .

([4]) فتح القدير ٥٣٥/٤ .

([5]) أخرجه مسلم ٤٩ كتاب التوبة ، ١ باب في الحض على التوبة والفرح بها ٢١٠٢/٤ ح رقم ٢٦٨٥ والترمذي ٤٩ كتاب الدعوات ٩٩ باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده ٥٤٧/٥ /٣٥٣٨ .

([6]) الدو : الصحراء التي لا نبات بها والدوية منسوبة إليها . النهاية ١٤٣/٢ .

أموت ، فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده)([1]) .

سورة الزخرف

قوله تعالى : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾(الزخرف:٢٨) .

١/١٨٤ عن الزهري قال : عقب الرجل ولده الذكور والإناث وأولاد الذكور([2]) . (٧٢٠/٥)

الدراسة :

قوله تعالى (وجعلها) يعني كلمة التوحيد وهي لا إله إلا الله) (كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ) أي : فيمن يأتي بعده من ولده ، فلا يزال فيهم موحد (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) إلى التوحيد كلهم إذا سمعوا أن أباهم تبرأ من الأصنام ووحد الله عز وجل([3]) .

قال ابن كثير في قوله تعالى ((وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ) أي هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان وهي (لا إله إلا الله) أي

([1]) أخرجه مسلم ٤٩ كتاب التوبة ، ١ باب في الحض على التوبة والفرح بها ٢١٠٣/٤ ح رقم ٢٧٤٤ والبخاري ٨٠ كتاب الدعوات ٤ باب التوبة ١٩٨٥/٤ ح رقم ٦٣٠٨ والترمذي ٣٨ كتاب صفة القيامة ٤٩ باب ٢٤٩٨/٦٥٩/٤ .

([2]) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ، ٢٣٧/٦ /٣١٠٢٤

([3]) زاد المسير ٣١٠/٧ .

جعلها دائمة في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله تعالى من ذرية إبراهيم عليه السلام ، (لعلهم يرجعون) أي : إليها([1]) .

وفي قوله تعالى:(وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ) أي الإسلام وهو قول عكرمة([2]) .

وفي رواية عنه أيضاً هي لا إله إلا الله وبهذا القول قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد والضحاك وقتادة([3]).والطبري والسدي([4]) والرازي([5]) والألوسي([6]) .

سورة الدخان

قوله تعالى : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤)(الدخان:٤) .

١/١٨٥ عن الزهري عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس([7]) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان حتى أن الرجل ينكح ويولد له وقد خرج اسمه في الموتى ، قال الزهري : وحدثني أيضاً عثمان بن محمد ابن المغيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ما من يوم طلعت شمسه إلا يقول من استطاع أن يعمل خيراً فليعمله فإني غير مكر أبداً ، وما من يوم إلا ينادي مناديان من السماء يقول أحدهما : يا طالب الخير أبشر ، ويقول الآخر : يا طالب الشر أقصر ويقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً مالاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً مالاً تلفاً)([8]) . (٥/٧٤٠)

الدراسة :

([1]) تفسير القرآن العظيم ١٢٩/٤

([2]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٧/١٦ .

([3]) تفسير القرآن العظيم

([4]) جامع البيان ١٧٩/١١

([5]) مفاتيح الغيب للرازي ١٧٩/٢٧/١٤٠

([6]) روح المعاني الألوسي ٧٧/٢٥

([7])عثمان بن محمد بن المغيرة الأخنس بن شريق الثقفي حجازي صدوق له أوهام ، تهذيب التهذيب ج٧ ، ص١٥٠.

([8]) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٩٧/٣ ، رقم الحديث ٤٠٣٨ .

أورد القرطبي([1]) في معنى الليلة المباركة التي وردت في الآية (إنا أنزلناه في ليلة مباركة) هي ليلة القدر ، ويقال ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء
١/ الليلة المباركة ٢/ ليلة براءة ٣/ ليلة الصك ٤/ ليلة الرحمة .
قوله تعالى : (فيها) أي في تلك الليلة (يفرق كل) أي : يفصل([2]) .

قال ابن كثير([3]) : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) أي : في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون إلى آخرها قال : وهكذا روي عن ابن عمر ومجاهد وأبي مالك والضحاك وغير واحد من السلف (وخالفهم الإمام الزهري) .

وكذلك ذكر غيره من المفسرين أن الضمير في قوله تعالى (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) يعود على الليلة المباركة التي نزل فيها القرآن وهي ليلة القدر ، وهو الحق الذي لا معدل عنه ومن قال أنها ليلة النصف من شعبان فحجته في ذلك بعض الآثار الضعيفة التي لا تقوم بها الحجة([4]) فإن الليلة التي يفرق فيها كل أمر حكيم هي ليلة القدر وعلى هذا المفسرون([5]) .

([1]) الجامع لأحكام القرآن ١٢٧/٨ .

([2]) زاد المسير ٣٣٨/٧ .

([3]) تفسير القرآن العظيم ١٢٣/٤-١٢٤

([4]) قال ابن كثير والحديث الذي رواه عبد الله بن صالح عن الليث عن عقيل عن الزهري : أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان ، الحديث موضوع الدراسة . فهو حديث مرسل ومثله لا يعارض به النصوص . (تفسير القرآن العظيم) ١٢٤/٤ .

([5]) زاد المسير ٣٣٨/٧ وتفسير القرآن العظيم ١٢٤/٤

سورة الفتح

قوله تعالى : (قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾) (الآية : ١٦)

١/١٨٦ عن الزهري رضي الله عنه قال : هم بنو حنيفة(١) . (٦٦/٦)

الدراسة :

قوله تعالى (سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ) المعنى : إن كنتم تريدون الغزو والغنيمة فستدعون إلى جهاد قوم (أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ) وفي هؤلاء القوم ستة أقوال :

أحدها : أنهم فارس روي عن ابن عباس وبه قال عطاء بن أبي رباح وعطاء الخرساني وابن أبي ليلى وابن جرير وآخرين .

الثاني : فارس والروم قاله الحسن وروي عن مجاهد .

الثالث : أنهم أهل الأوثان رواه ليث عن مجاهد .

---

(١) البيهقي في دلائل النبوة ٤/٢٤٥ /١٥١٥

الرابع : أنهم الروم قاله كعب .

الخامس : أنهم هوازن وغطفان وذلك يوم حنين قاله سعيد بن جبير وقتادة .

السادس : بنو حنيفة يوم اليمامة وهم أصحاب مسيلمة الكذاب قاله الإمام الزهري وافقه ابن السائب ومقاتل([1]) .

قال ابن كثير([2]) : اختلف المفسرون في هؤلاء القوم الذين يدعون إليهم ، الذين هم أولي بأس شديد على أقوال ثم قال وعن مجاهد هم رجال أولوا بأس شديد ، قال ولم يعين فرقة ، وبه يقول ابن جريج وهو اختيار ابن جرير([3]) .

قوله تعالى : (وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيۡدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمۡ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ﴿٢٠﴾)(الآية :٢٠) .

٢/١٨٧ عن الزهري قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقسم لغائب في مقسم لم يشهده إلا يوم خيبر قسم لغيب أهل الحديبية من أجل أن الله كان أعطى أهل خيبر المسلمين من أهل الحديبية فقال (وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ) وكانت لأهل الحديبية من شهد منهم ومن غاب([4]) . (٦٩/٦)

الدراسة :

قوله تعالى (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) أي : من خيبر لأنها كانت ذات عقار وأموال فأما قوله تعالى ((وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأۡخُذُونَهَا) فقال المفسرون : هي الفتوح التي تفتح على المسلمين إلى يوم القيامة .

(فَعَجَّلَ لَكُمۡ هَٰذِهِۦ) فيها قولان :

([1]) زاد المسير ٤٣١/٧ .

([2]) تفسير القرآن العظيم ١٧١/٤

([3]) جامع البيان ١٨٥/١١

([4]) أخرجه البيهقي في سننه ٣٣٤/٦ /١٢٧٠٤

أحدهما : أنها غنيمة خيبر قاله مجاهد وقتادة والجمهور .
والثاني : أنه الصلح الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش وروي عن ابن عباس([1]) .
قال ابن جرير : وأولى الأقوال بالصواب ما قاله مجاهد وهو أن الذي أثابهم الله من مسيرهم ذلك مع الفتح القريب : المغانم الكثيرة من مغانم خيبر وذلك أن المسلمين لم يغنموا بعد الحديبية غنيمة ولم يفتحوا فتحاً أقرب من بيعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية إليها من فتح خيبر وغنائمها([2]) .
قوله تعالى : ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾ (الآية ٢٦:) .
٣/١٨٨ عن الزهري رضي الله عنه : ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال : بسم الله الرحمن الرحيم([3]) . (٧٨/٦)
الدراسة :
يقول الله تعالى في هذه الآية لهديناهم إذ جعلوا الحمية وهي الأنفة يقال حمية عن كذا حمية بالتشديد ومحميه إذا أنفت وداخلك عار وأنفه أن . قال الزهري : حميتهم أنفتهم من الإقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح ب(بسم الله الرحمن الرحيم) ومنعهم من دخول مكة وقال ابن بحر([4]) حميتهم عصبيتهم لآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله والأنفة أن يعبدوا غيرها.

([1]) زاد المسير ٤٣٥/٧ .
([2]) جامع البيان للطبري
([3]) تخريج النص ابن عبدالبر في الإنصاف ٩١/١ /٨٦
([4]) ابن بحر هو أبو عثمان بن عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعروف بالجاحظ ت (٢٢٥هـ) من أئمة الأدب المشهورين ، كان معتزلياً ، من كتبه البيان والتبيين والبخلاء (انظر سير أعلام النبلاء ٥٢٦/١١) .

فأنزل الله الطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين وثبتهم على الرضا والتسليم وألزمهم كلمة التقوى لا إله إلا الله وقيل الإخلاص وقيل غير ذلك وكانوا أحق بها من كفار مكة لأن الله تعالى اختارهم لدينهم وصحبة نبيه وكان أعلم بكل شئ وكل أمر من المصالح والمضار(١) .

قوله تعالى : (وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ) فيها قولان :

الأول(٢) : هي لا إله إلا الله كذا قال الجمهور .

الثاني(٣) : هي (بسم الله الرحمن الرحيم) قول الزهري .

الراجح القول الأول لأن كلمة التوحيد هي التي يتقى بها الشرك بالله . والله أعلم .

قوله تعالى : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾)(الفتح:٢٩) .

٤/١٨٩ عن الزهري(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ) أبو بكر (أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ) عمر (رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ) عثمان ، (تراهم ركعاً

---

(١) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢٧٧/١٦ ، ٢٨٨ زاد المسير ٤٤١/٧ جامع البيان ١٠٣/٢٦ فتح القدير ٧٧/٥ معالم التنزيل البغوي ٣١٨،٣٢٣/١٦ تفسير القرآن العظيم ٢٥٥/٤ .

(٢) فتح القدير ٥٤/٥ .

(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير ٥٤/٥ .

(٤)في فضائل الخلفاء الأربعة والشيرازي في الألقاب .

سجداً) علي (يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا) طلحة والزبير (سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ) عبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبوعبيدة ابن الجراح (وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ) بأبي بكر (فَٱسْتَغْلَظَ) بعمر (فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ) بعثمان (يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ) بعلي (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم([1]) . (٨٣/٦)

الدراسة :

اختلف القراء في قراءة (شطأه) فقرأ ابن كثير وابن ذكوان([2]) بفتح الطاء وقرأ الباقون بإسكانها وكذلك اختلفوا في (فآذره) فروى ابن ذكوان بقصر الهمز وقرأ الباقون بالمد([3]) والراجح ما اتفق عليه الباقون من القراء والله أعلم .

الرحمة في اللغة بمعنى الرقة والتعطف والمرحمة مثله وقد رحمته وترحمت عليه وتراحم القوم بعضهم بعضا وقال تعالى : (ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ)([4]) أي أوصى بعضهم بعضاً برحمة الضعيف والتعطف عليه والرحمة في بني آدم عند العرب رقة القلب وعطفه ورحمة الله عطفه وإحسانه ورزقه([5]) .

يقول الله تعالى في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم غلاظ على الكفار متوادون ومتعاطفون فيما بينهم أي أنهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة

([1]) لم اقف عليه

([2]) ذكوان : عبد الله بن أحمد بن بشير ويقال بشير بن ذكوان بن عمر القرشي توفى سنة ٢٤٢هـ . غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٤٠٤/١ .

([3]) النشر في القراءات العشر ابن الجزري ٣٧٥/٢ .

([4]) سورة البلد الآية ١٧ .

([5]) لسان العرب ابن منظور ٢٣٠/١٢ .

والصلابة ولمن وافقهم الرحمة والرأفة وهم يركعون ويسجدون لله وفي وجوههم العلامة من أثر الصلاة وكثرة التعبد بالليل وهذا وصفهم في التوراة ووصفهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه أي نباته فقواه وأعانه وشده وقيل الشطأ قوى الزرع وقيل العكس فاستقام على عوده يعجب زراعه لاستوائه وقوته وحسن منظره وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم في الابتداء يكونوا قليلون ثم يزدادون ويكثرون آخراً ، وقواهم غيظاً للكفار ووعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يغفر لهم ذنوبهم ويدخلهم الجنة(١) . قال الطبري ألقى الله في قلوبهم الرحمة بعضهم بعضاً(٢) ، وقال القرطبي يرحم بعضهم بعضاً وقيل متعاطفون متوادون(٣) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)(٤) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)(٥) .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم قال : (من لا يرحم لا يرحم)(٦) .

قوله (سيماهم) أي علامتهم(٧) في وجوههم واختلف العلماء في هذه العلامة فذهب فريق إلى أنها في الدنيا وفي ذلك :

الأول : أنها في الدنيا .

الثاني : أنها في الآخرة وفيه قولان :

الأول : أن موضع السجود من وجوههم يكون أشد وجوههم بياضاً يوم القيامة هذا قول عطية العوفي(١) والزهري .

---

(١) فتح القدير ٧٦/٥ ، تفسير القرآن العظيم ٢٦٠/٤ ، زاد المسير ٤٤٥/٧ .

(٢) جامع البيان الطبري ١١٠/٢٦ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٩٢/١٦ .

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٥ كتاب البر والصلة والآداب ، ١٧ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتوادهم ٢٥٨٥/١٩٩٩/٤ .

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه ٤٥ كتاب البر والصلة والآداب ، ١٧ باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتوادهم (٢٥٨٦/٢٠٠٠/٤ .

(٦) أخرجه البخاري ٧٨ كتاب الأدب ، ٢٧ باب رحمة الناس والبهائم (١٤٨/٤/ ٦٠١٣ .

(٧) زاد المسير ٤٤٦/٧ .

الثاني : أنهم يبعثون غراً محجلين من أثر الطهور(٢) .

قال الإمام الطبري : إن الله تعالى أخبر أن سيما هؤلاء القوم الذين وصفهم صفتهم في وجوههم من أثر السجود وذلك لم يخصصه بوقت معين فذلك يكون على كل الأوقات فكان علامتهم التي يعرفون بها في الدنيا أثر الإسلام وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته وآثار أداء فرائضه وتطوعه وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به وذلك الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود(٣) وقول الإمام الطبري عام وشامل وبذلك يرى أنه الأقرب للصواب والله أعلم .

قوله تعالى (كزرع أخرج شطأه) على الراجح هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما ذهب إليه المفسرون(٤) .

---

(١) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي أبو الحسن من مشاهير التابعين توفى ١١١هـ . سير أعلام النبلاء للذهبي ٢١٥/٥ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٢٦٠/٤ .

(٣) جامع البيان (١١٢/٢٦) .

(٤) جامع البيان ١١٢/٢٦ ، الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢٩٥/١٦ فتح القدير ٨٠/٥ معالم التنزيل البغوي ٣٢٥/٢٦ .

سورة الحجرات

قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣)(الآية :١٣) .

١/١٩٠ عن الزهري قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم ، فقالوا : يا رسول الله أتزوج بناتنا موالينا ؟ فأنزل الله ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ) الآية ، قال الزهري : نزلت في أبي هند خاصة ، قال : وكان أبو هند حجام النبي صلى الله عليه وسلم(١) . (١٠٧/٦)

٢/١٩١ من طريق الزهري عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه) قالت : ونزلت ((يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ) الآية(٢) .(١٠٨/٦) .

الدراسة :

ورد أن سبب نزول هذه الآية أنه لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً(١) حتى أذن على ظهر الكعبة فقال عتاب بن أسيد بن أبي

---

(١) الكنى والأسماء للدولابي ٣٠٦/٥٥/٢ ، الألباني في الثمر المستطاب ٥٩٥/١

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٢١٠٢/٢٣٣/٢ .

العيص([2]) : الحمد لله الذي قبض أبي حتى لا يرى مثل هذا اليوم ، وقال الحارث([3]) بن هشام : أما وجد محمداً غير هذا الغراب الأسود مؤذناً ؟ وقال سهيل بن عمرو([4]) : : لئن يرد الله شيئاً بعيده ، وقال أبوسفيان([5]) : أني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبر به رب السماء فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره ما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء([6]) .

قال ابن كثير : إنما التفاضل عند الله بالتقوى لا بالأحساب وقد وردت الأحاديث بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى عن أبو هريرة قال : سئل رسول الله أي الناس أكرم ؟ قال : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ) قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : (فأكرم الناس يوسف نبي الله بن نبي الله خليل الله قالوا : ليس عن هذا نسألك قال : (فعن معادن العرب تسألون ؟) قالوا : نعم ، قال : (فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا)([7]) .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم : (الحسب المال والكرم التقوى وذلك يرجع إلى قوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم))([8]) .

([1]) بلال بن رباح المؤذن يكنى أبا عبد الله وقيل أبا عبد الكريم وقيل أبا عبد الرحمن وهو مولى أبي بكر اشتراه بخمس آواق ثم أعتقه . الاستيعاب ابن عبد البر ٢٥٨/١ .

([2]) عتاب بن أسيد بن العيص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي يكنى أبا عبد الرحمن وقيل أبو محمد أسلم يوم فتح مكة توفى يوم وفاة أبي بكر الصديق . الاستيعاب ١٤٣/٣ .

([3]) الحارث بن هشام أخ أبي جهل أسلم يوم فتح مكة وحسن إسلامه وكان خيراً شريفاً كبير القدر توفى سنة ١٨هـ . سير أعلام النبلاء ٥١٩/٤ .

([4]) سهيل بن عمرو الأنصاري ذكره ابن الكلبي فيمن شهد صفين من البدريين قتل مع علي بن أبي طالب في صفين سنة ٣٧هـ . الاستيعاب ٢٢٩/٢ .

([5]) أبو سفيان : صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي أبو سفيان والد معاوية وكان رئيس المشركين يوم أحد ورئيس الأحزاب يوم الخندق أسلم زمن الفتح وشهد حنين والطائف توفى سنة ٣١هـ . تهذيب التهذيب لابن حجر (٣٦١/٤)

([6]) أسباب النزول للواحدي ص ٤١٨

([7]) تفسير القرآن العظيم (٢٢٧/٤) الحديث أخرجه البخاري ٦١ كتاب المناقب باب قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم) ٧١٢/٢ ح رقم ٣٤٦٩ .

([8]) أخرجه الترمذي في السنن ٤٨ كتاب تفسير القرآن ، ٥٠ باب ومن سورة الحجرات ٣٨٩/٥ ح رقم ٣٩٣٦

قال الألوسي([1]) : أي في هذه الآية إشارة إلى وجه رد التفاخر بالنسب حيث أشارت إلى أن شرف النسب غير مكتسب وليس للنسب شرف يقول عليه ويكون مداراً للثواب عند الله عز وجل ولا أحد أكرم من أحد عنده سبحانه إلا بالتقوى وبها تكمل النفس ويتفاضل الأشخاص([2]) والنص خير شاهد ودليل .

قوله تعالى : ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٤﴾ (الآية :١٤).

٣/١٩٢ عن الزهري في الآية قال : ترى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل([3]) . (١١١/٦)

٤/١٩٣ من طريق الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم قسماً فأعطى أناس ومنع آخرين ، فقلت : يا رسول الله أعطيت فلاناً وفلاناً ومنعت فلاناً وهو مؤمن ، فقال : (لا تقل مؤمن ولكن قل مسلم) وقال الزهري : ((قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا))([4]) . (١١١/٦)

الدراسة :

هذه الآية نزلت في نفر من بني أسيد([5]) بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة جدبة فاظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يقدمون ويروحون إلى رسول الله صلى الله

([1]) هو محمود بن عبد الله بن الحسين الألوسي وألوس قرية على الفرات ، مفسر محدث فقيه أديب لغوي نحوي ، تخرج على علماء عصره منهم عبد العزيز الشواف وعلاء الدين الموصلي ولد سنة ١٢١٧هـ له تصانيف عديدة توفى سنة ١٢٧٠هـ . انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة (١٨١٥/٣) ح رقم ١٦٦٢ .

([2]) روح المعاني ، الألوسي (١٦٤/٢٦) معالم التنزيل للبغوي ٣٤٨/٧ .

([3]) تخريج النص : أخرجه أبو داود في سننه ٤٦٨٤/٦٣٢/٢

([4]) أخرجه النسائي في السنن الكبرى ١١٥١٧/٤٦٧/٦ .

([5]) بنو أسيد بن خزيمة : هي قبيلة من العدنانية ، تنسب إلى أسيد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار وهي ذات بطون كثيرة منها بنو كاهل وبنو غنيم وغير ذلك ، معجم القبائل العربية (٢١/١) .

عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالأثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على النبي صلى الله عليه وسلم ويريدون الصدقة ويقولون أعطينا فأنزل الله هذه الآية([1]) .

في هذه الآية أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرد على الأعراب الذين قالوا له آمنا ولم يصدقوا تصديقاً صحيحاً عن اعتقاد قلب وخلوص نية وطمأنينة ولكن قالوا استسلمنا خوف القتل والسبي والطمع في الصدقة وهذه صفة المنافقين لأنهم أسلموا في ظاهر الأمر ولم تؤمن قلوبهم ، وأن تطيعوا الله ورسوله طاعة حقيقية بنية خالصة ، لا ينقصكم من أعمالكم شيئاً وإن الله بليغ المغفرة لمن قرط من ذنب وبليغ الرحمة به([2]) .

الإسلام لغة : هو إظهار الانقياد والشريعة وإظهار الخضوع واتباع الشريعة والتزام ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه([3]) .

والإيمان في اللغة : هو إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم به واعتقاده وتصديقه بالقلب فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم([4]) .

([1]) أسباب نزول القرآن الواحدي ٤١٩ ، الدر المنثور ٥٨٥/٧ ، الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٣٤٨/١٦ ، روح المعاني ١٦٧/٢٦ .

([2]) فتح القدير للشوكاني ٩٦/٥ .

([3]) لسان العرب ، ابن منظور ٢٩٣/١٢ .

([4]) لسان العرب ابن منظور ٢٣/١٣) .

سورة الرحمن

قوله تعالى : (وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾)(الرحمن:٤٦) .

١/١٩٤ عن ابن شهاب قال : كنت عند هشام بن عبد الملك فقال : قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ) فقال أبو هريرة رضي الله عنه : وإن زنى وإن سرق ؟ فقلت : إنما كان ذلك قبل أن تنزل الفرائض ، فلما نزلت الفرائض ذهب هذا(١) . (٢٠٣/٦)

الدراسة :

قوله تعالى (وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ) فيه مسألتان :

الأولى : لما ذكر أحوال أهل النار ذكر ما أعد للأبرار والمعنى خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية ف(مقام) مصدر بمعنى القيام وقيل : خاف قيام ربه عليه أي إشرافه وإطلاعه عليه بيانه قوله تعالى (أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ)(٢) .

وقال مجاهد وإبراهيم النخعي : هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه .

الثانية : هذه الآية دليل على أن من قال لزوجه : إن لم أكن من أهل الجنة فأنت طالق أنه لا يحنث إن كان هم بالمعصية وتركها خوفاً من الله وحياء منه ، وقال به سفيان الثوري وأفتى به ، قال ابن عباس : من خاف مقام ربه بعد أداء الفرائض وقيل المقام الموضع أي خاف مقامه بين يدي ربه للحساب كما تقدم(٣) .

(جنتان) أي لمن خاف جنتان على حدة ، فكل خائف جنتان وقيل جنتان لجميع الخائفين والأول أظهر .

---

(١) تخريج النص : أخرجه الطبراني في مسند الشاميين ٣٢٢/٣/ رقم ٩٤٧ .

(٢) سورة الرعد الآية ٣٣ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٧٦/١٧ ط٢ .

وقيل : إن الجنتين جنته التي خلفت له وجنة ورثها .

وقيل : إحدى الجنتين منزله والأخرى منزل أزواجه كما يفعله رؤساء الدنيا وقيل : أن إحدى الجنتين مسكنه والأخرى بستانه ، وقيل إن إحدى الجنتين أسافل القصور والأخرى أعاليها وقال مقاتل : هما جنة عدن وجنة النعيم([1]) .

([1]) المرجع السابق ١٧٦/٧ .

سورة الحشر

قوله تعالى : (ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٢)(الحشر:٢)

١/١٩٥ عن الزهري في قوله **(يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ)** قال : ما صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم كانوا لا يعجبهم خشبة ألا أخذوها فكان ذلك تخريبها(١) . ٢٨٢/٦

الدراسة :

اتفق أكثر العلماء على أن المذكورين في الآية هم بن النضير(٢) ولم يخالف في ذلك إلا الحسن البصري قال : بنو قريظة(٣) وردوا كلامه بأن بني قريظة لم يحشروا بل قتلوا بكم سعد بن معاذ(٤) لما رضوا بحكمه(٥) .

قال القرطبي : أول حشر إلى الشام استدلالاً بحديث ابن عباس من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية ((ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن

---

(١) تخريج النص : ذكره الصنعاني في تفسيره ٢٨٢/٣

(٢) بنو النضير هي حي من كنانة من العدنانية وهم بنو النضير من كنانة وهو قريش على المذهب الراجح . انظر معجم القبائل ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م ، ١٨٣/٣ .

(٣) بنو قريظة سبق تعريفها ص ٩٤

(٤) هو ابن النعمان بن امرء القيس بن عبد الأشهل بن الخزرج وهو عمر بن مالك الأوسي الأنصاري يكنى أبا عمرو وأمه كبشة بنت رافع له صحبة أسلم بالمدينة بين العقبة الأولى والثانية على يد مصعب بن عمير شهد بدراً وأحد والخندق رمي يوم الخندق بسهم فعاش شهراً ثم انتفض جرحه فمات بعد أن حكمه الرسول صلى الله عليه وسلم في بني قريظة ، من الفضائل الجمة . الاستيعاب ١٦٧/٢ .

(٥) انظر القرطبي ٢/١٨ الرازي ٢٤٢/٢٩ ، ابن الجوزي ٣٣١/٧ ، والشوكاني ١٩٥/٥ وللتفصيل الرجوع إلى السيرة الحلبية ٥٥٩/٢ لعلي بن برهان الدين الحلبي ، دار المعرفة .

دِيَـٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ) قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أخرجوا قالوا إلى أين ؟ قال إلى أرض المحشر(١) ، حاكياً القرطبي أنهم أخرجوا إلى خيبر والقول الثاني : حشرهم قرب القيامة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب . وأضاف ابن الجوزي بأن الحشر الثاني في عصر عمر بن الخطاب من خيبر إلى الشام مبيناً ذلك ابن العربي : للحشر أول ووسط آخر . فالأول إجلاء لبني النضير (ذكره الشوكاني وهو أول حشر لهم في المدينة) والأوسط إجلاء خيبر(٢) (ذكره الشوكاني : آخر حشر لهم الشام) والآخر حشر يوم القيامة .

قال الشوكاني : آخر حشر لهم هو جمع الناس إلى أرض المحشر وهي الشام مستدل بحديث ابن عباس السابق أقره عليه ابن العربي وابن جرير مجملاً .

الرازي : وهذا أول حشر لأهل الكتاب حشروا وأخرجوا في جزيرة العرب لم يصبهم هذا الذي قيل ذلك لأنهم كانوا أهل منعة وعز(٣) .

وقال الشوكاني حاكياً عن الزهري في قوله تعالى (يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم) أي يخربون بيوتهم بنقض المعاهدة وأيدي المؤمنين بالمقاتلة كذا بنحوه حكاه الشافعي(٤)

قوله تعالى : (مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَـٰسِقِينَ ۝٥)(الحشر:٥) .

٢/١٩٦ عن الزهري قال : اللينة ألوان النخل كلها إلا العجوة(٥) . ٢٨٣/٦

---

(١) أورده الذهبي في ميزان الاعتدال ١٥٨/٢ وتلخيص الحبير ١٢/٤ وأخرجه ابن جرير ٣١/٢٨ وأورده السيوطي في المفهمات ٨٩٥

(٢) خيبر هي ناحية من المدينة لمن يريد الشام وتشمل سبعة حصون ومزارع ونخل كثير . معجم البلدان ٤٠٩/٢ .

(٣) ارجع : الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٢/١٨ زاد المسير ٣٣١/٧ أحكام القرآن لابن العربي ٧٦٤/٤ فتح القدير ١٩٥/٥ مفاتيح الغيب ٢٤٣/٢٩ .

(٤) انظر فتح القدير للشوكاني ١٩٥/٥ أحكام القرآن للشافعي ٤٤/٢ .

(٥) تخريج النص : الدر المنثور ٢٨٤/٦ زاد السيوطي نسبته في الدر المنثور لابن المنذر . اللينة : النخلة الناعمة . غريب المفردات للأصفهاني ٤٥٧ .

٣/١٩٧ عن ابن شهاب قال : بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحرق بعض أموال بني النضير فقال قائل([١]) :

فهان على سراة([٢]) بني لؤي حريق بالبويرة([٣]) مستطير([٤]) . ٢٨٤/٦

الدراسة :

اختلف المفسرون في تفسير اللينة قيل أنها : النخل كله إلا العجوة قول مالك وسعيد بن جبير وعكرمة وافقهم الزهري .

وقيل أنها النخل كله لم يستثنى عجوة ولا غيرها ، قاله مجاهد .

وقيل أنها جميع أنواع التمر سوى العجوة والبرني([٥]) قاله أبو عبيدة([٦]) .

وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمره اللون تمره أجود التمر([٧]) .

وقيل هي الفسيلة([٨]) لأنها ألين من النخلة([٩]) وقال القرطبي : هي النخلة القريبة من الأرض([١٠]) . ورجح ابن العربي ما قاله الزهري ومالك لوجهين : أحدهما : أنهما أعرف ببلدهما وأشجارهما ، الثاني : أنهم أهل لغة واللغة تسعفهم في ذلك بأن أصل اللينة لون وهو النوع([١١]) كذا قال ابن جرير عن ابن عباس أنها نوع

([١]) القائل هو حسان بن ثابت بن المنذر الأنصاري ويكنى أبا الوليد وأبا الحسام وأمه الفريعة من الخزرج وهو جاهلي إسلامي متقدم الإسلام عاش في الجاهلية ٦٠ سنة وفي الإسلام ٦٠ سنة ، مات في خلافة معاوية عمي في آخر عمره (الشعر والشعراء ٣٠٥/١ لابن قتيبة) .

([٢]) سراة بن لؤي : خيارهم ذكر الطبري بهامشه قال حسان (هان على سراة .. لأن قريشاً هم الذين حملوا كعب بن أسد صاحب عقد بني قريظة على نقض العقد بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج معهم إلى الخندق وعند ذلك اشتد البلاء على المسلمين .

([٣]) البويرة هي موضع بني قريظة يشير إلى ما فعله المسلمون ببني قريظة . انظر شرح ديوان حسان لعبد الرحمن البرقوقي ص٢٥٠ .

([٤]) تخريج النص : الدر المنثور ٢٨٤/٦ ، انفرد به عبد بن حميد كما ذكره السيوطي في الدر .

([٥]) هي ضرب من التمر أحمر مشرب بصفرة كثير اللحاء عذب الحلاوة (اللسان ٥٠/١٣) .

([٦]) سبقت ترجمته ص٣٢ .

([٧]) انظر فتح القدير ١٩٧/٥ .

([٨]) الفسيلة هي صغار النخل أول ما يقلع شئ من أمه (الغريب ٢٧٩/٢ لابن سلام) .

([٩]) زاد المسير ٣٣٤/٧ .

([١٠]) الجامع لأحكام القرآن ٩/١٨ .

([١١]) أحكام القرآن ١٧٦٩/٤ لابن العربي ، معاني القرآن وإعرابه ١٤٤/٥ للزجاج .

من النخل([1]) وعلى نحوه ابن كثير وكثيرون من أهل التفسير([2]) .

وسبب نزول هذه الآية : نزلت هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه ، تحليل من قطعه من الأثم وأبر أن قطعه وتركه بإذن الله تعالى([3]) .

وقرأ عبد الله بن مسعود على قراءتي (قائماً) أو قوماً في قوله تعالى : (أو تركها قائمة) وقرأ الأعمش قوماً بالضم([4]) .

قوله تعالى : (وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦)(الآية:٦)

٤/١٩٨ عن الزهري في قوله (فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) قال : صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل فدك وقرى سماها وهو محاصر قوماً آخرين ، فأرسلوا بالصلح فأفاءها الله عليهم من غير قتال ، ولم يوجفوا([5]) عليه خيلاً ولا ركاباً فقال الله (فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ([6])) يقول : بغير قتال . وقد كانت أموال بني النضير للنبي صلى الله عليه وسلم خالصاً لم يفتتحوها عنوة إنما

([1]) جامع البيان ٢٨/٣٣ .

([2]) تفسير القرآن العظيم ٤/٤٢٧ .

([3]) انظر أسباب النزول للواحدي ٣١٢ ، لباب النقول للسيوطي ٢٠٩ وأورده الطبري برواية يزيد بن رمان ٢٨/٣٤ غير رواية عكرمة .

([4]) انظر معاني القرآن للفراء ٣/١٤٤ معجم القراءات القرآنية لأحمد مختار ٥/٨٩ والبحر ٨/٢٤٤ والكشاف ٤/٨١

([5]) الإيجاف : السير السريع وجف الفرس : أسرع . غريب القرآن لابن قتيبة (٤٦٠) .

([6]) الركاب : اسم للإبل خاصة عرف لغوياً وإن كان ذلك مشتقاً من الركوب (الأحكام لابن العربي ٤/١٧٧٠) ومفردات القرآن للأصفهاني مادة ركب .

فتحوها على صلح فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا رجلين كانت بهما حاجة أبو دجانة(١) وسهل(٢) بن حنيفة . ٢٨٣/٦

الدراسة :

اختلف المفسرون في حكم الآية :

قوله تعالى : ((وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ) أي : من أهل هذه القرية ، وهم بنو النضير .

(ف) إنكم يا معشر المسلمين (ما أوجفتم) أي أجلبتم وأسرعتم وحشرتم ، (عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ) أي لم يتعبوا بتحصيلها لا بأنفسكم ولا بمواشيكم بل قذف الله في قلوبهم الرعب ، ف ولهذا قال ولكن الله سلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدي من تمام قدرته أنه لا يمتنع منه ممتنع ولا يتعزز من دونه قوي(٣) .

قوله تعالى : (مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾) (الآية :٧) .

٥/١٩٩ عن الزهري في قوله : (مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ)

---

(١) هو سماك بن خرشة ويقال سماك بن أوس بن ثعلبة بن الخزرج أبو دجانة الأنصاري مشهور بكنيته شهد بدراً وكان أحد الشجعان له مقامات محمودة في مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كبار الصحابة واستشهد يوم اليمام . الاستيعاب ٢١٢/٢ .

(٢) سهل بن حنيف بن واهب الحكيم بن ثعلبة بن عمرة بن خناس ويقال بن خنساء بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس يكنى أبا سعيد وقيل أبا سعد وقيل أبا ثابت أو الوليد شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، مات سنة ٣٨هـ وصلى عليه علياً . الاستيعاب ٢٢٣/٢ .

٣ تفسير الكريم الرحمن ، السعدي ، ص٨٥

قال : بلغني أنها الجزية والخراج([1]) . ٢٨٤/٦

الدراسة :

في هذه الآية بين الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه ، وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوماً على الأقسام الخمسة ، وزيف هذا القول بعض المفسرين وقالوا : الآية الأولى نزلت في أموال بني النضير وقد جعلها الله لرسوله خاصة وهذه الآية في غنائم كل قرية تؤخذ بقوة الغزاة وفي الآية بيان مصرف خمسها فهي مبتدأة وذلك كي لا يكون الفئ الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها حداً بين الأغنياء ويتكاثرون به([2])

والفئ في اللغة هو الغنيمة والخراج وهو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد وأصل الفئ الرجوع كأنه في الأصل لهم فرجع إليهم

وأيضاً الفئ هو ما رد الله على أهل دينه من أموال من خالف دينه بلا قتال أما بأن يجلوهم عن أوطانهم ويخلوها للمسلمين أو يصالحوا على جزية يؤدونها عن رؤوسهم أو مال غير الجزية يفتدون به من سفك دمائهم فهذا المال هو الفئ([3]) .

وذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية منسوخة بالآية (وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ..)([4]) والصحيح أن آية الأنفال مبينة لحكم الغنيمة ، وهذه الآية مبينة لحكم الفئ ولا يتوجب نسخ([5]) .

ولم يحسب رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه لنفسه شيئاً بل أمضاه لغيره ، واختلف الناس في صفة فتحها فقيل غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث بعثاً إلى كل مكان فأطاع وأعطاه أهله فكان مما لم يوجف عليه وكان حكمه حكم الغنائم

([1]) تخريج النص : أخرجه البيهقي في سننه ٤٣٠/٧ رقم ١٠٨٥٧

([2]) مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي ٥٠١/٢٨ .

([3]) لسان العرب ابن منظور ١٢٦/٢-١٢٧ .

([4]) سورة الأنفال الآية ٤١ .

([5]) نواسخ القرآن ابن الجوزي ص٢٣٧ ، أحكام القرآن الجصاص ٣/(٦١/٤٣) .

وليس في الآية نسخ ، وأعطى رسول الله جميع ذلك للمهاجرين ولم يعط الأنصار شيئاً([1]) .

ومال الفئ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته يضعه حيث يشاء وكان ينفق منه على أهله نفقة سنتهم ويجعل ما بقى محل مال الله ، واختلف أهل العلم في مصرف الفئ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق ذكره :

فقال قوم : هو للأئمة بعده وللشافعي فيه قولان :

أحدهما : للمقاتلة .

الثاني : مصالح المسلمين .

واختلف كذلك في تخميس مال الفئ فذهب بعضهم إلى أنه يخمس فخمسه لأهل الغنيمة وأربعة أخماسه للمقاتلة وللمصالح ، وذهب الأكثر إلى أنه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق([2]) .

قرأ عمر بن الخطاب قوله تعالى (مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ) ثم قال هذه الآية استوعبت المسلمين عامة وقال : (ما على وجه الأرض مسلم إلا له في هذا الفئ حق إلا ما ملكت إيمانكم)([3]) .

قوله تعالى (وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟) قال الحسن رضي الله عنه كان يؤتيهم الغنائم وينهاهم عن الغلول([4]) .

وورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم

([1]) المحرر الوجيز لابن عطية ٣٧٣/١٤ .

([2]) وردت في سورة الأنفال الآية ٤١.

([3]) معالم التنزيل للبغوي (٧٣/٢٨) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٢/١٧) أخرجه أبو داود في السنن ١٤٠ كتاب الخراج وإمارة الفئ (٣٧٢/٣) ح رقم (٢٩٦٦) .

([4]) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٥٢٦/٦ والسيوطي في الدر المنثور ١٠٤/٨ وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر

وإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه)([1]) .

وقال الشوكاني : الحق في هذه الآية عامة في كل شئ يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر أو نهي أو قول أو فعل وإن كان السبب خاصاً فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب([2]) وإلى هذا المعنى ذهب أكثر المفسرين([3]) ، وهو الراجح لأنه عام وشامل والله أعلم .

قوله تعالى : (وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩)(الآية :٩) .

٦/٢٠٠ من طريق الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من سيدكم يا بني سلمة ، قالوا : الجد بن قيس ، قال : وبم تسودونه ؟ قالوا : بأنه أكثرنا مالاً وإنا على ذلك لترنه بالبخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأي داء أدوأ من البخل ليس بذاك سيدكم ، قالوا:فمن سيدنا يا رسول الله ؟ قال : سيدكم البراء بن معرور([4]) .٢٩١/٦.

الدراسة :

قال ابن العربي : اختلف الناس في الشح والبخل على قولين فمنهم من قال أنهما بمعنى واحد ، ومنهم من قال لهما معنيان ، فالبخل منع الواجب لقوله صلى الله

([1]) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٨٢/٢ .

([2]) فتح القدير ٢٨٢/٥ .

([3]) محاسن التأويل للقاسمي (٩٩/١٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي (٥٠٥/٢٨) زاد المسير ابن الجوزي ١١/٨ ، جامع البيان ٣٩/٢٨ تفسير القرآن العظيم ابن كثير ٤٣١/٤ .

([4]) تخريج النص : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤٣٠/٧ حديث رقم ١٠٨٥٧

عليه وسلم : (مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد فإذا أراد البخيل أن يتصدق لزمت كل حلقة مكانها فيوسعها فلا تتسع)([1]) .

والشح منع الذي لم يجد بدليل هذه الآية([2]) .

قال الإمام الطبري : الشح في كلام العرب البخل ومنع الفضل من المال .

وأكثر ما يقال في البخل إنما هو أفراد الأموال وخواص الأشياء ، والشح عام ، فهو كالوصف اللازم للإنسان من قبل الطبع والجبله)([3]) .

قال القرطبي : المراد بالآية الشح بالزكاة وبما ليس بفرض من صلة ذو الأرحام ووالضيافة وغير ذلك ، فليس بشحيح ولا بخيل من أنفق في ذلك وإن أمسك عن نفسه ومن وسع على نفسه ولم ينفق فيما ذلك لم يوق شح نفسه([4]) .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم (اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دمائهم واستحلوا محارمهم)([5]) .

قال الطبري : العلماء يرون أن الشح في هذا الموضع أكل أموال الناس بغير حق([6])

ولا يجتمع الشح والإيمان في قلب رجل مؤمن لأن المؤمن حقاً يعلم أن الله هو الرازق وأنه يخلف للمنفقين فلا يخشى الفقير فينفق ويرجى الثواب والجزاء ولا يكون بخيلاً ولا شحيحاً ولا يهمه أمر الدنيا كثيراً . والله أعلم .

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه ٢٤ كتاب الزكاة ، ٢٣٨ باب مثل المتصدق والبخيل (٦١٤/١) ح رقم ١٤٤٤

([2]) الجامع لأحكام القرآن (١٧٧٨/٤) .

([3]) وقال أبو سليمان الخطابي الشح أبلغ في المنع من البخيل وإنما الشح بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع وحكى الخطابي عن بعضهم أنه قال البخل أن يضن بماله والشح أن يبخل بماله ومعروفه . جامع البيان لابن جرير الطبري (٤٣/٢٨) .

([4]) الجامع لأحكام القرآن ٢٩/١٨ .

([5]) أخرجه مسلم ٤٥ كتاب البر والصلة والآداب ١٥ باب تحريم الظلم ١٩٩٢/٤ ح رقم ٢٥٧٦ .

([6]) جامع البيان ٤٣/٢٨ تفسير القرآن العظيم ٤٣٤/٤ فتح القدير ٢٨٦/٥ محاسن التأويل ١٠٢/١٦ معالم التنزيل ٧٨/٢٨ مدارك التنزيل ٥٠٤/٢٨ .

سورة الممتحنة

قوله تعالى : (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾)(الممتحنة:١)

١/٢٠١ من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة وحاطب رجل من أهل اليمن كان حليفاً للزبير بن العوام من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد شهد بدراً وكان بنوه وإخوته بمكة ، فكتب حاطب وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إلى كفار قريش بكتاب ينتصح لهم فيه ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً والزبير ، فقال لهما : انطلقا حتى تدركا امرأة معها كتاب فخذا الكتاب فأتياني به ، فانطلقا حتى أدركا المرأة بحليفة بني أحد وهي من المدينة على قريب من اثني عشر ميلاً فقالا لها : أعطينا الكتاب الذي معك قالت : ليس معي كتاب ، قالا : كذبت قد حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن معك كتاباً والله لتعطيني الكتاب الذي معك أو لا يترك عليك ثوباً إلا ألتمسنا فيه ، قالت : أولستم بناس مسلمين ؟ قالا : بلى ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن معك كتاباً حتى إذ ظنت أنهما ملتمسان كل ثوب معها حلت عقاصها ، فأخرجت لهما الكتاب من بين قرون رأسها كانت قد اعتقصت عليه ، فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً قال : أنت كتبت هذا الكتاب ؟ قال نعم ، قال : فما حملك على أن تكتب به ؟ قال حاطب : أما والله ما ارتبت منذ أسلمت في الله عز وجل ولكنن كنت امرء غريباً فيكم أيها الحي من قريش وكان لي بنون وإخوة بمكة فكتبت إلى كفار قريش بهذا الكتاب لكي أدفع عنهم فقال عمر : ائذن لي يا رسول الله أضرب عنقه ، فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم : (دعه فإنه شهد بدر ، وإنك لا تدري لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فإني غافر لكم ما عملتم فأنزل الله في ذلك ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ) حتى بلغ : (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ)(١) . (٣٠٢/٦-٣٠٣)

الدراسة :

قال المفسرون نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) في حاطب بن أبي بلعتة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم إليهم ونجد القصة في حديث عن علي رضي الله عنه قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد(٢) .

وأضاف سبحانه وتعالى العدو إلى نفسه تعظيماً لجرمهم ، والعدو مصدر يطلق على الواحد والاثنين والجماعة .

والآية تدل على(٣) النهي عن موالاة الكفار بوجه من الوجوه قال الزجاج(٤) :معنى الآية أن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء

قال النووي(٥) : الجاسوس من أصحاب الذنوب والكبائر لا يكفر بذلك وقال كذلك في هذا الحديث إشارة جلساء الإمام والحاكم بما يرونه .

كما أشار عمر بضرب عنق حاطب قوله (لعل الله أطلع على أهل بدر .. غفرت

---

(١) تخريج النص : أخرجه الحاكم في المستدرك ٣٤١/٣ ، حديث رقم ٥٣٠٩ .

(٢) أخرجه مسلم كتاب فضائل الصحابة ٣٦/ باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنه وقصة حاطب بن أبي بلتعة ٢٤٩٤/١٩٤١/٤ والبخاري ٥٦ كتاب الجهاد والسير باب الجاسوس وقول الله تعالى : (لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) ٩٤٢/٢ ح رقم ٣٠٧ وأبو داود ٩/كتاب ١٠٨/ باب الجاسوس إذا كان مسلماً ١٤٧/٣ ح رقم ٢٦٥٠ والترمذي ٤٨ كتاب تفسير القرآن ٦٠/باب ومن سورة الممتحنة ٤٠٩/٥ ح رقم ٣٣٠٥ وأحمد في مسنده ٧٩/١ وابن جرير ٥٦/١٢ .

(٣) فتح القدير ٢١٠/٥ .

(٤) زاد المسير ٣/٨ .

(٥) شرح النووي ٥٥/١٦ .

لكم) قال العلماء([1]) معناه الغفران لهم في الآخرة .

وإلا فإن توجب على أحد منهم حد أو غيره أقيم عليه في الدنيا . ونقل القاضي عياض الإجماع على إقامة الحد وإقامة عمر على بعضهم قال وضرب النبي صلى الله عليه وسلم مسطحاً الحد وكان بدرياً .

قال تعالى : (عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧) **الآية ٧**

٢/٢٠٢ عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل فلقي ذا الخمار مرتداً فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد في الدين ، قال ابن شهاب : وهو فيمن أنزل الله فيه ((عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗ)([2]) ٣٠٥/٦

٣/٢٠٣ عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة قال : أول من قاتل أهل الردة على إقامة الدين سفيان بن حرب وفيه نزلت هذه الآية ((عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)([3])٣٠٦/٦

الدراسة :

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : ((عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ) قال : كانت المودة التي جعل الله بينهم تزويج النبي صلى الله عليه وسلم حبيبة([4]) بنت أبي سفيان فصارت أم المؤمنين،وصار معاوية خال المؤمنين([5]) .

([1]) المرجع السابق نفسه ٥٥/١٦ .

([2]) تخريج الحديث : ذكره ابن كثير في تفسيره ٨٩/٨ ، ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٠١/١٢

([3]) تخريج النص : لم أقف عليه

([4]) هي حبيبة ابنة أم حبيبة بنت أبي سفيان وقال الإمام المزي هي أم حبيبة بنت أبي سفيان أسمها رملة . تهذيب الكمال ٨٩/٨ ، الإصابة ١٥٧/٧ .

(٥) الدر المنثور ٣٠٥/٦ ، قول ابن عباس أخرجه البيهقي في الدلائل ٤٥٩/٣ ، باب قول الله عز وجل (عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً)وأورد القرطبي في تفسيره ٥٨/٨

وأضاف أهل التفسير موافقين هذا القول ، أمر الله المؤمنين فشددوا في عداوة الكفار من آبائهم وابنائهم وجميع أقاربهم والبراءة منهم ، فنزلت الآية ، وكانت المودة في إسلام جماعة من قريش منهم سفيان بن حرب([1]) .

قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾) الآيات ١٠ ، ١١

٤/٢٠٤ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : كان المشركون قد شرطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أن من جاء من قبلنا وإن كان على دينك رددته إلينا ومن جاءنا من قبلك لم نردد إليك ، فكان يردوا إليهم من جاء من قبلهم يدخل في دينه ، فلما جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة جاء أخواها يريدان أن يخرجاها ويرداها إليهم ، فأنزل الله (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ) الآية إلى قوله (وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ) قال : هو الصداق (وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ) الآية قال : هي المرأة تسلم فيرد المسلمون صداقها إلى الكفار وما طلق المسلمون من نساء الكفار وعندهم فعليهم أن يردوا صداقهن إلى المسلمون ، فإن

([1]) تفسير زاد المسير ٥/٨ ، والرازي ٢٦٢/٢٨

أمسكوا صداقاً من صداق المسلمين مما فارقوا من نساء الكفار أمسك المسلمون صداق المسلمات اللائي
جئن من قبلهم)([1]) . ٣٠٧/٦
٥/٢٠٥ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : بلغنا أن الممتحنة أنزلت في المرأة التي ماد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفار قريش من أجل العهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش في المدة . فكان يرد على كفار قريش ما أنفقوا على نسائهم اللائي يسلمن ويهاجرن وبعولتهن كفار ، ولو كان حرباً ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم مدة عهد لم يردوا إليهم شيئاً مما انفقوا وقد حكم الله للمؤمنين على أهل المدة ،من الكفار بمثل ذلك الحكم قال الله (وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه امرأته بنت أبي أمية بن المغيرة من بني مخزوم فتزوجها معاوية بن أبي سفيان ، وبنت جرول من خزاعة فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي جهم بن حذيفة العدوي ، وجعل ذلك حكماً حكم به بين المؤمنين والمشركين في مدة العهد التي كانت بينهم فأقر المؤمنون بحكم الله فأدوا ما أمروا به من نفقات المشركين التي أنفقوا على نسائهم ، وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين ، فقال الله (وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ) فإذا أذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد المؤمنون إلى أزواجها النفقة التي أنفق عليها من العقد الذي بأيديهم الذي أمروا أن يردوه إلى المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهن اللاتيي أمرن وهاجرن ثم ردوا إلى المشركين فضلاً إن كان لهم)([2]) ٣٠٨/٦ –٣٠٩

([1]) تخريج النص : لم أقف عليه
([2]) تخريج النص : لم أقف عليه

٦/٢٠٦ عن الزهري قال : نزلت هذه الآية وهم بالحديبية ، لما جاء النساء أمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن ، وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى زوجها ، فأما المؤمنون بأقروا بحكم الله ، وأما المشركون فأبوا أن يقروا فأنزل الله (وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ) إلى قوله (مِّثۡلَ مَآ أَنفَقُواْ) فأمر المؤمنين إذا ذهبت امرأة من المسلمين ولها زوج من المسلمين أن يرد إليه المسلمون صداق امرأته مما أمروا أن يردوا عليه المشركين)([1]) ٦/٣١٠.

الدراسة :

اختلف العلماء في المرأة التي كانت سبباً لنزول هذه الآية على ثلاثة أقوال :

أحدها سبيعة ذكرها ابن الجوزي عن ابن عباس قاله القرطبي([2]) .

الثاني : أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ذكره الإمام ابن شهاب وافقه عليه جماعة من أهل العلم وهو المشهور والأكثر([3]) .

الثالث: أميمة بنت بشر من بني عمرو بن عوف ذكره ابن جرير وقاله الماوردي([4])

وأرجح الأقوال في ذلك القول الثاني وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مروان بن الحكم والمسور([5]) بن مخرمة قالا : لما كاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل بن عمرو على قضية المدة يوم الحديبية كان مما اشترط سهيل([6]) : أن لا يأتيك من أحد ، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم

([1]) تخريج النص : أخرجه ابن جرير ٢٨/٧١ ، وزاد نسبته السيوطي في الدر المنثور لابن المنذر وأبي داود في ناسخه

([2]) انظر زاد المسير ٨/٨ ، والجامع لأحكام القرآن ١٨/٦١

([3]) المصدران السابقان : التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء والأعلام في القرآن لعبد الرحمن بن عبدالله السهيلي ط١ ١٦٧ والمعجم فيما أبهم للسيوطي ١٩٦

([4]) جامع البيان ٢٨/٢٧ ، النكت والعيون ٥/٥٢١

([5]) المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري أبو عبدالرحمن أمه الشفاء وقيل عاتكة بن عوف ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين ، قدم به أبوه المدينة وعمره ثمان سنين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه وحفظ وحدث عن كبار الصحابة فقهاً وفضلاً وتديناً ، توفى بعد معاوية سنة ٦٤ ، الإستيعاب ٣/٤٥٥

([6]) سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبود بن نضر بن مالك بن عامر بن لؤي القرشي خطيب قريش أبو زيد سكن مكة ثم المدينة ونزل بالشام مرابط حتى مات بالطاعون ، وتولى أمر الصلح بالحديبية كان محمود الإسلام حين أسلم . الإصابة ٣/٢١٥ .

أبا جندل بن سهيل([1]) ولم يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً ، ثم جاء المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي عاتق ، فجاء أهلها يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم حتى أنزل الله في المؤمنات ما أنزل) ([2]) .

كذلك وافق المفسرون أقوال ابن شهاب الزهري في قوله (وَإِن فَاتَكُمۡ شَيۡءٞ مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ إِلَى ٱلۡكُفَّارِ فَعَاقَبۡتُمۡ..) ذكروا قول ابن عباس في ذلك ، بأن إذا الحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطي من الغنيمة مثل ما أنفق) ([3]) .

أما قوله (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ)

قال القرطبي المراد بالعصمة : النكاح وكذلك ابن الجوزي([4]) وهو ما عليه أهل التفسير بأن الله أمر بتطليق النساء الكافرات من الرجال المسلمين لحرمة العقد بينهم وذلك في معنى قول عائشة (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاء نساء مؤمنات فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا) حتى بلغ (وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ) فطلق عمر يؤمئذ امرأتين كانتا له في الشرك)([5]) وهذا ما ذكره ابن شهاب في قوله سالف الذكر .

([1]) أبو جندل بن سهيل ، أبو سهيل بن عمرو ، من سادات قريش وخطبائهم . شذرات الذهب ٣٠/١ .

([2]) أخرجه البخاري كتاب الشروط ، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة ٣٧٨/٢ ، ح رقم ٢٧١٢

([3]) انظر تفسير القرآن العظيم ٤٥١/٤ ، جامع البيان ٧٧/٢٨

([4]) الجامع لأحكام القرآن ٦٥/١٨ ، زاد المسير ١٠/٨

([5]) أخرجه البخاري كتاب الشروط ، باب الشروط ٣٩٩/٢ ، ح رقم ٢٧٣٣

سورة الجمعة

قوله تعالى : (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٩)(الآية:٩) .

١/٢٠٧ عن الزهري قال : الأذان الذي يحرم فيه البيع هو الأذان الذي عند خروج الإمام ، قال : وأرى أن يترك البيع الآن عند الآذان الأول(١) . ٣٢٩/٦

عن الزهري قال : كان الآذان عند خروج الإمام فأحدث أمير المؤمنين عثمان التأذنية الثالثة على الزوراء(٢) ليجتمع الناس(٣) .

الدراسة :

فرض الله الجمعة على كل مسلم رداً على من يقول أنها فرض كفاية ونقل عن بعض الشافعية وعن مالك ولم يحقق أنها سنة ، وجمهور الأمة على أنها فرض على الأعيان لقوله تعالى **(إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ)** وجاء عن أبي الجعد(٤) الضمري (من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاوناً بها طبع الله على قلبه)(٥) .

وثبت عنه صلى الله عليه وسلم قال : (الرواح يوم الجمعة واجب على كل مسلم)(٦) .

---

(١) تخريج النص : أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ١٧٨/٣ حديث رقم ٥٢٢٤

(٢) الزوراء : هي بفتح الزاي وسكون الواو وهي موضع السوق بالمدينة . معجم البلدان ، ياقوت الحموي ١٥٦/٣

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ٤٧٠/١ وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه في باب الأذان يوم الجمعة ٢٠٦/٣ ح رقم ٥٣٤٢ وذكره السيوطي وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) أبو الجعد الضمري من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن عدي بن كنانة اختلف في اسمه فقيل اسمه درع وقيل عمرو بن بكر له صحبة ورواية له دار في بني ضمرة بالمدينة ، روى عن عبيدة بن سفيان الحضرمي . الاستيعاب ابن عبد البر ٢٨/٢ .

(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب الصلاة ، ٣٠ باب صلاة الجمعة (٢٦/٧) ح رقم ٢٧٨٦ .

(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩٥/٢٣ ح رقم ٣٣٤ .

وقال القرطبي : قوله ((يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ) خطاب للمكلفين بإجماع ويخرج منه المرضى والزمني والمسافرون والعبيد والنساء بالدليل والعميان والشيخ الذي لا يمشي إلا بقائد عند أبي حنيفة(١) قوله تعالى (فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ) .

السعي لغة هو القصد(٢) :

وجاء في معنى السعي ثلاثة أقوال :

الأول : القصد الحسن قاله ابن قتيبة .

الثاني : العمل وهو قول الجمهور .

الثالث : المراد به السعي على الأقدام وذلك فضل وليس بشرط وقال به ابن عباس(٣) .

قال ابن كثير : الاهتمام بها(٤) .

وأن المشي السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه صلى الله عليه وسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا سمعتم الإقامة فأمشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا)(٥) .

قال ابن مسعود لو قرأت (فاسعوا) لسعيت حتى سقط ردائي .

قرأ ابن شهاب كذلك (فامضوا)) وهو كله تفسيراً منهم لا قراءة قرآن منزل وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير وذكر القرطبي أن العرب مجمعة على أن السعي يأتي بمعنى غير أنه لا يخلو من الجد والانكماش(٦) .

والراجح من هذه الأقوال ما ذهب إليه جمهور المفسرين وهو الصواب والله أعلم(٧)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٧٠/١٨

(٢) لسان العرب لابن منظور ٣٨٥/١٤ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٠٨/١٨ زاد المسير ٢٦٤/٨ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤٦٩/٤ .

(٥) أخرجه البخاري في ١٠ كتاب الآذان باب لا يسعى إلى الصلاة وليأتي بالسكينة والوقار ٣٠٠/١ /٦٣٦

(٦) الجامع لأحكام القرآن ١٠٢/١٨ .

(٧) فتح القدير ٣٢٢/٥-٣٢٣ الجامع لأحكام القرآن القرطبي (٩٩/٢٨) أحكام القرآن لابن العربي ١٨٠/٤ روح المعاني ١٠٢/٢٨ معالم التنزيل ١١٧/٢٨ المنتقى ١٩٤/١ .

قوله تعالى : (وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ) :

قال القرطبي في وقت التحريم قولان(١) :

الأول : أنه بعد الزوال إلى الفراغ منها قاله الضحاك والحسن وعطاء .

الثاني : من وقت أذان الخطبة إلى وقت الصلاة قاله الشافعي ومذهب مالك .

أن يترك البيع إذا نودي إلى الصلاة ووافقه الألوسي(٢) .

قال البغوي : حرم البيع والشراء عند الآذان وقال الزهري عند خروج الإمام وقال الضحاك إذا زالت الشمس(٣) .

قال ابن كثير : لهذه الآية اتفق العلماء رضي الله عنهم على تحريم البيع عند النداء الثاني .

والراجح في ذلك أنه يحرم البيع بعد الآذان الثاني وذلك لإجماع العلماء على ذلك كما ذكر ابن كثير ووافقه الإمام الزهري .

قوله تعالى : (**وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ١١**) (الآية:١١) .

٢/٢٠٨ عن ابن شهاب قال : بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا خطب : (كل ما هو آت قريب ، لابعد لما هو آت لا يعجل الله لعجلة أحد ، ولا يخف لأمر الناس ، ماشاء الله لا ما شاء الناس ، يريد أمراً ويريد الله أمراً ، وما شاء الله كان ولو كره الناس ، لا مبعد لما قرب الله ، ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شئ إلا بإذن الله)(٤) . ٣٣٣/٦

الدراسة :

اختلف العلماء في القيام للخطبة فقال ابن الجوزي : هذا القيام كان عند الخطبة(٥)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠٨/١٨ .

(٢) روح المعاني الألوسي ١٠٣/٢٨ .

(٣) معالم التنزيل ١١٧/٢٨ .

(٤) تخريج النص : أخرجه البيهقي في سننه ٦٠١٤/١٦٩/٢

(٥) زاد المسير ٢٧٠/٨ .

وقال ابن عطية : في هذه الآية قيام الخطيب ، وأول من استرح في الخطبة عثمان([1]) رضي الله عنه وأول من خطب جالساً معاوية رضي الله عنه([2]) .

ذهب القرطبي([3]) إلى أن هذه الآية شرط في قيام الخطيب على المنبر إذا خطب وعلى هذا جمهور الفقهاء وأئمة العلماء .

قال القرطبي : الخطبة شرط في انعقاد الجمعة ولا تصح إلا بها ، وهو قول جمهور العلماء ، قال الحسن : هي مستحبة وقال ابن الماجشون([4]) : هي سنة وليست بفرض ، وقال سعيد بن جبير : هي بمثابة الركعتين عند صلاة الظهر والدليل على وجوبها (وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا) وهذا ذم والواجب هو الذي يذم تاركه شرعاً، ثم أنه صلى الله عليه وسلم لم يصلها إلا بخطبة([5]) وذهب ابن العربي على أنها واجب([6]) .

قال البغوي : الخطبة فريضة في الصلاة ، ويجب أن يخطب قائماً خطبتين([7]) .

والراجح هو قول الجمهور والله أعلم .

وفي كيفية أدائه صلى الله عليه وسلم للخطبة كانت قصداً([8]) وصلاته قصداً([9]) .

([1]) عثمان بن عفان بن العاص رابع أربعة في الإسلام زوجه الرسول صلى الله عليه وسلم بابنتيه رقية وأم كلثوم وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة توفى مقتولاً سنة ٣٥هـ . الاستيعاب ابن عبد البر ١٥٥/٣ .

([2]) المحرر الوجيز لابن عطية ٤٥١/٤ . عن الشعبي قال : إنما خطب معاوية قاعداً حيث كثر شحم بطنه ولحمه . أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٤٩/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٨/٨ .

([3]) الجامع لأحكام القرآن ١٤/١٨ .

([4]) ابن الماجشون العلامة الفقيه مفتي المدينة أبو هارون عبد الله بن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن سلمة بن الماجشون التميمي تلميذ الإمام مالك توفى سنة ٢٣١،٢٣٢هـ . سير أعلام النبلاء ٣٢٩/١٠ .

([5]) الجامع لأحكام القرآن ١١٤/١٨ .

([6]) أحكام القرآن ١٨١٠/٤ زاد المسير ٢٦٨/٨ .

([7]) معالم التنزيل ١٢٥/٢٨ للبغوي .

([8]) القصد هو الوسط بين الطرفين ، أي معتدلة ليست طويلة ولا قصيرة . النهاية في غريب الحديث ابن الأثير ٦٧/٤ .

([9]) أخرجه ابن أبي شيبة عن جابر بن سمرة قال : كانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم قصداً وصلاته قصداً . أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٠٠/١ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٦٨/٨ .

سورة المنافقون

قوله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٥) الآية ٥

١/٢٠٩ عن الزهري قال : كان لعبد الله بن أبي مقام يقومه كل جمعة لا يتركه شرفًا له في نفسه وفي قومه ، فكان إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب قام فقال : أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به ، وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد وضع المنافق ما صنع في أحد ، فقام يفعل ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : أجلس يا عدو الله ، لست لهذا المقام بأهل ، قد صنعت ما صنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأني قلت هجراً أن قمت أسدد أمره فقال له رجل : ويحك أرجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المنافق : والله لا أبغي أن يستغفر لي)(١)٦/٣٣٧

الدراسة :

قوله تعالى ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ) بما نزل القرآن بصفتهم مشى إليهم عشائرهم وقالوا : افتضحتم بالنفاق فتوبوا إلى رسول الله من النفاق واطلبوا أن يستغفر لكم فلؤوا رؤوسهم ، أي حركوها استهزاء وإباء قاله ابن عباس .

وقيل (يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ) يستتيبكم من النفاق ، لأن التوبة استغفار (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) أي يعرضون عن الرسول صلى الله عليه وسلم متكبرين عن الإيمان(٢) .

سورة الطلاق

(١) تخريج النص : البيهقي في دلائل النبوة ٣/٣٩١ ، حديث رقم ١٢١٧

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/١٢٧

قوله تعالى : (لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا) الآية (٧).

١/٢١٠ عن محمد قال : سألت الزهري عن الرجل لا يجد ما ينفق على امرأته يفرق بينهما ؟ قال : يتأنى له ولا يفرق بينهما ، تلا (لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا)(١) . ٣٦٣/٦

الدراسة :

قوله تعالى (لينفق) أي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على قدر وسعه حتى يوسع عليه إذا كان موسعاً عليه ومن كان فقيراً فعلى قدر >لك فتقدر النفقة بحسب الحالة من المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى الحياة العامة(٢) .

ذكر الطبري في معنى (لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ) أي لينفق الذي بانت منه امرأته إذا كان ذا سعة من المال وغنى من سعة ماله على امرأته البائية في أجر رضه والله منها وعلى وله الصغير ومن ضيق عليه في رزقه فلم يوسع عليه فلينفق مما أعطاه الله على قدر ماله وما أعطى منه) (٣) . وهذا ما وافق قول مجاهد في قوله تعالى : (قال علي : المطلقة إذا أرضعت له(٤)

---

(١) تخريج النص :

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٧/١٨

(٣) جامع البيان ١٤٨/٢٨ ، وتفسير القرآن العظيم ٤٩٢/٤

(٤) قوله مجاهد أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٦

سورة الملك

قوله تعالى:(تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ الآية١

١/٢١١ عن الزهري عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أن رجلاً ممن كان قبلكم مات وليس معه شيء من كتاب الله إلا تبارك الذي بيده الملك ، فلما وضع في حفرته أتاه الملك فثارت السورة في وجهه فقال لها : إنك من كتاب الله ، وأنا أكره شقاقك ، وإني لا أملك لك ولا له ولا لنفسي ضراً ولا نفعاً ، فإن أردت هذا به فانطلقي إلى الرب فأشفعي له ، فانطلقت إلى الرب فتقول : يا رب إن فلان عمد إلي من بين كتابك فتعلمني وتلاني ، أفمحرقه أنت بالنار ومعذبه وأنا في جوفه ! فإن كنت فاعلاً به فامحني من كتابك فيقول : ألا أراك غضبت فتقول : وحق لي أن أغضب ، فيقول : إذهبي فقد وهبته لك ، وشفعتك فيه فتجيئ سورة الملك فيخرج كاسف البال لم يحل منه شيء فتجئ فتضع فاها على فيه فتقول : مرحباً بهذا الفم فربما تلاني ، وتقول مرحباً بهذا الصدر فربما وعاني ومرحباً بهاتين القدمين فربما قامتا بي ، وتؤنسه في قبره مخافة الوحشة عليه) فلما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحديث لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد إلا تعلمها وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المنجية([1]) . ٣٨٠/٦

الدراسة :

عن فضل سورة الملك . عن ابن عباس أنه قال لرجل : ألا أتحفك بحديث تفرح به ! قال : بلا اقرأ (تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ) وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فإنها المنجية والمجادلة يوم القيامة عند ربها ، وتطلب له أن تنجيه من عذاب النار وينجو بها صاحبها من عذاب القبر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

([1]) تخريج النص : ذكره ابن كثير في تفسيره ١٧٥/٨

وسلم : (لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي)([1]) . وإلى هذا المعنى من القول ذهب المفسرون([2]) .

([1]) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٨٠/٦ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٩٣/١١ ح رقم ١١٦/٦٦ وزاد نسبته السيوطي في الدرر لابن المنذر وابن مردويه .

([2]) تفسير القرآن العظيم ٥٠٨/٤ ، وابن عطية ٢/١٥ بهامشه ، والمقتطف من عيون التفاسير لمصطفى الخيري المنصوري ط١ ، ٢٨١/٥ ، وتفسير أبي السعود ٢/٩ ، والتفسير المنير ٥/٣٠ ، وروح المعاني ٢/٢٩ ، الجامع لأحكام القرآن ٢٠٥/١٨ .

سورة الحاقة

قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ الآية ٦

١/٢١٢ من طريق ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب قال : ما يخرج من الريح شيء إلا عليها خزان يعلمون قدرها وعددها ووزنها وكيلها حتى إذا كانت الريح التي أرسلت على عاد فاندفق منها شيء لا يعلمون وزنه ولا قدره ولا كيله غضباً لله ، ولذلك سميت عاتية ، والماء كذلك حيث كان أمر نوح فلذلك سمي طاغياً([1])٤٠٦/٦

الدراسة :

قوله تعالى : ((وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ) أي باردة تحرق ببردها كإحراق النار مأخوذ من الصر وهو البرد قاله الضحاك .

وقيل : إنها الشديدة الصوت ، وقال مجاهد : الشديدة السموم (عَاتِيَةٍ) أي عتت على حرّانها فلم تطعهم ، ولم يطيقوها من شدة هبوبها غضبت لغضب الله .

وقيل عتت على عاد فقهرتهم([2]) .

وافق المفسرون قول قبيصة وأضافوا أي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة([3]) .

قوله تعالى : ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤﴾

٢/٢١٣ عن الزهري في قوله تعالى : (فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً) قال بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : لمن الملك أين ملوك الأرض)٤٠٨/٦

([1]) تخريج النص : ذكره السيوطي في الحبائك في أخبار الملائك ٣٦/١

([2]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٩/١٨

([3]) مفاتيح الغيب ٩١/٣٠ ، تفسير الخازن ٣٠٢/٤ ، البحر الوجيز ٦١/١٥ ، روح المعاني ٤١/٢٩ ، البحر المحيط ٣٢/٨ ، التفسير العظيم ١١٣/٤ .

سورة الجن

قوله تعالى : (وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾)(الآية:٨-٩)

١/٢١٤ عن الزهري قال : إن الله حجب الشياطين عن السمع بهذه النجوم ، انقطعت الكهنة فلا كهانة(١) . ٤٣٤/٦

الدراسة :

اختلف القراء في همزة (وَأَنَّا لَمَسْنَا) قرأ ابن عامر وحمزة(٢) والكسائي وخلف(٣) وحفص(٤) بفتح الهمزة وقرأ الباقون بكسرها(٥) .

قال الزجاج : المعنى أي كما نسمع فالآن حين حاولنا الاستماع رمينا بالشهب وهي الكواكب ورصداً أي حفظة تمنع من الاستماع وقيل إن الانقضاض الذي رميت به الشياطين حدث بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو أحد آياته(٦) .

وعن ابن عباس قال : كان الشياطين لهم مقاعد في السماء يستمعون فيها الوحي ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً فأما الكلمة فتكون حقاً ، وأما ما زاد فيكون باطلاً ، فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم ، فذكروا ذلك لإبليس ، ولك تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال إبليس : ما هذا الأمر إلا لأمر حدث في

---

(١) تخريج النص : ابن أبي شيبة في كتاب العرش وما روي فيه ٢٣/١ حديث رقم ٢١ .

(٢) حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل الإمام الحبر أبو عمارة الكوفي التميمي مولاهم أحد القراء السبعة ولد سنة ٨٠هـ وتوفى سنة ١٥٤،١٥٦هـ . غاية النهاية في طبقات القراء ٢٦١/١ .

(٣) خلف بن هشام بن ثعلب بن خلف بن ثعلب بن هيثم أبو محمد الأسدي أحد القراء العشرة وأحد الرواة ثقة كبير . الإعلام للزركلي ٧٢/١ .

(٤) سقت ترجمته ص٢٢٨ .

(٥) النشر في القراءات العشر ابن الجذري ٣٩١/٢ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه الزجاج ٢٣٤/٥ جامع البيان ١١١/٢٩ .

الأرض ، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً يصلي بين جبلي نخلة فأتوه فأخبروه فقال : هذا الحدث الذي حدث في الأرض(١) .

ظاهر الحديث أن الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم لإنكار الشياطين له وطلبهم سببه ، ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب ومرجوعاً إليها في حكمهم حتى قطع سببها بأن حيل بين استراق السمع كما قال تعالى في هذه الآية (وإنا لمسنا) وقوله (إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ)(٢) .

وجاء في أشعار العرب باستغراب رميها وإنكاره إذا لم يعهدوه قبل البعث وكان ذلك أحد دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ويؤيده ما ذكر في الحديث السابق من إنكار الشياطين(٣) .

اختلف السلف في قذف الشياطين قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فقال الكلبي وقال قوماً : لم تكن تحرس السماء في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها بالملائكة والشهب .

وهناك قول آخر كان ذلك قبل المبعث وإنما زادت ببعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إنذاراً بحاله وهو معنى قوله (ملئت) أي زيد حرسها وهذا قول الأكثرين وهو أصح من القول الأول(٤) .

ويمكننا الجمع بين القولين أن الذين قالوا لم تكن الشياطين ترمى بالنجوم رمياً يقطعها عن السمع ، ولكنها كانت ترمى من وقتاً لآخر وترمى من جانب ولا ترمى من الجانب الآخر وهذه الإشارة بقوله تعالى : (وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨

---

(١) أخرجه البخاري ١٦ كتاب صفة الصلاة ٢٣ باب الجهر بالقراءة في صلاة الفجر (٢٦٧/١ ح رقم ٧٣٩) ومسلم ٤ كتاب الصلاة ٣٣ باب الجهر بالقراءة في صلاة الصبح والقراءة على الجن (٣٣١/١) ح رقم ١٤٩ والترمذي ٤٨ كتاب تفسير القرآن ٧٠ باب ومن الجن ٤٢٧/٥ ح رقم ٣٣٢٤ .

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٢ .

(٣) فتح الباري لابن حجر ٨٢٦/٨-٨٢٩ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن

دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ)(١)(٢) .

وعن ابن عباس : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الأنصار إذ رمي بنجم فاستنار فقال : (ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية ؟ قالوا : كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم)(٣) .

(١) سورة الصافات الآيات ٨-٩ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٦٦/١٥ .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه مطولاً ٣٩ كتاب السلام ، ٣٢ باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ٢٠٠/٤ ح رقم ٢٥٨٩ .

سورة الإنسان

قوله تعالى : (مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ﴿١٣﴾) الآية١٣

١/٢١٥ عن الزهري في قوله : (لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) قال حدثني أبو سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اشتكت النار إلى ربها ، فقالت : يا رب أكل بعضي بعضاً فنفسني ، فجعل لها في كل عام نفسين نفساً في الشتاء ونفساً في الصيف ، فشدة البرد التي تجدون من زمهرير جهنم ، وشدة الحر الذي تجدون من حر جهنم)([1])٤٨٦/٦

الدراسة :

قوله تعالى : ((مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ) أي متكئين([2])في الجنة على السرر في الحجال وهي الأرائك واحدتها أريكة . قوله تعالى (لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا) أي([3]) : لا يرون شمساً فيؤذيهم حرها ولا زمهريراً فيؤذيهم بردها . وهذا المعنى يؤيده حديث أبي هريرة المفسر للآية في قول الإمام الزهري .

(لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا)

(المعنى لا يرون فيها شمس الدنيا ولا قمراً كقمر الدنيا ، أي إنهم في ضياء مستديم ، لا ليل فيه ولا نهار ، لأن ضوء النهار بالشمس وضوء الليل بالقمر) .

([1]) تخريج النص : أخرجه مسلم ٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ٣٢ باب استحباب الإبراد بالظهر من شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويناله الحر في طريقه ٣٤١/١ ح رقم ٦١٧ ، والبخاري ٩ كتاب مواقيت الصلاة ٩٠ باب الإبراد في الظهر في شدة الحر ١٨١/١ ح رقم ٥٣٧ ، والترمذي ٤٠/كتاب صفة جهنم ٩ باب ما جاء أن للنار نفسين ، ما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد ٧١١/٤ ح رقم ٢٥٩٢ . وابن أبي شيبة ١٥٨/١٣ ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٨٦/٦ وعزاه لابن مردويه . زمهريراً : شدة البرد وهو الذي أعده الله عذاباً للكفار في الدار الآخرة ، النهاية ٣١٤/٢ .

([2]) فتح القدير ٥ / ٣٤٩

([3]) المرجع السابق نفسه

(لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا) أي لا يرون في الجنة شدة حر كحر الشمس (وَلَا زَمْهَرِيرًا) أي ولا برداً مفرطاً([1]) .

وقوله تعالى : (وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾) الآية٣٠

٢/٢١٦ من طريق ابن شهاب عن سالم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا خطب (كل ما هو آت قريب ، لا بعد ما يأتي ولا يعجل الله لعجلة أحد ، ما شاء الله لا ما شاء الناس ، يريد الناس أمراً ويريد الله أمراً ما شاء الله كان ولو كره الناس . لا مباعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله . لا يكون شيء إلا بإذن الله)([2]) ٤٩٠/٦

الدراسة :

قوله تعالى : (وما تشاءون) أي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل إلى الله (إلا أن يشاء الله) فأخبر أن الأمر إليه سبحانه ليس إليهم ، وأنه لا تنفذ مشيئة أحد ولا تتقدم إلا أن تتقدم مشيئته([3]) وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (وما يشاءون) بالياء([4]) على معنى الخبر عنهم . والباقون بالتاء على معنى المخاطبة لله سبحانه وقيل : إن الآية الأولى منسوخة بالثانية . والاشبه أنه ليس بنسخ بل هو تبيين أن ذلك لا يكون إلا بمشيئته([5]) . قال الفراء([6]) : ((وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) جواب لقوله : (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً) ثم أخبرهم أن الأمر ليس إليهم فقال : ((وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بأعمالكم (حَكِيمًا) في أمره ونهيه لكم .

([1]) الجامع لأحكام القرآن ١٣٣/١٩ – ١٣٤

([2]) ذكره ابن القيم الجوزية في زاد المعاد ١٧٨/١، موسوعة الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤١١/٣

([3]) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ١٤٧/١٨

([4]) انظر تقريب (١٨٥)

([5]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٧/١٨

([6]) انظر معاني القرآن للفراء ٢٢٠/٣ ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٧/١٨

سورة التكوير

قوله تعالى : ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ الآية ٢٤

١/٢١٧ عن الزهري ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قال لا يضن بما أوحى إليه)([1])

الدراسة :

قوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ : بالظاء([2]) قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ، أي يتهمهم والظنة التهمة ، قال الشاعر([3]) :

أما وكتاب الله لا عن شناءة هجرت ولكن الظنين ظنيت واختاره أبو عبيدة لأنهم لم يتخلوه ، ولكن كذبوه ، ولأن الأكثر من كلام العرب : ما هو بكذا ولا يقولون : ما هو على كذا ، إنما يقولون ما أنت على هذا بمتهم ، وقرأ الباقون ﴿بِضَنِينٍ﴾ بالضاد ، أي ببخيل من ضننت بالشيء أضن ضناً فهو ضنين ، عن مجاهد قال : لن يضنن عليكم بما يعلم ، بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه([4]) .

والغيب : القرآن وخبر السماء ، ثم هذا صفة محمد عليه السلام ، وقيل صفة جبريل عليه السلام ، وقيل بظنين بضعيف([5]) .

([1]) تخريج النص : ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢١٠/١٠

([2]) انظر تقريب النش ١٨٦

([3]) هو عبدالرحمن بن حسان ، البيت من شواهد القرطبي ٢٣٠/١٨

([4]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣١/١٨

([5]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٣١/١٨

سورة الفجر

قوله تعالى : (وَالْفَجْرِ)(الفجر:١) .

١/٢١٨ عن أبي جبلة قال : (كنت مع ابن شهاب في سفر فصام يوم عاشوراء فقيل له : تصوم يوم عاشوراء في السفر وأنت تفطر في رمضان ؟ قال : إن رمضان له عدة أيام أخر وإن عاشوراء يفوت)([١]) . ٥٧٩/٦

الدراسة :

قال القرطبي([٢]) : أقسم الله بالفجر ولياليي عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر أقسام خمسة وقد يقسم الله بأسمائه وصفاته ويقسم بأفعاله لقدرته قال : (وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى)([٣]) ويقسم بمفعولاته لعجائب صنعه كما قال (وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا)([٤]) (وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا)([٥]) (وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ)([٦]) ولكن لا يقسم الإنسان إلا بالله كما جاء في الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أدرك عمر بن الخطاب وهو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال : (ألا أن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت)([٧]) .

اختلف أهل الشرع في تعيين يوم عاشوراء فقال الأكثر : هو اليوم العاشر وهو قول الخليل وغيره .

والأكثر على أن عاشوراء هو العاشر من الشهر المحرم وقيل أنه التاسع ، ويقوى هذا الاحتمال لما جاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

([١]) تخريج النص : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٣٦٧/٣ حديث رقم ٣٧٩٨

([٢]) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ٣٨/٢٠-٤١ أحكام القرآن ابن العربي ١٩٢٥/٤ .

([٣]) سورة النجم الآية ٤٥ .

([٤]) سورة الشمس الآية ١ .

([٥]) سورة الشمس الآية ٥ .

([٦]) سورة الطارق الآية ١ .

([٧]) أخرجه البخاري ٨٣ كتاب الإيمان والنذور ٤ باب لا تحلفوا بآبائكم ٣٥٥/٤ ح رقم ٦٦٤٦ .

(لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع)([1]) فمات قبل ذلك .

فإنه ظاهر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصوم العاشر وهم بصوم التاسع يحتمل معناه أنه لا يقتصر عليه بل يضيفه إلى اليوم العاشر إما احتياطاً وإما مخالفة لليهود والنصارى وهو الأرجح .

وعند الإمام أحمد وجه آخر عن ابن عباس مرفوعاً (صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود وصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده)([2]) .

عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى اللهع عليه وسلم أمر بصيام يوم عاشوراء فلما فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر([3]) .

والإجماع الآن على أنه ليس بفرض ولكنه مستحب وأن صيام قريش له لعلهم تلقوه من الشرع السالف لذلك يعظمونه بكسوة الكعبة وغير ذلك([4]) .

([1]) أخرجه مسلم ١٣ كتاب الصيام ٢٠ باب أي يوم يصام في عاشورا ٧٩٨/٢ ح رقم ١٣٣ والبيهقي في السنن الكبرى باب صوم يوم التاسع (٢٨٧/٤) .

([2]) أخرجه أحمد في المسند ٢٩٦/٥ .

([3]) أخرجه البخاري ٣٠ كتاب الصوم ٦٩ باب صيام يوم عاشوراء ٩٣/٢ ح رقم ٢٠٠١ .

([4]) انظر فتح الباري ابن حجر ٢٤٥/٤-٢٤٦ .

سورة الضحى

قوله تعالى : (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧)

الآية٦ – ٧

١/٢١٩ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : (بعث عبدالمطلب ابنه عبدالله يمتار له تمراً من يثرب فتوفى عبدالله وولدت آمنة رسول الله فكان في حجر جده عبدالمطلب)([1]) ٦١١/٦

الدراسة :

قوله تعالى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا) لا أب لك ، قد مات أبوك .

(فَآوَىٰ) أي جعل لك مأوى تأوي إليه عند عمك أبي طالب ، فكفلك . وقيل فمجاز الآية : ألم يجدك واحداً في شرفك لا ينظر لك فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك .

قوله (وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ)

أي غافلاً مما يراد بك من أمر النبوة ، فهداك : أي أرشدك ، والضلال هنا الغفلة كقوله جل ثناؤه : (لا يضل ربي ولا ينسى)([2]) أي لا يغفل وقال قوم : (ضالاً) لم تكن تدري القرآن والشرائع ، فهداك الله إلى القرآن وشرائع الإسلام([3]) وقال قوم (وَوَجَدَكَ فضَآلًّا) أي في قوم ضلال فهداهم الله بك هذا قول الكلبي والفراء([4]) وقيل (وَوَجَدَكَ فضَآلًّا) عن الهجرة فهداك إليها .

([1]) تخريج النص : أخرجه عبدالرزاق في مصنفه ٣١٤/٣ والبيهقي في دلائل النبوة ٢٦/١ حديث رقم ١٩

([2]) سورة طه ٥٢

([3]) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٩٧/٢٠

([4]) انظر معاني القرآن للفراء ٢٧٤/٣

سورة التين

قوله تعالى : ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ سورة التين كاملة

١/٢٢٠ عن الزهري عن أنس قال : لما نزلت سورة (وَٱلتِّينِ) على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرح بها فرحاً شديداً حتى تبين لنا شدة فرحه ، فسألنا ابن عباس عن تفسيرها فقال : التين بلاد الشام ، والزيتون بلاد فلسطين ، (وَطُورِ سِينِينَ) الذي كلم الله موسى عليه السلام (وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ) مكة (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) محمد صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ) عبدة اللات والعزى (إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي (فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ) إذا بعثك فيهم نبياً وجمعك على التقوى يا محمد(١) . ٦١٩/٦

الدراسة :

خالف أنس قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وعطاء بن أبي رباح وجابر بن زيد(٢) ومقاتل والكلبي اتفقوا جميعهم على أن معناها : هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت(٣) .

وأقسم الله سبحانه وتعالى بالتين ليبين فيه وجه المنة والعظمة فإنه جميل المنظر طيب المخبز نشر الرائحة ، سهل الجني(٤) .

---

(١) تخريج النص:تاريخ دمشق لابن عساكر ٢١٤/١، اللائي المصنوعة للسيوطي ٢١٦/١، تنزيه الشريعة المرفوعة للكناني ٢٨٦/١

(٢) جابر بن زيد الأزدي اليحمري أبو الشعثاء الجوفي البصري روى عن ابن عباس وابن الزبير والحكم بن عمر روى عنه قتادة وعمر بن دينار وغيرهم توفى سنة ٩٣هـ (تهذيب التهذيب ابن حجر ١٣٨/٢) .

(٣) فتح القدير ٦٦٨/٥ .

(٤) أحكام القرآن ابن العربي ١٩٥١/٤ .

سورة العلق

قوله تعالى : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾ (الآيات: ١-٥) .

١/٢٢١ عن ابن شهاب : حدثني محمد بن عباد بن جعفر المخزومي أنه سمع بعض علمائهم يقول : كان أول ما أنزل الله على نبيه **(ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ)** إلى **(مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ)** فقالوا : هذا صدرها الذي أنزل يوم حراء ثم أنزل الله آخرها بعد ذلك ما شاء الله . ٦/٦٢٣(١)

من طريق ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : (أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال (اقرأ) قال : قلت : ما أنا بقارئ ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، قال فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : **((ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ)** فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً أنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة

---

(١) تخريج النص : البيهقي في دلائل النبوة ٨/٢٢٤/٣٠٦٩

بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة وكان امرئ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقال له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة : يا ابن أخي ما ترى؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى ، يا ليتني أكون فيها جذعاً ، يا ليتني أكون فيها حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أومخرجي هم ؟) قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفى ----الوحي .

٢/٢٢٢ قال ابن شهاب : وأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه (بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه ، فرجعت فقلت : زملوني ، فأنزل الله (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ)(المدثر ١-٥) فحمي الوحي وتتابع)([1]) . ٦٢٤/٦

٣/٢٢٣ عن الزهري وعمرو بن دينار : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بحراء إذ أتاه ملك بنمط من ديباج فيه مكتوب (اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى ما لم يعلم)([2]) . ٦٢٤/٦

الدراسة :

([1]) تخريج النص : أخرجه البخاري في صحيحه ١/٥/ ٤

([2]) تخريج النص : ذكره الصنعاني في تفسيره ٣٨٤/٣ آية ١٠٩

هذه السورة أول ما نزل من القرآن في قول معظم المفسرين نزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم على حراء ، فعلمه خمس آيات من هذه السورة ، وقيل أن أول ما نزل (يا أيها المدثر) قاله جابر بن عبد الله .

عن الأوزاعي قال : (سمعت يحيى يقول : سألت أبا سلمة أي القرآن نزل قبل؟ قال (يا أيها المدثر) فقلت : (واقرأ) فقال جابر أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (جاورت بحراء شهراً فلما قضيت جواري نزلت فاستبطأت بطن الوادي ، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي ، فلم أر أحداً ، ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء – يعني جبريل عليه السلام – فأخذتني رجفة شديدة فأتيت خديجة فقلت دثروني ، فدثروني ، فصبوا علي ماء فأنزل الله عز وجل (يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ) (المدثر ١-٤))([1]) .

وقيل فاتحة الكتاب أول ما نزل قاله أبو ميسرة الهمداني([2]) ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أول ما نزل من القرآن (قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡ)([3]) والصحيح الأول([4]) وهو أن أول ما نزل سورة (اقرأ) .

([1]) أخرجه البخاري ٦٥ كتاب تفسير القرآن ، ١ باب (٢/٤٩٥٤/٤٩٥٤) .

([2]) أبو ميسرة الهمداني : هو عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني الكوفي حدث عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم ، حدث عنه أبو وائل وغيره . سير أعلام النبلاء الذهبي ١٣٥/٤ .

([3]) سورة الأنعام الآية ١٥١ .

([4]) الإتقان في علوم القرآن السيوطي ٢٤/١ .

سورة القدر

قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾(الآيات ١-٥)

١/٢٢٤ عن الزهري قال : قلت لضمرة بن عبد الله بن أنيس ما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبيك ليلة القدر ؟ قال : كان أبي صاحب بادية ، قال : فقلت يا رسول الله مرني بليلة أنزل فيها ؟ قال : (أنزل ليلة ثلاث وعشرين) قال : فلما تولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اطلبوها في العشر الأواخر)([1]) . ٦٣٢/٦

الدراسة :

اختلف في تسميتها بذلك إلى خمسة أقوال :

الأول : أن القدر العظمة من قولك لفلان قدر قاله الزهري . ويشهد له قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾([2]) .

الثاني : من الضيق أي هي ليلة تضيق فيها الأرض عن الملائكة الذين ينزلون . قاله الخليل بن أحمد ويشهد له قوله تعالى : ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾([3]) .

الثالث : أن القدر الحكم كأن الأشياء تقدر فيها ، قاله ابن قتيبة .

الرابع : لأن من لم يكن له قدر صار بمراعاتها ذا قدر ، قاله أبو بكر الوراق([4])

الخامس : لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر ، وتنزل فيها الرحمة ذات قدر وملائكة

([1]) تخريج النص : أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ١٨٩/٨ حديث رقم ٣٥٢٠ وابن خزيمة في صحيحه ٣٢٣/٣ حديث رقم ٢١٧٣

([2]) سورة الأنعام الآية ٩١ .

([3]) سورة الطلاق الآية ٧ .

([4]) أبو بكر الوراق هو أبو بكر محمد بن إسماعيل بن العباس البغدادي الوراق سمع أباه والحسن ، حدث عنه البرقاني ولد سنة ٢٩٣هـ وتوفى ٣٧٨هـ . سير أعلام النبلاء ٣٨٨/١٦ .

ذووا قدر قاله علي بن عبيد الله([1])([2]) .

وجائز أن تكون سميت بجميع ذلك والله أعلم .

كذلك اختلف العلماء في وقت ليلة القدر وذهب الجمهور إلى أنها في رمضان ولكن وقع خلاف في تحديد يومها في ذلك الشهر ، فذهب قوم إلى أنها في العشرة الأواخر ، وهو قول الجمهور وأكثر الأحاديث الصحيحة تدل عليه([3]) وذهب قوم على أنها في جميع رمضان قاله الحسن البصري .

واختلفوا في أنها تختص بليالي الوتر دون الشفع على قولين :

الأول : أنها تختص الإفراد ، قاله الجمهور .

الثاني : أنها تكون في الشفع كما تكون في الوتر قاله الحسن .

واختلف القائلون بأنها الأفراد في أخص الليالي بها على خمسة أقوال :

الأول : أن الأخص بها ليلة إحدى وعشرين وهذا مذهب الشافعي .

الثاني : أن الأخص بها ليلة ثلاث وعشرين .

الثالث : ليلة خمس وعشرين .

الرابع : ليلة سبع وعشرين وبه قال ابن عباس ومعاوية واختاره أحمد رضي الله عنه وروى عن ابن عباس أنه استدل على ذلك بشيئين :

قال أن الله تعالى خلق الإنسان على سبعة أصناف يشير إلى قوله : (وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ)([4]) ثم جعل رزقه في سبعة أصناف قوله :

([1]) علي بن عبيد الله بن نصر بن عبيد البغدادي ولد سنة ٤٥٥هـ سمع من عبد الصمد ابن المامون حدث عنه ابن عساكر وغيره توفى سنة ٥٢٧هـ . أعلام النبلاء ٦٠٥/١٩ .

([2]) زاد المسير (١٨٢/٩) الجامع لأحكام القرآن القرطبي ١٣٠/٢٠ المحرر الوجيز ٥١٩/١٥-٥٢١ معالم التنزيل ٤٨٥/٣٠ محاسن التأويل ٢١٥/١٧ مدارك التنزيل ٧١١/٣٠ أحكام القرآن ابن العربي ١٩٦١/٤ .

([3]) من هذه الأحاديث عن عبد الله بن أنيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن ليلة القدر فقال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : التمسوها الليلة وتلك الليلة ليلة ثلاث وعشرين . أخرجه مسلم ١٣ كتاب الصيام ، ٤٠ باب فضل ليلة القدر ، ٨٢٧/٢ ح رقم ٢١٨ والبيهقي في السنن الكبرى كتاب الصيام باب الترغيب في طلبها (ليلة القدر) ليلة ثلاث وعشرين ٣٠٩/٤ وأحمد في مسنده ٤٩٥/٣ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٨٠/٨

([4]) سورة المؤمنون الآية ١٢ .

(أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا)([1]) ثم تصلى الجمعة على رأس سبعة أيام .

وجعل السموات سبعاً والأرض سبعاً والمثاني سبعاً فلا أرى إلا ليلة السابعة والعشرين .

أنه قال قوله (سلام) هي الكلمة السابعة والعشرين فدل على أنها كذلك وقيل أن ليلة كررت ثلاثاً في سبع وعشرون .

الخامس : أن الأولى طلبها في أول ليلة من رمضان ، قاله أبو رزين العقيلي .

وأما الحكمة من من إخفائها يتحقق بذلك اجتهاد العباد في ليالي رمضان طمعاً منهم في إدراكها كما خص ساعة الجمعة وساعة الليل واسمه الأعظم والصلاة الوسطى والولي من الناس([2]) .

وذهب الجمهور إلى أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان والراجح ما ذهب إليه الجمهور والله أعلم .

سورة قريش

([1]) سورة عبس الآية ٢٥ .

([2]) زاد المسير ٩/١٨٣-١٩٠ تفسير القرآن العظيم ٤/٦٨٧ .

لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ۝٤

عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن للقرشي مثلي قوة الرجل من غير قريش »

١/٢٢٥ قيل للزهري : ما عني بذلك؟ قال : نبل الرأي (٦/٦٤٠) ([1]) .

الدراسة :

اختلف الروايات في تسمية قريش بهذا الاسم فاقلوا قريش من القرش وهو الكسب والجمع وقيل التقريش التفتيش وجاء أنها سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم وقيل الصحيح سميت لاجتماعها من طولهم فلان يتقرش مال فلان أي يجمعه شيئاً إلى شيء . واعتمد جمهور النسابين أن أبا قريش هو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وتنقسم إلى قسمين : قريش البطاح – وقريش الظوهر([2]) .

تحدثت السورة عن قريش وعن فضلها بين سائر قبائل العرب وقد شرفها الله تعالى بأن جعل منها النبي صلى الله عليه وسلم . وجاء في الحديث عن أم هاني بنت أبي طالب([3]) قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله فضل قريشاً بسبع خصال لم يعطها أحداً قبلهم ولا يعطيها أحداً بعدهم إن الخلافة فيهم وإن الحجابة([4])

([1]) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/٤٠٢) وأخرجه أحمد في مسنده (٤/٨١) وابن حبان في صحيحه (٦٠ كتاب التاريخ) باب بدء الخلق (١٤/١٦١) ، حديث رقم (٦٢٦٥)

([2]) معجم قبائل العرب ، ياقوت الحموي (٣/٩٤٧) لسان العرب لابن منظور (٦/٣٣٥) .

([3]) أم هاني بنت أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم أخت علي بن أبي طالب وقيل اسمها هند أسلمت بعد عام الفتح .(الاستيعاب لابن عبدالبر (٤/٥١٧)

([4]) الحجابة : يعنون حجابة الكعبة سدانتها وتولي حفظها (النهاية في غريب الحديث لابن عبدالبر (١/٣٤٠)

فيهم وإن السقاية([1]) فيهم وأن النبوة فيهم ونصروا على الفيل ، وعبدوا الله سبع سنين ، لم يعبده أحد غيرهمونزلت فيهم سورة لم يذكر فيها أحداً غيرهم (لإيلاف قريش)([2]) .

وعن الزهري أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الملك في قريش والقضاء في الأنصار والأذان في الحبشة ، والسرعة في اليمن([3]) .

واختلف القراء في قراءة قوله تعالى (**لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ**) قرأ ابن عامر بغير ياء بعد الهمزة في الأول جعله مصدر (ألف إلاف) وقرأ الباقون بياء بعد الهمزة ، جعلوا مصدر (ألف) وهما لغتان يقال ألفت كذا وآلفت كذا ، وكل القراء قرءوا الثاني بياء بعد الهمزة على أنه مصدر (آلفت) فكان ابن عامر جمع اللغتين في الكلمتين([4]) .

([1]) السقاية : هي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء (النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣٨١/٢)

([2]) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٤/٤) سورة قريش ، الآية (١)

([3]) أخرجه الترمذي في السنن ٥٠ كتاب المناقب ٦٦ – باب فضل الأنصار وقريش (٥١٧/٥) حديث رقم (٣٩٠٨)

([4]) الكشف عن وجوه القراءات ، القيسي (٣٩٠/٢)

سورة الفلق

قال تعالى : (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ(١))مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ(٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ(٣))وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ(٤))وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)(سورة الفلق)

١/٢٢٦ عن ابن شهاب رضي الله عنه قال : الفاسق سقوط الثريا ، والغاسق إذا وقب الشمس إذا غربت([1])

الدراسة :

سبب نزول([2]) المعوذتين عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشئ وما فعل ، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعا ثم قالت : أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه ؟ قلت : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : أتاني ملكان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي ما بال الرجل ؟ قال طب ، قال : وما الطب ؟ قال : سحر ، قال : وبم طبه ؟ قال : بمشط ومشاطه ، قال : وأين هو ؟ قال : في جف([3]) طلعه تحت راعوفة([4]) في بئر ذروات فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عائشة ما شعرت إن الله أخبرني بدائي ثم بعث علياً والزبير وعمار بن ياسر فندحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء ، ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطه رأسه وأسنان مشطه ، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشرة عقدة مغروزه بالإبر فأنزل الله تعالى سورتي المعوذتين ، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجع رسول الله صلى الله عليه وسلم خفه حتى انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما نشط من عقال . وجعل جبريل عليه السلام يقول : بسم الله أرقيك من كل شئ يؤذيك ومن كل حاسد وعين الله يشفيك فقال : يا رسول الله أولا نؤم الخبيث فنقتله،فقال:أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً .

([1]) تخريج النص : ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٤٦٨/١٢ سورة التين .

([2]) أسباب النزول للواحدي ٤١٠ .

([3]) الجف : وعاء الطلع ، هو وعاء الطلع وهو الغشاء الذي يكون فوقه.النهايةفي غريب الحديث لابن الأثير مج١ ص٢٧٨

([4]) حجر في أسفل البئر يقوم عليه المائع المستقي في البئر من أعلى البيئر . النهاية في غريب الحديث لابن الأثير مج٥/ ص٢٩١